مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثالث السنة الثانية محرم ١٤٣٩هـ الموافق أكتوبر ٢٠١٧

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (ص: ٢٩)



موضوعات العدد:

مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تُعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثالث السنة الثانية محرم ١٤٣٩هـ الموافق أكتوبر ٢٠١٧



مجلة تدبر

٤٥٢ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم

رقم الإيداع: ٥٨٨٣/ ١٤٣٨

بتاريخ ٢٤/ ٦/ ١٤٣٨

ردمد: ٧٦٤٢ - ١٦٥٨

مجلة تدبر

سعر المجلة (٢٥) ريالاً سعودياً أو ما يعادلها

المجلة مصرحة من وزارة الثقافة والإعلام
بالمملكة العربية السعودية بالرياض برقم ٣٧٠٨ وتاريخ ٤/ ٣/ ١٤٣٧هـ

للمراسلات والاشتراكات

جميع المراسلات وطلبات الاشتراك باسم:

رئيس التحرير

tjs@tadabbor.com
+966 503072333
tjstadabbor
tjs.tadabbor.com

المواد العلمية المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها

صف وإخراج الخطيب

بسم الله الرحمن الرحيم

مجلة تدبر

دورية علمية محكَّمة، تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات العلمية المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة.

❁ **المرجعية**: مصرحة من وزارة الثقافة والإعلام بالمملكة العربية السعودية.

الرسالة:

أن تكون المجلة خيار الباحثين الأول لنشر بحوثهم في تدبر القرآن الكريم.

الرؤية:

أن تكون وعاءً علميًّا محكَّمًا للباحثين لنشر أعمالهم العلمية في تدبر القرآن الكريم وما اتصل به وفق معايير مهنية عالمية للنشر.

الأهداف:

❁ **تشجيع** البحث العلمي المتصل بتدبر القرآن الكريم.

❁ **نشر** البحوث العلمية والدراسات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

❁ **تحقيق التواصل العلمي** بين المعنيين بالدراسات القرآنية من خلال تبادل الخبرات.

❁ **فتح آفاق جديدة** للبحث العلمي المتخصص في مجالات تدبر القرآن.

مجالات النشر في المجلة

أولًا: البحوث والدراسات في مجالات تدبر القرآن الكريم:

١. التأصيل العلمي في تدبر القرآن الكريم.

٢. تعليم تدبر القرآن الكريم.

٣. الاستنباط من القرآن الكريم.

٤. المقاصد القرآنية.

٥. الإعجاز القرآني.

٦. البلاغة القرآنية.

٧. الموضوعات القرآنية.

ثانيًا: تقارير الملتقيات والمؤتمرات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

ثالثًا: ملخصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

رابعًا: ما تطرحه هيئة التحرير من قضايا تستكتب فيها المتخصصين في المجالات المتصلة بتدبر القرآن الكريم.

مجلة تدبر

قواعد وشروط النشر

أولًا: طبيعة المواد المنشورة:

تهدف المجلة إلى إتاحة الفرصة للباحثين في جميع بلدان العالم لنشر إنتاجهم العلمي في مجال تدبر القرآن الكريم، الذي تتوافر فيه الأصالة والجدة، وأخلاقيات البحث العلمي، والمنهجية العلمية.

وتقوم المجلة بنشر المواد التي لم يسبق نشرها باللغة العربية، وتقبل المواد في أي الفئات التالية:

- البحوث الأصيلة.
- المراجعات العلمية.
- مستخلصات المشاريع والرسائل العلمية المتميزة.
- تقارير الملتقيات والمؤتمرات العلمية.

ثانيًا: إرشادات للباحثين لتقديم بحوثهم:

١. لا يتجاوز عدد صفحات البحث (٥٠) صفحة مقاس (١٧×٢٤) متضمنة الملخصين العربي والإنجليزي، والمراجع، ولا يقل عن (٢٥) صفحة.

٢. هوامش الصفحة تكون (٢ سم) من: أعلى، وأسفل، ويمين، ويسار، ويكون تباعد الأسطر مفردًا.

٣. يستخدم خط (Linotype Lotus) للغة العربية بحجم (١٦)، وبحجم (١٢) للحاشية والمستخلص، وبحجم (١١) للجداول والأشكال.

٤. يستخدم خط (Roman New Times) للغة الإنجليزية بحجم (١٢)، وبحجم (١٠) للحاشية والمستخلص والجداول والأشكال.

٥. تكتب الآيات القرآنية وفق المصحف الإلكتروني لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بحجم (١٦) بلون عادي (غير مسوَّد).

٦. توضع حواشي كل صفحة أسفلها على حدة، ويكون ترقيم حواشي كل صفحة مستقلًا، وتضبط الحواشي آليًّا لا يدويًّا.

٧. تكتب بيانات البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وتحتوي على: (عنوان البحث، اسم الباحث والتعريف به، بيانات التواصل معه، عناوين رسائله العلمية).

٨. لا يتجاوز عدد كلمات المستخلص (٢٥٠) كلمة، ويتضمن العناصر التالية: (موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وأهم النتائج، وأهم التوصيات) مع العناية بتحريرها بشكل دقيق.

٩. يُتبع كل مستخلص (عربي/ إنجليزي) بالكلمات الدالة (المفتاحية) المعبرة بدقة عن موضوع البحث، والقضايا الرئيسة التي تناولها، بحيث لا يتجاوز عددها (٦) كلمات.

١٠. سلامة البحث من الأخطاء اللغوية والنحوية.

عَنَاصِرُ البَحْثِ:

يَنظِمُ البَاحِثُ بَحْثَه وَفقَ مُقْتَضَيَاتِ (مَنْهَجِ البَحْثِ العِلْمِيّ) كَالتَّالِي:

١- كتابة مقدمة تحتوي على: (موضوع البحث، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وخطة البحث).

٢- تبيين الدراسات السابقة - إن وجدت - وإضافته العلمية عليها.

٣- تقسيم البحث إلى أقسام (مباحث) وفق (خطة البحث)، بحيث تكون مترابطة.

٤- عرض فكرة محددة في كل قسم (مبحث) تكون جزءًا من الفكرة المركزية للبحث.

٥- يكتب البحث بصياغة علمية متقنة، خالية من الأخطاء اللغوية والنحوية، مع الدقة في التوثيق.

٦- كتابة خاتمة بخلاصة شاملة للبحث تتضمن أهم (النتائج) و(التوصيات).

٧- كتابة الحاشية السفلية يكون بذكر (عنوان الكتاب، واسم المؤلف، والجزء/ الصفحة) حسب المنهج العلمي المعمول به في توثيق الدراسات الشرعية واللغة العربية.

مثال: لسان العرب، لابن منظور (٢/ ٢٣٣).

أما الآية القرآنية: فيشار إليها في المتن فقط باسم السورة يتبعه نقطتان: ثم رقم الآية [النساء: ٥٥].

۞ يُوَثِّقُ البَاحِثُ المَرَاجِعَ في نِهايةِ البَحْثِ حَسَبَ النِّظَامِ التَّالي:

١- إذا كان المرجع (كتابًا): («عنوان الكتاب». فالاسم الأخير للمؤلف (اسم الشهرة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم المحقق - إن وجد-، فبيان الطبعة، فمدينة النشر، فاسم الناشر، فسنة النشر).

مثال: «الجامع الصحيح». الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين. ط٢، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠٤م.

٢- إذا كان المرجع (رسالة علمية لم تطبع): («عنوان الرسالة». فالاسم الأخير للباحث (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى. فنوع الرسالة (ماجستير/ دكتوراه)، فالمكان: فاسم الكلية، فاسم الجامعة، فالسنة).

مثال: «يعقوب بن شيبة السدوسي: آثاره ومنهجه في الجرح والتعديل». المطيري، علي بن عبد الله. رسالة ماجستير، السعودية: كلية التربية، جامعة الملك سعود، ١٤١٨هـ.

٣- إذا كان المرجع (مقالًا من دورية): («عنوان المقال»، فالاسم الأخير للمؤلف (اسم العائلة)، فالاسم الأول والأسماء الأخرى، فاسم الدورية، فالمكان، فرقم المجلد (رقم العدد)، فسنة النشر، فالصفحة من ص... - إلى ص...).

مثال: «الإمام عفان بن مسلم الصفار ومنهجه في التلقي والأداء والنقد». المطيري، علي بن عبد الله. مجلة جامعة القصيم: العلوم الشرعية، القصيم. م(٣)، (١)، ١٤٣١هـ، ٣٥ - ٨٥.

٤- **هذا بالإضافة إلى ذكر بعض الاختصارات** إن لم يوجد لها أي بيان في بيانات المرجع، وهي كالتالي:

بدون اسم الناشر: (د. ن).

بدون رقم الطبعة: (د. ط).

بدون تاريخ النشر: (د. ت).

۞ **إرسال البحث لموقع أو بريد المجلة** يُعد تعهدًا من الباحث بأن البحث لم يسبق نشره، وأنه غير مقدم للنشر، ولن يقدم للنشر في جهة أخرى حتى تنتهي إجراءات تحكيمه في المجلة.

۞ **لهيئة تحرير المجلة** حق الفحص الأولي للبحث، وتقرير أهليته للتحكيم، أو رفضه.

۞ **يطلع الباحث على خلاصة تقارير المُحكّمين** ليعدل بحثه وفقها، ويبين رأيه فيما لا يؤخذ به من أقوالهم، وتحسم الهيئة الخلاف بينهما.

۞ **في حال (قبول البحث للنشر)** يتم إرسال رسالة للباحث بـ(قبول البحث للنشر)، وعند رفض البحث للنشر يتم إرسال رسالة (اعتذار) للباحث.

۞ **للباحث بعد نشر عمله في المجلة** أن ينشره مرة أخرى بعد مضي ستة أشهر من صدورها، على أن يشير إلى نشره في المجلة.

۞ **إرسال البحث عبر الموقع أو البريد الإلكتروني للمجلة** يُعد قبولًا من الباحث بـ(شروط النشر في المجلة)، ولهيئة التحرير الحق في تحديد أولويات نشر البحوث.

الآراء الواردة في البحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر الباحثين فقط، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

نظام التوثيق المعتمد في المجلة بالنسبة للمراجع الأجنبية هو نظام (جامعة شيكاغو).

في حال (نشر البحث) يمنح الباحث خمس نسخ من عدد المجلة التي تم نشر بحثه فيها.

المَوادّ العِلميّة المنشورة في المجلّة تُعبّر عن آراء أصحابها

المحتويات

مجلة تدبر



افتتاحية العدد

مجلة تدبر

كلمة رئيس التحرير

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن أجل ما صرفت فيه الأعمار، وقضيت فيه الأيام، الاشتغال بكتاب الله جَلَّ وَعَلَا قراءة وتعلماً وتعليماً وتدبراً وتفسيراً، فهو الحجة البالغة والصراط المستقيم، ولذلك توافرت همم علماء الأمة، على تدبر القرآن الكريم وبيان معانيه، وتوضيح دلالاته، وإيضاح مقاصده، وبسط علومه، وكان لهم في ذلك مؤلفات وبحوثٌ جليلة، وبرامج مسطورة، أودعوا فيها علمهم، وأبانوا فيها جهدهم، وأبرزوا خبرتهم، فكانت الحاجة ماسّةً لتحكيمها وطباعتها ونشرها، في مجلةٍ علميةٍ دوريةٍ؛ لتبقى للأمة مرجعاً، وللباحثين مصدراً، تحفظ فيها أقوال العلماء و فهومهم في تدبر الكتاب المبين بشتى مجالاتها، لئلا تزيغ بالناس الأهواء، وتضطرب بهم الأفكار، وتُزِلَّهم الفتن، وتُضِلَّهم الاختلافات.

وقد خطت مجلة تدبر-بحمد الله تعالى- في عامها الأول خطواتها الموفقة بموضوعاتها المتنوعة في مجال تدبر القرآن الكريم، والعناية بذلك.

ولقيت المجلة الترحيب والاعتراف في عددٍ من الجامعات والمعاهد والمراكز، والأساتذة الفضلاء، وعامة المهتمين بالدراسات القرآنية.

واليوم نضع بين يدي القارئ الكريم العدد الثالث من مجلة تدبر، بموضوعات متنوعةٍ، وباحثين من مختلف بلدان العالم، مع تقارير للرسائل العلمية، والبرامج العملية المطروحة في الساحة، والمؤتمرات المختصة بتدبر القرآن ومجالاته.

والمجلة تطمح وتطمع في تقديم موضوعات حيّة وجادة، ومتميزة في موضوع تدبر القرآن ومجالاته، والعلوم الخادمة له؛ إحياءً للعمل به ورغبةً في التأثر بصبغته في الحياة والعلوم.

ولن يتحقق ذلك بشكل أفضل إلاَّ بتضافر الجهود بين الباحثين والمهتمين، وتفاعلهم مع الفاحصين الفضلاء، وأعضاء هيئة التحرير في اختيار الموضوعات وتقويمها للأفضل بإذن الله.

فإنّ المجلة ترتقي بكم، وتستمر بعطائكم، ويتحقق لها التميز بإسهامكم.

فإنَّ إثراء المجلة بالجديد، والبحث في مسائل التدبر وقضاياه لاتزال بحاجة للمزيد من التحليل والدراسة والاطلاع على الممارسات الناجحة والتطبيق العملي؛ ليتميز علم تدبر القرآن ويحقق الغاية المنشودة منه بالعمل بالقرآن، وتعود حضارة أهله قائمة على سوقها، منافسةً حضارات الأمم الماديّة.

من هنا فإنّ المجلة ترتقي بكم، فهي منكم ولكم، وبتوفيق الله ثم بتعاونكم وجهودكم بجودة ماتقدمون يستمر العطاء ويتحقق التميز والارتقاء.

وأدعو الله لهيئة تحرير المجلة بالتوفيق والسداد، وأن يكونوا عند حسن الظنِّ بهم؛ لما يبذلونه من جهودٍ حثيثةٍ للارتقاء بالمجلة وأبحاثها.

والحمد لله، والشكر له سبحانه، ابتداءً وانتهاءً على التوفيق والسداد.

ثم الشكر لكل من ساهم ودعم بفكره أو ماله أو جهده، والله لا يضيع أجر المحسنين.

رَئِيسُ هَيْئَةِ التَّحْرِيرِ

أ.د. مُحَمَّد بن عَبْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْعَوَاجِي



أولًا: البحوث

مجلة تدبر

مجلة تدبر



البحث الأول

نَحوَ مَنهَجِيَّةٍ لِتَدَبُّرِ ٱلقُرآنِ ٱلكَرِيمِ

د. أُسَامَةُ بنُ عَبدِ ٱلرَّحمَنِ ٱلمَرَاكِبِيُّ

عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر

- مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين - جامعة الأزهر بمصر
- حصل على درجة (الماجستير) في أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن، من جامعة الأزهر بأطروحته: درء إيهام التعارض بين آيات القرآن الكريم .
- حصل على درجة (الدكتوراه) في أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن، من جامعة الأزهر بأطروحته: البحوث القرآنية في تراث ابن حزم الأندلسي - جمع ودراسة ونقد .

النتاج العلمي:

- سبق الغايات في نسق الآيات للعلامة أشرف علي التهانوي تحقيق ودراسة
- فرائد القرآن - صفحات من التدبر في آيات الذكر الحكيم
- مسألة عموم المشترك وموقف المفسرين منها
- الإلحاد العلماني في آيات القرآن الكريم- دراسة نقدية

البريد الإلكتروني: alazhary.osama@gmail.com

مستخلص البحث

يأتي هذا البحث ليحاول تقديم إجابة محددة لهذا السؤال الكبير «كيف نتدبر القرآن ؟» ويسعى بمنهج استنباطي، وعبر النظر في تراثنا التدبري إلى أن يستنبط الأسلوب والطريقة، ويتلمس المنهج والوسيلة، بما يمكن من الإضافة إلى ما تركه الآباء والبناء عليه، في عملية مستمرة من الإنتاج والإبداع في تدبر القرآن الكريم.

إن الهدف من هذا البحث ليتمثل في إبراز أساليب محددة للتدبر تيسر على قارئ القرآن ودارسه المهمة، وتساعد العامة والخاصة في عملية «تثوير القرآن» لاستخراج علومه وحكمته التي لا تنفد. وقد بدأ البحث بتجلية مفهوم التدبر وتخليصه مما يقاربه من مفاهيم كالتفسير، والتذكر، والتفكر، والاستنباط، ونحوها، ثم بين أهمية التدبر، وحكمه، وشروطه، وأنواعه، وفوائده ومفاتيحه، وموانعه، باختصار، ثم توسع نوعا ما في ذكر ما يراه يمثل أساليب منهجية في تدبر القرآن الكريم، وختم بذكر أشهر الأخطاء المنهجية التي تقع في عملية التدبر.

الكلمات المفتاحية: القرآن – التدبر – الاستنباط.

مجلة تدبر

المُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد

فقد انتشرت في السنوات الأخيرة دعوات محمودة لإحياء فريضة تدبر القرآن الكريم، ولاقت بحمد الله قبولًا طيبًا لدى الخاصة من أهل القرآن، والعامة من المسلمين على سواء. وفي وقت قصير تحركت الهمم، واشتعل الحماس لإعادة التواصل من جديد مع القرآن الكريم، وبُذلت جهود في جانبين مهمين من هذا الموضوع:

الأول: تأصيل علم التدبر القرآني.

والثاني: تطبيقات التدبر القرآني.

وفي الجانب التطبيقي يمكن للمتابع رصد منهجين أيضا[(١)]:

أولهما: منهج جمع التراث التَدَبُّري المُتَفَرِّق في مصادر التفسير وغيرها من كتب العقائد والتزكية والتراجم...إلخ.

ثانيهما: منهج الإنتاج والإبداع في تدبر القرآن الكريم.

ومع تداخل المنهجين في كثير من الأعمال، فقد ظلت الغلبة دائمًا للمنهج الأول –أعني منهج جمع ونقل التراث التدبري عن السابقين الأولين

---

(١) المنهج في اللغة: الطريق الواضح، وفي الاصطلاح: الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بوساطة طائفة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحديد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة، انظر: مختار الصحاح– نهج، (ص: ٣٢٠)، والبحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية لرجاء وحيد (ص: ١٢٩).

من الربانيين العلماء-، وهذا أمر طبيعي؛ إذ كان الجهد فيه يسيرًا والثمرة عظيمة. ففي منهج الجمع لا يحتاج الباحث إلى شيء أكثر من الصبر على القراءة لجرد الكتب، مع بعض الذكاء في اختيار المصادر الأغنى بمادة تدبرية. فما يكاد يخطو خطوات حتى تنثال[1] عليه الدُرَر من كل جانب. ولكن يبقى هذا العمل مجرد عملية استيراد، تأخذ من إبداع الآخرين وجهودهم مُنتَجًا جاهزًا، دون أن تحاول بذل الجهد لإبداع مُنتجِها الخاص في التدبر القرآني.

ولمّا كان الاستيراد دائمًا أيسر من الإنتاج، وقطف الثمر أحلى من غرس الشجر، فقد قلَّ السائرون على الطريقة الثانية، أعنى طريق الإنتاج والإبداع بما يحتاجه من تكاليف، وساعد على ذلك أسباب؛ منها غياب المنهجية العلمية لعملية التدبر القرآني، وهو ما ظل يثير هذا السؤال المباشر والمتكرر دائمًا «كيف نتدبر القرآن؟». إننا نملك تراثًا رائعًا من التدبر، وهدفنا ليس مجرد نقل التدبر؛ بل إنتاجه. هدفنا ليس قطف الثمرة، بل غرس شجرة طيبة تؤتي أُكلها كل حين بإذن ربها.

ومن هنا يأتي هذا البحث ليحاول تقديم إجابة محددة لهذا السؤال الكبير **«كيف نتدبر القرآن؟»**.

ومن العبث في البحث عن كيفية التدبر أن نبدأ من الصفر، كيف ونحن نمتلك تراثًا فريدًا تركه لنا العلماء والربانيون، عبر خمسة عشر قرنًا من الزمان. لذا كان علينا أن ننظر في هذا التراث لنكتشف الأسلوب والطريقة، ونعرف

---

(١) تقول العرب: انثال عليه القول: إذا تتابع وكثر فلم يدر بأيه يبدأ. انظر: المحكم لابن سيده (١٠/ ٢١٢).

المنهج والوسيلة، بما يمكننا من الإضافة إليه والبناء عليه، في عملية مستمرة من الإنتاج والإبداع في تدبر القرآن الكريم.

أسباب اختيار البحث:

١. الرغبة في كتابة بحث قرآني ينفع الله به العامة والخاصة من المسلمين، ولا يقتصر نفعه على المتخصصين من أهل العلم.

٢. الرغبة في استخلاص أساليب العلماء في تدبر القرآن، لاستثمارها في مواصلة رحلة التَّفَهُّم لكتاب الله واستنباط فوائده.

٣. كثرة الانحرافات المنهجية في فهم القرآن وتدبره، وهو ما دفع الباحث إلى محاولة ضبط عملية التدبر القرآني وتنقيتها من الشوائب.

٤. تلبية رغبة بعض طلبة العلم النابهين في وضع أساليب منهجية تيسر لهم تدبر القرآن، وتعصمهم من الخطأ في فهمه.

هدف البحث:

إن الهدف من إبراز هذه الأساليب هو تيسير مهمة التدبر على قارئ القرآن ودارسه، ومساعدة العامة والخاصة في عملية «تثوير القرآن»(١)

(١) أخذت هذا التعبير من قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن!»، وفي لفظ عنه أيضا:» أثيروا القرآن فإن فيه خبرَ الأولين والآخرين»، والمراد بتثوير القرآن: البحث فيه، والتفتيش عن معانيه، لاستخراج حكمه وأحكامه. يقال: ثوَّرَ الأمرَ تثويرا: بحثه. وثوَّرَ القرآنَ: بحث عن معانيه وعن علمه، قال شَمِر: تثوير القرآن: قراءته، ومفاتشة العلماء به في تفسيره ومعانيه. وقيل: هو أن يُنقّر عنه، ويفكر في معانيه وتفسيره. انظر: تهذيب اللغة- (ث و ر)، (١٥/ ٨٠)، وإحياء علوم الدين (١/ ٢٨٣)، وتاج العروس- (ث و ر)، (١٠/ ٣٤٣).

لاستخراج علومه وحكمته التي لا تَنْفَد، فإن إعجابنا بروائع الوقفات التدبرية التي نجدها لدى السلف والأئمة ينبغي أن يُحَرِّك هِمَمَنا لاكتشاف الطريقة التي انتهجوها، والأساليب التي استعملوها للخروج بهذه الثمرة الطيبة لِنَنْسِجَ على مِنوالهم ونحذو حَذْوهم في تفهُّم كتاب الله تعالى.

منهج البحث:

يعتمد الباحث في بحثه هذا «المنهج الاستقرائي» الذي يتمثل في دراسة جهود العلماء في تدبر القرآن الكريم، بهدف معرفة الأساليب المنهجية التي استعملوها، والطرق العلمية التي سلكوا عليها في عملية التدبر.

خطة البحث:

يتضمن هذا البحث مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، كالتالي:

المقدمة: وتتضمن أهمية البحث، وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجه.

المبحث الأول: التدبر: مفهومه، ومبادئه.

المبحث الثاني: أساليب منهجية في تدبر القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أخطاء منهجية في عملية التدبر.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

هذا، وأسأل الله الكريم أن يرزقنا حسن الفهم وحسن العمل، وأن يتقبل منا القليل، ويعفو عن الكثير، وأن يدخلنا برحمته في عباده الصالحين.

المبحث الأول:
التدبر: مفهومه، ومبادئه.

في هذا المبحث نتناول بإذن الله تعالى الحديث عن التدبر لنبين مفهومه، وأهميته، وحكمه، وشروطه، وأنواعه، وأهم فوائده، ومفاتيحه، ثم نختم بموانعه.

۞ تعريف التدبُّر:

التدبر في اللغة: هو التفكر، والتفهم، والنظر في عواقب الأمور، وما تؤول إليه[(١)]، ولا يختلف مفهومه عند المفسرين عن مدلوله في اللغة، وعباراتهم في تفسير معناه متقاربة، وأوضحها عبارة الزمخشري حيث يقول: تدبُّرُ الأمرِ: تأمُّله، والنظر في أَدْبَاره، وما يؤول إليه في عاقبته ومُنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل؛ فمعنى تدبر القرآن: تأمل معانيه، وتَبَصُّر ما فيه»[(٢)]، زاد الشهاب الخفاجي: سواء كان نظرًا في حقيقة الشيء وأجزائه، أو سوابقه وأسبابه، أو لَوَاحقه وأَعْقَابه»[(٣)].

والتدبر بهذا يعني شيئًا غير تفسير ظواهر الآيات وشرح معناها؛ بل هو نوع من «التأمل الذي يؤدي إلى معرفة ما يَدْبُرُ ظاهرها من التأويلات الصحيحة

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٨٠)، وأساس البلاغة (١/ ٢٧٨)، و تاج العروس (١١/ ٢٦٦).

(٢) الكشاف للزمخشري (١/ ٥٤٠).

(٣) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي المسماة بعناية القاضي وكفاية الراضي (٣/ ١٥٩).

والمعاني الحسنة؛ لأن من اقتنع بظاهر المَتْلُوّ، لم يَحلَ منه بكثير طائل[1]، وكان مَثَله كَمَثل من له لِقحةٌ دَرُورٌ لا يَحلِبُها، ومُهْرَة نَثُور[2] لا يَسْتَوْلِدُها»[3].

قال ابن عاشور: «وأصله أنه من النظر في دُبُر الأمر، أي فيما لا يظهر منه للمتأمل بَادِئَ ذِي بَدْءٍ»[4]. وصيغة التَّفَعُّل تدل على التكثير، والتوكيد[5]، والتدرج، قال ابن القيم: «وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره ثم يعيد نظره مره بعد مرة ولهذا جاء على بناء التَّفَعُّل كالتَّجرُّع والتَّفهُّم والتَّبيُّن»[6].

ومما سبق نفهم أن التدبر تأمل عقلي في معاني القرآن، فما كان من نحوِ نَقْلِ لغةٍ، وبيان سبب نزولٍ لا يُسمَّى تدبرا، وأنه يختص بما وراء الظواهر القريبة، فما كان شرحًا لظاهر اللفظ لا يُسمَّى تدبرًا.

الفرق بين التدبر والتفكر والتذكر والتفسير والاستنباط:

هذه كلمات متقاربة المعنى، بَيْدَ أن بينها فروقًا دقيقة، نشير إليها باختصار:

(١) قوله: لم يَحْل منه بكثير طائِلٍ، أي لم يستفد منه كبير فائدة، انظر: الصحاح للجوهري- ح ل أ (٦/ ٢٣١٩).

(٢) اللقحة: الناقة الحلوب، والدَّرُورُ: كثيرة اللبن، ونثور: كثيرة الولد، انظر: تهذيب اللغة- ل ق ح، (٤/ ٣٤)، والصحاح للجوهري- درر (٢/ ٦٥٦)، وتاج العروس - ن ث ر (١٤/ ١٧١).

(٣) الكشاف للزمخشري (٤/ ٩٠)، وذكر الشاطبي قوله تعالى [أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ] [النساء: ٨٢] ثم قال: ظاهر المعنى شيء، وهم عارفون به؛ لأنهم عرب، والمراد شيء آخر..» الموافقات (٤/ ٢٠٩).

(٤) التحرير والتنوير (١٨/ ٨٧).

(٥) اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري (٢/ ٢٧١).

(٦) مفتاح دار السعادة لابن القيم (١/ ١٨٣).

أما التفكر، فقال أبو هلال العسكري: التدبر تصرف القلب بالنظر في العواقب، والتفكر تصرف القلب بالنظر في الدلائل»[1]. وأكثر ما يرد التفكر في القرآن «في سياق النظر في خلق الله، والتأمل في بديع صنعه؛ كما في قوله سبحانه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، والتدبر مختص بالقرآن وآياته»[2].

وأما التذكر فهو: استحضار الذهن ما كان يعلمه، فنسيه أو غفل عنه، فالتذكر على هذا من آثار التدبر، والتدبر سبب مُفْضٍ إلى التذكر[3]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ [ص: ٢٩].

وأما التفسير، فقال الزركشي: هو علم يُعْرَف به فَهْمُ كتاب الله المنزَّل على نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمِه»، وبه يظهر أن التفسير أعم من التدبر، إذ كان التفسير هو بيان المعنى بالنقل أو بالعقل، وباللغة أو بالخبر، والتدبر مختص بالجهد العقلي كما سبق. نعم قد يكون التدبر أعم من جهة المُخاطَب به، فإن التفسير علم لا يتصدى له غير العلماء الراسخين، والتدبر مأمور به كل أحد، والتفسير من فروض الكفايات يختص به بعض العلماء فيكفي عن بقية الأمة، والتدبر «تكليف شخصي لكل فرد لا ينوب فيه أحدٌ عن أحدٍ، والتفسير عمل علمي تعليمي يقصد به البيان والتبيين، والتدبر عمل قلبي يطلب به التبصر والتذكر والاعتبار»[4].

(١) الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري (ص: ٧٥).
(٢) مجالس القرآن لفريد الأنصاري (١/ ٧٤) بتصرف.
(٣) انظر: التحرير والتنوير (٢٣/ ٢٥٢).
(٤) انظر: مجالس القرآن لفريد الأنصاري (١/ ٧٢) بتصرف.

وأما الاستنباط، فقال العلماء: هو استخراج ما خَفِيَ المرادُ به من اللفظ»[١]، وخصَّه الزمخشري بالمعضلات[٢]، ويُفْهَم من ذلك « أن التدبر أصل الاستنباط، فلا يمكن الاستنباط من النص قبل تدبره والتأمل في معانيه، وأن التدبر يَعُمُّ العلماء وغيرهم، والاستنباط خاصٌّ بأولي العلم»[٣]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [النساء:٨٣]، وأن الاستنباط يختص بالخفيات والمعضلات، قال الجصاص: الدليل الذي لا يحتمل إلا معنى واحدًا، لا تنازع فيه، ولا يحتاج إلى استنباط»[٤].

أهمية التدبر:

تتجلَّى أهمية التدبر في أن الله تعالى جعله الطريق لإدراك هداية القرآن، وتحصيل بركته العلمية والعملية «فقد نزل القرآن الكريم ليكون آية على صحة نبوة سيّدنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وليكون ﴿تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ٨٩﴾ [النحل: ٨٩]، وهذا يقتضِي أن يكون حقه الإيمان به، وحُسن ترتيله، وحُسن تدبره، والعمل بما فيه وتعليمه، والدعوة إليه بلسان الحال ولسان المقال، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ

(١) التفسير البسيط للواحدي (٦/ ٦٤٣)، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي (٤/ ١٥٨).

(٢) الكشاف للزمخشري (١/ ٥٤١).

(٣) انظر: مفهوم التدبر تحرير وتأصيل، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، الورقة الثانية: تحرير معنى التدبر عند المفسرين لفهد الوهبي (١٠١).

(٤) أحكام القرآن للجصاص (٣/ ١٨٤) باختصار.

ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]، فهذه (اللام) في ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ﴾، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ لام الغاية والحكمة، فمن لم يأخذ حظَّه من مدخولهما لن يأخذ حظَّه من بركته، والبركة من الكلمات الحبيبة التي تنشرح لها قلوب العباد، فإنَّها مرتبطة بالنماء والزيادة، والثبات والدوام، فقرر القرآن بهذه الكلمة نَعْتَينِ للكتاب: تَجَدُّد عطائه ودوام نفعه. ومن ثَمَّ حثَّ على تدبره لاستخراج ما فيه من خير مُتجدِّد لا يزول ولا يحول ولا يَغِيض، فهو لا يَصْلُحُ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وعصرٍ ومِصرٍ فحسب؛ بل هو يُصلِح كلَّ ذلك ويقوِّمه ويُقِيمُه على سواء الصراط»(١).

وقد أخبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن أهل مدارسة القرآن هم أهل رحمة الله، عليهم تَتَنَزَّل السكينة، وبهم تَحُفُّ الملائكة، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**»(٢).

حُكْمُ التدبر:

صرَّحت عبارات كثير من العلماء بوجوب تدبر القرآن وتفهمه، والتشديد على من ترك ذلك وأعرض عنه، ففي تفسير قوله تعالى:

(١) العزفُ على أنوار الذِّكر– معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة، د. محمود توفيق محمد سعد، (٩) باختصار.

(٢) صحيح مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، (٢٦٩٩)، (٤/ ٢٠٧٤).

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩] قال القرطبي: وفي هذا دليل على، وجوب معرفة معاني القرآن»(١).

وكذا قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد:٢٤]: دلَّت هذه الآية على وجوب التدبر في القرآن ليُعرَف معناه»، وكذا قال البقاعي(٢).

وقال في «التذكار»: قال العلماء: يجب على القارئ إحضار قلبه، والتفكير عند قراءته، لأنه يقرأ خطاب الله الذي خاطب به عباده، فمن قرأ ولم يتفكر فيه وهو مِن أهْلِ أن يُدرِكه...كان كَمَن لم يقرأه»(٣).

وعدَّ ابن كثير ترك تدبر القرآن داخلا في هجره الذي ورد ذَمُّه في قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان:٣٠] قال ابن كثير: «وترك تدبره وتفهمه من هِجرانه»(٤).

وقال الغزالي: ومن لم يكن له فهمُ ما في القرآن -ولو في أدنى الدرجات- دخل في قوله تعالى ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [محمد: ١٦]»(٥).

وتواترت أقوال الصحابة والتابعين والأئمة وأحوالهم دالة على أهمية التدبر ووجوب العناية به، وذمِّ قراءةٍ لا فهم فيها ولا تدبر؛ فعن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥/ ١٩٢).

(٢) المرجع السابق (٥/ ٢٩٠)، ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٥/ ٣٤٠).

(٣) التذكار في أفضل الأذكار (١٩٥ - ١٩٦).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٠٨).

(٥) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٣).

قال: «لا خير في عبادة لا علم فيها، ولا علم لا فقه فيه، ولا قراءة لا تدبر فيها»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: « لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً[(٢)] مِنَ الدَّهْرِ وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْآنِ، وَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَتَعَلَّمُ حَلالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا، وَمَا يَنْبَغِي أَنْ نَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا كَمَا تَتَعَلَّمُونَ أَنْتُمُ الْقُرْآنَ الْيَوْمَ، ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ الْيَوْمَ رِجَالًا يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْآنَ، قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ مَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ، وَلا زَاجِرُهُ، وَلا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ»[(٣)]. وعن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَأَوْا الْقُرْآنَ رَسَائِلَ مِنْ رَبِّهِمْ فَكَانُوا يَتَدَبَّرُونَهَا بِاللَّيْلِ وَيُنَفِّذُونَهَا بِالنَّهَارِ»[(٤)].

واشْتَدَّ الحسن على أقوام تَبَاهَوا بالحفظ، وتركوا التدبر والعمل، فقال: «إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، وما تدبُّر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده! حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفًا، وقد والله أسقطه كله! ما يُرى القرآن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/ ٣٤٤).

(٢) البَرهة بالفتح ويُضم: الزمان الطويل، أو أعمُّ. تاج العروس – بره، (٣٦/ ٣٤٠).

(٣) فضائل القرآن للمستغفري (١/ ٢٧٥) والدَّقَل: نوع من التمر رديء، إذا انتثر تفرق سريعاً ولم يلصق بعضه ببعض. فالمقصود النهي عن قراءة سريعة لا تدبر فيها، غريب الحديث لابن الجوزي (١/ ٣٤٤).

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٢٧٥).

له في خلق ولا عمل! حتى إن أحدهم ليقول: إني لأقرأ السورة في نَفَسٍ! والله ما هؤلاء بالقُرَّاءِ ولا العلماء ولا الحكماء ولا الوَرَعة! متى كانت القُرَّاءُ مثل هذا؟! لا كثَّر الله في الناس أمثالهم!!»[1]. **وقال: نزل القرآن ليُتَدَبَّر ويُعمل به؛ فاتخذوا تلاوته عملاً»**[2].

وقال الشنقيطي: كل من لم يشتغل بتدبر آيات هذا القرآن العظيم فهو مُعْرِض عنها مُستحِقٌّ للإنكار والتوبيخ المذكور في الآيات؛ إن كان الله أعطاه فهمًا يَقْدِر به على التدبر، وقد شكا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ إلى ربه من هجر قومه هذا القرآن، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠]»[3].

الحاجة إلى التدبر:

قد يسأل سائل: لماذا يحتاج القرآن إلى تدبر وتأمل؟ أليس قد أنزله الله بيّنًا واضحًا مُفَصَّلًا؟

والجواب: بلى، وهو مع ذلك محتاج إلى تأمل طويل، وتفكر وتدبر لأسباب منها:

(١) مختصر قيام الليل للمروزي (ص: ١٧٦).

(٢) تفسير السمعاني (٤/ ١١٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٥٧). لكن عبارة السيوطي تصرح بكونه سنة من السنن وذلك حيث يقول في الإتقان (١/ ٣٦٨): وتسن القراءة بالتدبر والتفهم فهو المقصود الأعظم والمطلوب الأهم».

أولا: لأن الله تعالى أنزله بعلمه، وعِلمُهُ سبحانه يفوت علوم الخلق بمراحل هائلة، فلا جرم احتاج إلى تدبر وتفسير يقرِّبه من أفهام الخلق[(١)].

ثانيا: لأن كلامه سبحانه موجز غاية الإيجاز، مختصر غاية الاختصار، جامع لمعانٍ كثيرة في ألفاظ قليلة، ومثله يحتاج إلى تفكر وتأمل لاستخراج كنوزه، وبَسْط معانيه. يُروَى أنَّ فُضَيل بن عِياض قال لقوم قصدوه ليأخذوا عنه العلم: لو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاءً لما تريدون! فقالوا: تعلمنا القرآن! فقال: إنَّ في تعلُّمكم القرآن شُغلًا لأعماركم وأعمار أولادكم! لو طلبتموه لاستغنيتم به عن كلام فضيل وابن عيينة، ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ٥٧ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨][(٢)].

ثالثا: لأنه كتاب مُعْجِز، فاق بأسلوبه ومضمونه قدرات الإنس والجن، «وإذا كان بهذه المنزلة من الإعجاز في نَظْمِه ومعانيه، احتاجت ألفاظه في استخراج معانيها إلى زيادة التأمل لها وفضل الرويَّة فيها، ولا يُقتَصَر فيها على أوائل البديهة، ولا يُقنَع فيها بمبادئ الفكرة، ليصل بمبالغة الاجتهاد وإمعان النظر إلى جميع ما تضمنته ألفاظه من المعاني واحتملته من التأويل»[(٣)].

رابعا: لأننا أصبحنا غرباء عن القرآن حين استعجمت ألسنتنا، وضعفت لغتنا، وصرنا نحتاج إلى الدراسة والتعلم سنين عددًا؛ لندرك من معاني القرآن

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (١/ ١٤).
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٢) بتصرف يسير.
(٣) النكت والعيون للماوردي (١/ ٣٣).

ما كان يدركه الأولون بأول النظر، أو بقليل التدبر. جاء عن بعضهم، وقال له قائل: جئت أسألك عن حرف من الغريب، فَقَالَ: هُوَ كلام القوم، إنما الغَريب أنتَ وأمثالُك من الدُّخَلاء فيه![1].

۞ المأمورون بالتدبر:

يظهر لمن يتتبع آيات التدبر في القرآن الكريم أنها نزلت في طوائف مختلفة من الناس: فإن آية سورة النساء -أعني قوله تعالى-: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢] قد نزلت في قوم من المنافقين كانوا إذا حضروا النبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أظهروا الإيمان والطاعة وإذا برزوا من عنده خالفوا، فأنزل الله فيهم ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ [النساء: ٨١]، ثم قال سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، قال ابن جرير: أفلا يتدبر المُبَيِّتُون -غير الذي تقول لهم- يا محمد كتاب الله، فيعلموا حجّة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لاتِّساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض»[2]. فهذا أمر للمنافقين بتدبر القرآن الكريم.

---

(١) غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي (١/ ٧).

(٢) جامع البيان للطبري(٨/ ٥٦٧).

وكذا آية سورة القتال نزلت في شأن المنافقين ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ [محمد: ٢٠]، فإذا أمروا بالجهاد نكصوا على أعقابهم ولم يصدقوا الله في جهاد أعدائه فأنزل الله فيهم قوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محمد: ٢٤]، ووصمهم الله تعالى بالردة عن دينهم فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥]، يقول ابن جرير: أفلا يتدبر هؤلاء المنافقون مواعظ الله التي يعِظُهم بها في آي القرآن الذي أنزله على نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، ويتفكَّرون في حُججه التي بيَّنها لهم في تنزيله فيعلموا بها خطأ ما هم عليه مقيمون ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ يقول: أم أقفل الله على قلوبهم، فلا يعقلون ما أنزل الله في كتابه من المواعظ والعِبَر»[1]. فهذه أيضا في المنافقين يأمرهم الله أن يتدبروا القرآن ويتفهموا آياته.

ونزلت آية سورة «المؤمنون» - أعني قوله تعالى-: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [المؤمنون: ٦٨] في قوم من المشركين المستكبرين، الذين قلوبهم في غمرة من القرآن، ولهم أعمال سوء هم لها عاملون: كذبوا بآيات الله، وسخروا برسوله، واستكبروا عن طاعته، ورمَوه بالعظائم؛ فأنزل الله فيهم: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُواْ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٨-٧٠]، فهذا أمر بالتدبر موجه إلى المشركين المكذبين.

(١) المرجع السابق (٢٢/ ١٧٩).

وقد يأتي الأمر بالتدبر لكل من أنزل إليهم القرآن من إنس وجن، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٣٢]، قال ابن جرير: قد أمر الله جل ثناؤه عباده بتدبُّره، وحثَّهم على الاعتبار بأمثاله»[١].

فمن استقرأ هذه الآيات ونحوها، وتتبَّع سياقها، وعرف أسباب نزولها، ظهر له جليًا أن الخطاب بتدبر القرآن قد توجَّه إلى جميع الخلق من إنس وجن، ومؤمن وكافر، وعالم وجاهل، وأن كل مُخاطَب بألفاظ القرآن مُخاطَب بتدبر معانيه وتفهم أحكامه.

فليس الأمر بالتدبر خاصًا بالعلماء دون العامة، ولا بالمسلمين دون الكافرين؛ بل هو عام شامل لكل من أراد هداية الله من مؤمن وكافر، يقول الشنقيطي: اعلم أن قول بعض متأخري الأصوليين: إن تدبر هذا القرآن العظيم، وتفهمه والعمل به لا يجوز إلا للمجتهدين خاصة، قول لا مستند له من دليل شرعي أصلًا.

بل الحق الذي لا شك فيه، أن كل من له قدرة من المسلمين، على التعلم والتفهم، وإدراك معاني الكتاب والسنة، يجب عليه تعلمهما، والعمل بما علم منهما، أما العمل بهما مع الجهل بما يعمل به منهما فممنوع إجماعًا. وأما ما علمه منهما علمًا صحيحًا ناشئًا عن تعلُّمٍ صحيح، فله أن يعمل به، ولو آية واحدة أو حديثًا واحدًا. ومعلوم أن هذا الذم والإنكار على من لم يتدبر كتاب الله عام لجميع الناس.

(١) المرجع السابق (١/ ٨٣).

ومما يوضح ذلك؛ أن المخاطَبين الأولين به الذين نزل فيهم هم المنافقون والكفار، وليس أحد منهم مستكملًا لشروط الاجتهاد المقررة عند أهل الأصول؛ بل ليس عندهم شيء منها أصلًا. فلو كان القرآن لا يجوز أن ينتفع بالعمل به والاهتداء بهديه إلا المجتهدون بالاصطلاح الأصولي لَما وبَّخ الله الكفار وأنكر عليهم عدم الاهتداء بهداه، ولَما أقام عليهم الحجة به حتى يُحصِّلوا شروط الاجتهاد المقررة عند متأخري الأصوليين، كما ترى»[١].

وعَدَّ الشيخ تركَ التدبر داخلًا في هجر القرآن.

۞ شروط التدبر:

وهل يشترط في المتدبر شروط المفسر، فيختص التدبر بالعلماء دون العامة؟ ذهب إليه بعضهم[٢]، وفيه نظر من وجوه منها:

١- أن أكثر آيات التدبر إنما وردت في القرآن خطابًا للكافرين والمنافقين، فلو لم يكونوا أهلًا للتدبر لما توجَّه الأمر به إليهم، ولَما ذمَّهم الله بتركه، ولَما قامت الحجة عليهم بالقرآن.

٢- أنه قد ورد الأمر الإلهي بالتدبر عامًا لجميع الخلق، غير مخصوص ببعض دون بعض، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]، فمن ادَّعى الخصوص لزمه الدليل.

فلعل الأولى بالصواب أن يقال: إنه لا يلزم فيمن يتصدى لتدبر القرآن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٢٥٨).

(٢) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي (ص: ٤٥).

شروط المفسر؛ فإن التدبر نوع من التأمل يأتي بعد الفهم، وقد يعتمد المتدبر تفسير أهل العلم بقراءة أو سماع أو سؤال، ثم يجتهد في التدبر.

وقد يقال بتعبير آخر: إن لكل أحد التدبر فيما اتضح معناه واستغنى عن التفسير دون ما أشكل. وإن الأمر بالتدبر أمر بتحصيل المعنى وفهمه، «لأنه مُحَالٌ أن يُقال لمن لا يفهم ما يقال ولا يَعْقِل تأويلَه: اعتبر بما لا فَهْمَ لك به ولا معرفةَ، إلا على معنى الأمر بأن يفهمه ويفقهه، ثم يتدبره ويعتبر به»[(١)].

وقد يقال: إن التدبر نوع من الفهم الخاص، لا يُؤَاخَذ به العاميُّ ما لم يتجه إلى نشره وإذاعته، فعند ذلك لابد من عرضه على أهل العلم لتقويمه، وتمييز صوابه من خطئه.

وعلى كل حال؛ لا أرى أحدًا يملك الحق في أن يقول لإنسان مسلم أو كافر عالم أو جاهل: لا تحاول أن تفهم كلام ربك ورسالته إليك، ولا تتجرأ على التفكر في معانيها والتأمل في دلالتها.

بل هو مأمور بكل ذلك أمرا جازمًا، غير معذور في ترك شيء منه، خاصة وأن أكثر القرآن واضح المعنى، قريب المَأخَذ، واقرأ من أوله واسترسل صفحات وصفحات؛ هل ترى كلمة غريبة أو تركيبًا مُعضِلًا أو آية مشكلة؟ إلا في النادر القليل؟ ألا ترى أكثره سهل الألفاظ واضح المعاني داني القِطَاف؟.

أخشى أنه قد رسخ في عقول كثير من المسلمين أن هذا القرآن صعب مُسْتَصعَب، وَعْرٌ مُسْتَوعَر! وأن بين عامة الناس وبين فهم معانيه أودية مُهلِكة،

(١) جامع البيان للطبري (١/ ٨٣).

وأهوالًا مُرْدِيَة! فأنتجت هذه الظنون الفاسدة إعراضًا عن معاني القرآن جملة، وعزوفًا عن محاولة التفكر والتدبر في أحكامه وحكمه جميعًا، حتى رضي أكثرهم من الغنيمة بالإياب، واكتفى عن هديه وأنواره بالتبرك بقراءته وتحصيل الثواب! إذ كان فهمُه مُختَصًّا بالعلماء، وأين نحن من العلماء! بل أين العلماء؟!

هذا والقرآن يُبْدِئ ويُعيد بقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠].

نعم؛ قد يُنصَح المتدبر بما يُسدِّد فهمه، ويؤمر بسؤال أهل العلم فيما أشكل، والتوقف فيما الْتَبس، أما أن يُمنَع من التفهم جملة، وتُغلَق دونه أبواب التدبر ونوافذه كلها، فلا.

وإنما تَرِدُ شروط المفسر فيمن يتصدى لتعليم معاني القرآن وتفهيمها لغيره؛ فإن هذه مهمة مخصوصة بأهل العلم، مشروطة بتحصيل أدوات ومعارف معينة.

إنه الفرق إذن بين التعلُّم والتعليم، وبين التفهُّم والتفهيم، فالأول حق لكل إنسان، بخلاف الثاني فإنه حِكْر موقوف على المتخصصين.

وكذا الأمر في سائر العلوم والمعارف، فإنه لا يُمنَع إنسان مهما كان مستواه العلمي أو تخصصه من قراءة كتاب في الطب ومحاولة تفهمه بما تيسر له من فهم، ولكنه سيُمنَع حتمًا من التصدي لتدريس علم الطب لطلابه، ومن وصف العلاج للمرضى، ومن إجراء العمليات الجراحية للمصابين، فإن هذه

أمور تتطلب علمًا وخبرة لا يحصلهما المرء إلا بدراسة علوم كثيرة وبممارسة عملية طويلة.

أنواع التدبر:

قال ابن عاشور: معنى ﴿يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ يتأمَّلون دلالته، وذلك يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يتأمَّلوا دلالة تفاصيل آياته على مقاصده التي أرشد إليها المسلمين، أي تدبّر تفاصيله.

وثانيهما: أن يتأمّلوا دلالة جملة القرآن ببلاغته على أنّه من عند الله، وأنّ الذي جاء به صادق»[(١)].

فوائد التدبر:

ولتدبر القرآن فوائد لا تُحصى، نذكر منها ما يسمح به المقام:

١- اليقين بصدق القرآن وأنه وحي الله تعالى: قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، قال قتادة: يقول: إن قول الله لا يختلِف، وهو حق ليس فيه باطل، وقول الناس يختلِف»[(٢)]. وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمن ذا الذي يَسْلَم من خطأٍ أو سهوٍ وإن بلغ من العلم ما بلغ، هذا الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ رجل من أذكياء العالم يقول عن كتبه: لقد ألفت هذه الكتب ولم آلُ فيها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ؛ لأن الله تعالى يقول:

(١) التحرير والتنوير (٥/ ١٣٧).

(٢) تفسير القرآن لابن المنذر (٢/ ٨٠٤).

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فما وجدتم في كتبي هذه مما يخالف الكتاب والسنة، فقد رجعت عنه»[١]. ولا شك أن الأمر بالتدبر في القرآن دليل على صحة كلام الله وسلامته مما يَشِينه، فإن المُبطِل لا يطالب الناس بتأمل كلامه وتدبره، وإلا لافتضح أمره وظهر عواره.[٢]

٢- تحصيل هداية القرآن، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فَلَيْسَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لِلْعَبْدِ فِي مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ وَأَقْرَبَ إِلَى نَجَاتِهِ؛ مِنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، وَإِطَالَةِ التَّأَمُّلِ فِيهِ، وَجَمْعِ الْفِكْرِ عَلَى مَعَانِي آيَاتِهِ، فَإِنَّهَا تُطْلِعُ الْعَبْدَ عَلَى مَعَالِمِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ بِحَذَافِيرِهِمَا، وَعَلَى طُرُقَاتِهِمَا وَأَسْبَابِهِمَا وَغَايَاتِهِمَا وَثَمَرَاتِهِمَا، وَمَآلِ أَهْلِهِمَا، وَتَتُلُّ [تضع] فِي يَدِهِ مَفَاتِيحَ كُنُوزِ السَّعَادَةِ وَالْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَتُثَبِّتُ قَوَاعِدَ الْإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ، وَتُشَيِّدُ بُنْيَانَهُ وَتُوَطِّدُ أَرْكَانَهُ، وَتُرِيهِ صُورَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ فِي قَلْبِهِ، وَتُحْضِرُهُ بَيْنَ الْأُمَمِ، وَتُرِيهِ أَيَّامَ اللهِ فِيهِمْ، وَتُبَصِّرُهُ مَوَاقِعَ الْعِبَرِ، وَتُشْهِدُهُ عَدْلَ اللهِ وَفَضْلَهُ، وَتُعَرِّفُهُ ذَاتَهُ، وَأَسْمَاءَهُ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالَهُ، وَمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وَصِرَاطَهُ الْمُوصِلَ إِلَيْهِ، وَمَا لِسَالِكِيهِ بَعْدَ الْوُصُولِ وَالْقُدُومِ عَلَيْهِ، وَقَوَاطِعَ الطَّرِيقِ وَآفَاتِهَا، وَتُعَرِّفُهُ النَّفْسَ وَصِفَاتِهَا، وَمُفْسِدَاتِ الْأَعْمَالِ وَمُصَحِّحَاتِهَا وَتُعَرِّفُهُ طَرِيقَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِ النَّارِ وَأَعْمَالَهُمْ، وَأَحْوَالَهُمْ وَسِيمَاهُمْ، وَمَرَاتِبَ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَهْلِ الشَّقَاوَةِ، وَأَقْسَامَ الْخَلْقِ وَاجْتِمَاعَهُمْ

---

(١) تفسير الإمام الشافعي جمع وتحقيق ودراسة: د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (٢/ ٦٣٠).

(٢) ودليل على أن القرآن معلوم المعنى، «خلاف ما يقوله من يذهب إلى أنه لا يعلم معناه إلا النبي والإمام المعصوم، لأنه لو كان كذلك لما تهيأ للمنافقين معرفة ذلك بالتدبر، ولما جاز أن يأمرهم الله تعالى به، وأن يجعل القرآن حجة في صحة نبوته، ولا أن يجعل عجزهم عن مثله حجة عليهم» التفسير الكبير للفخر الرازي (١٠/ ١٥٢).

فِيمَا يَجْتَمِعُونَ فِيهِ، وَافْتِرَاقُهُمْ فِيمَا يَفْتَرِقُونَ فِيهِ...، فَتُشْهِدُهُ الْآخِرَةَ حَتَّى كَأَنَّهُ فِيهَا، وَتَغَيِّبُهُ عَنِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا، وَتُمَيِّزُ لَهُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ فِي كُلِّ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ الْعَالَمُ. فَتُرِيهِ الْحَقَّ حَقًّا، وَالْبَاطِلَ بَاطِلًا، وَتُعْطِيهِ فُرْقَانًا وَنُورًا يُفَرِّقُ بِهِ بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ، وَالْغَيِّ وَالرَّشَادِ، وَتُعْطِيهِ قُوَّةً فِي قَلْبِهِ، وَحَيَاةً، وَسَعَةً وَانْشِرَاحًا وَبَهْجَةً وَسُرُورًا، فَيَصِيرُ فِي شَأْنٍ وَالنَّاسُ فِي شَأْنٍ آخَرَ...»[١].

ومن فاز بهداية القرآن فاز بخير الدنيا والآخرة، وعُصِم من الضلال، وسَلِم من الشقاء، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: تَضَمَّنَ الله لمن قرأ القرآن واتَّبع ما فيه: ألا يَضِل في الدنيا ولا يَشْقَى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾»[٢].

٢- تحصيل شفاء القرآن: قال الحارث المُحَاسَبي: ضَمِن من لا [يُخفَرُ][٣] ضمانُه، ووَعَدَ من لا يُخلَف وعدُه -جلَّ ربُّنا- أن ما أنزل من كلامه شفاء لما في الصدور، وهدى ورحمة للمؤمنين، فما أحق من أغفلَ فهمَ كتابه أن يستحي من ربه عَزَّوَجَلَّ، ويأسف على ما مضى من عمره ومرضِ قلبه، وهو لا يزداد إلا سقما ومرضا، وذلك لقلة مبالاته بدائه، وتَرْكِ طلبِ شفائه بما قال مولاه، وتدبُّرِ ما تكلم به خالقه»[٤].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٠) باختصار.

(٢) جامع البيان (١٨/ ٣٨٩).

(٣) في الأصل «يخفى» ولا معنى له، فلعل الصواب ما أثبته، فإنه يقال: أخفر الذمةَ، إذا لم يف بها وانتهكها. انظر: تاج العروس- خفر (١١/ ٢٠٦).

(٤) العقل وفهم القرآن للمحاسبي (ص: ٣١٥).

وقال الشيخ إبراهيم الخواص: دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن[1]، وقيام الليل، والتضرع عند السَّحر، ومجالسة الصالحين. قال النووي: فإذا شرع في القراءة؛ فَلْيكُن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تُحصَر وأشهر وأظهر من أن تُذكَر فهو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور وتستنير القلوب»[2].

٣- تعظيم الأجر والثواب: قال الإمام الآجري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والقليل من الدرس للقرآن مع الفكر فيه وتدبره أحب إليَّ من قراءة الكثير من القرآن بغير تدبُّر ولا تفكُّر فيه، وظاهر القرآن يدل على ذلك والسُّنة وقول أئمة المسلمين. قال رجل لابن عباس: إني سريع القراءة، إني أقرأ القرآن في ثلاث، قال: لأن أقرأ البقرة في ليلة فأتدبرها وأُرَتلَها أحب إليَّ من أن أقرأ كما تقول. وسُئل مجاهد عن رجل قرأ البقرة وآل عمران، ورجل قرأ البقرة، قراءتهما واحدة، وركوعهما، وسجودهما، وجلوسهما، أيهما أفضل؟ قال: الذي قرأ البقرة، ثم قرأ: ﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴿١٠٦﴾ ﴾»[3].

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مما ينبغي أن يُعلَم؛ أن فضل القراءة والذكر والدعاء والصلاة وغير ذلك قد يختلف باختلاف حال الرجل؛ فالقراءة بتدبر أفضل من القراءة بلا تدبر، والصلاة بخشوع وحضور قلب أفضل من الصلاة بدون

(١) إن أراد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قلة الطعام فنعم، وهو أمر كثرت الأحاديث في الحث عليه والترغيب فيه، وإن أراد الجوع فلا، إذ لا فضيلة له عقلًا ولا شرعًا؛ بل كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يستعيذ بالله منه. وراجع في ذلك كلام ابن الجوزي في تلبيس إبليس عَلَى الصوفية فِي مطاعمهم ومشاربهم، فصل من كتابه تلبيس إبليس (ص: ١٨٤) وما بعدها.

(٢) التبيان في آداب حملة القرآن (ص: ٨٢، ٨٤).

(٣) أخلاق حملة القرآن للآجري (ص: ٩٦) باختصار الأسانيد.

ذلك»[1]. وقال في موضع آخر: والمطلوب من القرآن هو فهم معانيه، والعمل به، فإن لم تكن هذه هِمَّةَ حافظه؛ لم يكن من أهل العلم والدين»[2].

٤-دفع أوهام التعارض عن كلام الله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢]، قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَإِذَا حَصَلَ التَّدَبُّرُ لَمْ يُوجَدْ فِي الْقُرْآنِ اخْتِلَافٌ أَلْبَتَّةَ»[3].

مفاتيح التدبر:

نقصد بمفاتيح التدبر تلك الأمور التي تفتح بابه، وتُعين عليه، وتُيسِّر الطريق إليه، فمنها ما يلي:

١- **تعظيم القرآن:** وطريق ذلك أن يستحضر القارئ في قلبه عظمة المتكلم سبحانه، «ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، ولن تَحضُره عظمةُ المتكلِّم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله؛ فإذا حضر بباله العرش والكرسي، والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد، وأن الكل في قبضة قدرته مُتَرَدِّدون بين فضله ورحمته، وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله، وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي، وهؤلاء إلى النار ولا أبالي، وهذا غاية العظمة والتعالي، فبالتفكر في أمثال هذا

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ١٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٥٥).

(٣) الموافقات في أصول الشريعة (٤/ ٢٠٩).

يَحضُر تعظيم المتكلِّم ثم تعظيم الكلام، والمُعَظِّم للكلام الذي يتلوه؛ يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه »[١].

وقد مدح الله قوما فقال: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [الزمر: ٢٣]، قال الحارث المحاسبي: كلام العالِم عندنا أحلى وألَذُّ وأرفع وأجَلُّ من كلام الجاهل، وكلام الشريف من كلام الوضيع، وكلام مَن أحسن إلينا لا كَمَن لا إحسان له إلينا، وكلام الناصح المُتَحَنِّن أحسن من كلام من لا ينصحنا ولا يَتَحَنَّن علينا، حتى إن كلام الوالدة نجد له من اللذة والحلاوة ما لا نجد من كلام غيرها؛ لمعرفتنا برحمتها ونصحها وتحننها علينا؛ فلا أحد أعظم من الله عَزَّوَجَلَّ عندنا قدرًا، ولا أشرف، بل لا شرف ولا قدر لمن لم يجعل الله عَزَّوَجَلَّ له الشَّرف والْقَدر، ولا أحد أعلم من الله عَزَّوَجَلَّ، ولا أحد أقرب لنا ولا أرْحم ولا أعظم تَحَنُّنًا من الله تعالى، بل لم يرحمنا راحم، ولم ينصحنا ناصح، ولم يَتَحَنَّن علينا مُتَحَنِّن، إلا بما استودع لنا في قلبه وسخَّره لنا بالرحمة والنصح... فإذا عَظُم في صدرك تعظيم المتكلم سبحانه؛ لم يكن عندك شيء أرفع ولا أشرف ولا أنفع ولا ألذ ولا أحلى من استماع كلام الله -جلَّ وعزَّ- وفَهْم معاني قوله تعظيما وحُبًّا له وإجلالا»[٢].

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨١).

(٢) العقل وفهم القرآن (ص: ٣٠٤) بتصرف واختصار.

٢- الاستماع والإنصات: قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، قال ابن جرير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: يقول: «أَصْغُوا لَهُ سَمْعَكُمْ لِتَتَفَهَّمُوا آيَاتِهِ، وَتَعْتَبِرُوا بِمَوَاعِظِهِ، وَأَنْصِتُوا إِلَيْهِ لِتَعْقِلُوهُ وَتَتَدَبَّرُوهُ، وَلَا تَلْغُوا فِيهِ فَلَا تَعْقِلُوهُ. ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ يَقُولُ: لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِاتِّعَاظِكُمْ بِمَوَاعِظِهِ، وَاعْتِبَارِكُمْ بِعِبَرِهِ، وَاسْتِعْمَالِكُمْ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ فِي آيِهِ»[1].

يقول ابنُ مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**إذا سمعتَ اللهَ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾** [البقرة: ١٠٤] **فأَصْغِ لها سمعَك، فإنَّه خير تُؤمَر به، أو شرّ تُصرَف عنه**»[2].

وقال الليث: يقال: ما الرحمة إلى أحد بأسرع منها إلى مستمع القرآن لقوله تعالى ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] و«لعل» من الله واجبة»[3].

قال المحاسبي: ولقد ذم مولانا عَزَّوَجَلَّ المتشاغلين عند استماعهم بالمحادثة، فقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ [الإسراء: ٤٧]، فاحرص أن لا يكون فيك خُلُقٌ ذمَّ الله عَزَّوَجَلَّ به كافرًا وإن كنت مؤمنًا، فإن من كمال الإيمان مخالفة أهل الكفر بالقول والفعل فيما نهى الله عَزَّوَجَلَّ عنه»[4].

---

(١) جامع البيان للطبري (١٣/ ٣٤٥) باختصار يسير.

(٢) النكت والعيون (٥/ ٥١٠).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٩).

(٤) العقل وفهم القرآن للمحاسبي (ص:٣٢١).

٣- **صدق النية**: فإن الله إذا علم من عبده نية صادقة في تفهم كلامه، وقصدًا صالحًا إلى معرفة الحق والعمل به؛ وفَّقَه وأعانه، وسَدَّدَ عقله، وهَدَى قلبه، وفتح له باب الفهم، ويسَّر له طريق العمل. وإذا رأى الله عَزَّوَجَلَّ عبدَه إنما يطلب من معاني القرآن ما يَتَزَيَّن به في المجالس ويتَصَنَّع به عند العباد، ويَتباهَى به على المنابر؛ خَتَم على قلبه فلم يدرك هداية القرآن، ولم ينتفع بأنواره، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٢٣][1].

٤- **حضور القلب**، سأل بعضُهم أحدَ العلماء: بِمَ أستعين على فهم معاني ما أتلو أو يُتلَى عليَّ؟ فقال: بإحضار عقلك، فبذلك تفهم وتذكر، ألم تسمعه عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ [ق: ٣٧]، قال مجاهد: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ ﴾ لا يُحَدِّث نفسَه بغير ما يسمع، ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ قال: شاهد القلب. قال: فكيف أُحْضِر عقلي؟ قال: بأن تَجْمَع فهمَك؛ حتى لا يكون فهمُك متفرقًا في شيء غير طلب الفهم لكلام مولاك، وتمنع جوارحَك أن تشتغل بما لا يشتغل به عقلُك، وتستعمل كل جارحة بما يعينك على الفهم؛ كنظرك في مصحف، واستماعك إلى تلاوتك، أو تلاوة غيرك»[2].

٥- **التواضع وترك الكبر والعناد**: فإن المستكبر عن قبول الحق لا تَنفُذ هدايات القرآن إلى قلبه قَالَ تَعَالَى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا

(١) انظر المرجع السابق (ص:٣٢٠).

(٢) العقل وفهم القرآن للمحاسبي (ص: ٣١٩).

يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

٦- **فهم المعنى الأصلي ولو إجمالا**: فإن التدبر والتفهم لا يُعقَل إلا بعد العلم بالمعنى الأصلي، وفهم المراد من الكلام ولو بصورة إجمالية، يقول ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَفِي حَثِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عِبَادَهُ عَلَى الِاعْتِبَارِ بِمَا فِي آيِ الْقُرْآنِ، مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالتِّبْيَانِ... مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِمْ مَعْرِفَةَ تَأْوِيلِ مَا لَمْ يَحْجُبْ عَنْهُمْ تَأْوِيلَهُ مِنْ آيَاتٍ، ... فَكَذَلِكَ مَا فِي آيِ كِتَابِ اللهِ، مِنَ الْعِبَرِ وَالْحِكَمِ وَالْأَمْثَالِ وَالْمَوَاعِظِ، لَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: اعْتَبِرْ بِهَا، إِلَّا لِمَنْ كَانَ بِمَعَانِي بَيَانِهِ عَالِمًا، وَبِكَلَامِ الْعَرَبِ عَارِفًا، وَإِلَّا بِمَعْنَى الْأَمْرِ لِمَنْ كَانَ بِذَلِكَ مِنْهُ جَاهِلًا، أَنْ يَعْلَمَ مَعَانِي كَلَامِ الْعَرَبِ، ثُمَّ يَتَدَبَّرُهُ بَعْدُ، وَيَتَّعِظُ بِحِكَمِهِ وَصُنُوفِ عِبَرِهِ»[(١)].

٧- **تكرير التلاوة والترتيل مع الدرس والتأمل في المعاني والأسرار**: فإنه نعم المعين على انفتاح معاني القرآن، وانكشاف أسراره، يقول ضياء الدين بن الأثير -أحسن الله إليه-: اعلم أن المُتَصَدِّي لحل معاني القرآن يحتاج إلى كثرة الدرس؛ فإنه كلما ديم على درسه ظهر من معانيه ما لم يظهر من قبل، وهذا شيء جرَّبته وخبرته؛ فإني كنت آخذ سورة من السور وأتلوها، وكلما مرَّ بي معنى أثبته في ورقة مفردة، حتى أَنتهِي إلى آخرها، ثم آخذ في حلِّ تلك المعاني التي أثبتها واحدًا بعد واحد، ولا أقنع بذلك حتى أعاود تلاوة تلك السورة، وأفعل ما فعلته أولا، وكلما صقلتها التلاوة مرة بعد مرة ظهر في كل مرة من المعاني ما لم يظهر لي في المرة التي قبلها»[(٢)].

---

(١) جامع البيان للطبري (١/ ٧٦)، ط: دار هجر.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (١/ ١٢٧).

٨- **اعتقاد التخصيص:** ويَعنُون به أن يستشعر القارئ أنه المخصوص بالآية عامة -كانت- أو خاصة، فينبغي لمن يريد التدبر ألا يغادر الآية قبل أن يعرف حظَّه منها، يقول أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهو أن يُقَدِّر أنه المقصود بكل خطاب في القرآن؛ فإنْ سمع أمرًا أو نهيًا قَدَّر أنه المَنْهيُّ والمأمور، وإنْ سمع وعدًا أو وعيدًا فكمِثْل ذلك، وإنْ سمع قصص الأولين والأنبياء علم أنَّ السَمَر غير مقصود، وإنما المقصود ليَعتَبِر به، وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج إليه. فما من قصة في القرآن إلا وسياقها لفائدة في حق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته؛ ولذلك قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [هود: ١٢٠]، فليُقَدِّر العبد أن الله يُثَبِّت فؤادَه بما يقُصُّه عليه من أحوال الأنبياء، وصبرهم على الإيذاء، وثباتهم في الدين؛ لانتظار نصر الله تعالى.

وكيف لا يقدر هذا؟ والقرآن ما أنزل على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لرسول الله خاصة؛ بل هو شفاءٌ وهدًى ورحمةٌ ونورٌ للعالمين؛ ولذلك أمر الله تعالى الكافَّة بشكر نعمة الكتاب، فقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: ١٠]، ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ۝٣﴾ [محمد: ٣] ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥] ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾ [الجاثية: ٢٠] ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨].

وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد، فهذا القارئ الواحد مقصود، فما له ولسائر الناس؟! فَلْيُقَدِّر أنه المقصود، قال الله تعالى:

﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩]. قال محمد بن كعب القُرَظِي: من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله»[١].

وقال مُطرِّف بن عبد الله: «إني لأَسْتَلْقِي من الليل على فراشي فأتدبر القرآن كله، فأَعرض نفسي على أعمال أهل الجنة فأرى أعمالهم شديدة ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧]، ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤]، ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ [الزمر: ٩]، فلا أرى صفتي منهم؛ فأَعرض نفسي على أعمال أهل النار قالوا ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ۝٤٢ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ۝٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ۝٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٧]، فأرى القومَ مُكَذِّبين فلا أراني فيهم، فأمُر بهذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]، فأرجو أن أكون أنا وأنتم يا إخوتاه منهم»[٢].

وعن نافع قال: «كان ابن عمر يشتري السُّكَّرَ فيتصدق به فنقول له: لو اشتريت لهم بثمنه طعامًا كان أنفع لهم من هذا؟ فيقول: إني أعرف الذي تقولون؛ ولكني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] وابن عمر يحب السُّكَّر!»[٣].

ويقول المُفكِّر محمد إقبال: قد كنت تعمَّدت أن أقرأ القرآن بعد صلاة الصبح كل يوم، وكان أبي يراني فيسألني، ماذا أصنع؟ فأجيبه: أقرأ القرآن.

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٨/ ٢٩٨).

(٣) كتاب تفسير القرآن لابن المنذر (١/ ٢٨٨).

وظل على ذلك ثلاث سنوات متتاليات، يسألني سؤاله فأجيبه جوابي، وذات يوم قلت له: مالك يا أبي: تسألني نفس السؤال، وأجيبك جوابًا واحدًا، ثم لا يمنعك ذلك عن إعادة السؤال من غدٍ؟! فقال: إنما أردت أن أقول لك يا ولدي: اِقرأ القرآن كأنما أُنزل عليك! ومنذ ذلك اليوم بدأت أتفهم القرآن، وأُقْبِل عليه، فكان من أنواره ما اقتبسْتُ، ومن دُرَرِهِ ما نَظَمْتُ»[1].

۞ موانع التدبر:

وقد يَحُول بين العبد وبين التدبر والتفهم أمورٌ، ذكر بعضها حجة الإسلام الغزالي فقال: إنَّ أكثر الناس مُنِعوا عن فهم معاني القرآن لأسباب وحُجُب أَسْدَلَها الشيطان على قلوبهم؛ فعَمِيَت عليهم عجائبُ أسرار القرآن...، وحُجُب الفهم أربعة:

أولها: أن يكون الهَمُّ مُنصرِفًا إلى تحقيق الحروف بإخراجها من مخارجها، وهذا يَتَوَلَّى حِفْظَهُ شَيْطَانٌ وُكِّلَ بِالْقُرَّاءِ لِيَصْرِفَهُمْ عَنْ فَهْمِ معاني كلام الله عَزَّوَجَلَّ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف، يُخَيِّلُ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ مَخْرَجِهِ، فهذا يكون تأَمُّله مقصورًا على مخارج الحروف، فأَنَّى تَنْكشف له المعاني؟

ثانيها: أن يكون مُقلِّدًا لمذهب سمعه بالتقليد، وجَمُد عليه، وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع، فهذا شخص قَيَّدَه معتقدُه عن أن يُجَاوِزَه، فلا يُمكِنه أن يخطر بباله غيرُ معتقدِه، فصار نظرُه موقوفًا على مسموعه، فإنْ لَمَعَ بَرْقٌ على بُعْدٍ، وبَدَا له معنى من المعاني التي تُباين مَسْموعَه، حَمَل عليه شيطانُ

(١) روائع إقبال لأبي الحسن الندوي (ص ٤٢).

التقليد حَمْلةً، وقال: كيف يخطر هذا ببالك، وهو خلاف مُعتقَد آبائك؟! فيرى أن ذلك غرور من الشيطان، فيتباعد منه، ويحترز عن مثله، ولمثل هذا قالت الصوفية: إن العلم حجاب، وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلمات جَدَليَّة حَرَّرَها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم، فأما العلم الحقيقي فكيف يكون حجابًا وهو مُنتهى المطلب؟!

ثالثها: أن يكون مُصِرًّا على ذنب، أو مُتَّصِفًا بكِبْرٍ، أو مُبْتَلًى في الجملة بهوًى في الدنيا مُطاع؛ فإنَّ ذلك سبب ظلمة القلب وصدئه، وهو كالخَبَث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يَتجلَّى فيه، وهو أعظم حجاب للقلب، وبه حُجِب الأكثرون، وكلما كانت الشهوات أشد تراكمًا كانت معاني الكلام أشد احتجابًا، وكلما خَفَّ عن القلب أثقال الدنيا قَرُبَ تَجَلِّي المعنى فيه. فالقلب مثل المرآة، والشهواتُ مثل الصَّدأِ، ومعاني القرآن مثل الصُّور التي تتَرَاءى في المرآة، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تَصْقِيل الجِلاء للمرآة، وقد شرط الله عَزَّوَجَلَّ الإنابة في الفهم والتذكير، فقال تعالى: ﴿تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ ٨﴾ [ق: ٨]، وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [غافر: ١٣].

رابعها: أن يكون قد قرأ تفسيرًا ظاهرًا، واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما، وأنَّ ما وراء ذلك تفسير بالرأي، وأن من فسَّر القرآن برأيه فقد «**تبوَّأ مَقعَدَه من النَّار**[1]»، فهذا أيضًا من الحُجُب العظيمة»[2].

(١) أخرجه أحمد، مسند عبد الله بن العباس، (٣/ ٤٩٦)، برقم (٢٠٦٩)، وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لضعف عبد الأعلى الثعلبي، ومع ذلك فقد حسَّنه الترمذي وصححه ابن القطان.

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥) باختصار.

قال: «فإن الوعيد فيمن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه، فيستجرّ شهادة القرآن إليه، ويحمله عليه، من غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية، لغوية أو نقلية. ولا ينبغي أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسَّر القرآنُ بالاستنباط والفكر؛ فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة، ونعلم أنَّ جميعها غير مسموع من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع، فيكون ذلك مستنبطًا بحُسن الفهم وطول الفكر؛ ولهذا قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللهم فقِّهْهُ في الدين وعلِّمه التأويل»[(١)].

....

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٣٧)، والحديث أخرجه البخاري، كتاب الوضوء، باب وضع الماء عند الخلاء، (١٤٣)، (١ / ٤١). دون قوله: «وعلمه التأويل»، وهو في مسند أحمد بن حنبل (١/ ٢٦٦) تام.

المبحث الثاني
أساليب منهجية في تدبر القرآن الكريم

يَقصِد هذا المبحث إلى محاولة الإجابة على هذا السؤال المهم والمُلِحّ دائمًا: «**كيف نتدبر القرآن؟**».

وله جوابان: إجمالي وتفصيلي؛ أما الأول: فنذكر فيه كيفية التدبر إجمالًا، وأما الثاني: فنُفَصِّل فيها عددًا من الأساليب المنهجية في تدبر القرآن تفصيلًا.

فنقول وبالله التوفيق: لَمَّا كان التدبر هو التأمل والتفكر في كلام الله تعالى، كان طريق مَن يطلبه أن يتفهَّم معاني الآيات، ولا يقف عند ظواهرها القريبة، «وَصِفَةُ ذَلِكَ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِالتَّفْكِيرِ فِي مَعْنَى مَا يَلْفِظُ بِهِ فَيَعْرِفَ مَعْنَى كُلِّ آيَةٍ وَيَتَأَمَّلَ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ وَيَعْتَقِدَ قَبُولَ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ مِمَّا قَصَّرَ عَنْهُ فِيمَا مَضَى اعْتَذَرَ وَاسْتَغْفَرَ وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ اسْتَبْشَرَ وَسَأَلَ أَوْ عَذَابٍ أَشْفَقَ وَتَعَوَّذَ أَوْ تَنْزِيهٍ نَزَّهَ وَعَظَّمَ أَوْ دُعَاءٍ تَضَرَّعَ وَطَلَبَ»(١).

يقول أبو حامد الغزالي: وينبغي أن يَسْتوضِح من كل آية ما يليق بها؛ إذ القرآن يشتمل على ذِكْر صفات الله عَزَّوَجَلَّ وذِكْر أفعاله، وذِكْر أحوال الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وذِكْر أحوال المكذِّبين لهم، وأنهم كيف أُهلِكوا، وذِكْر أوامره وزواجره، وذِكْر الجنة والنار.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦٩).

أما صفات الله عَزَّوَجَلَّ فليتأمل معانيها، لتنكشف له أسرارها، فتحتها معانٍ مدفونة لا تنكشف إلا للموفَّقين، فلْيكُن حريصًا على طلب ذلك الفهم، فإنَّ أعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته؛ إذ لم يُدرِك أكثرُ الخلق منها إلا أمورًا لائقةً بأفهامهم، ولم يعثروا على أغوارها.

وأما أفعاله تعالى: فليَفْهَم التالي منها صفات الله عَزَّوَجَلَّ وجلالَه، إذ الفعل يدل على الفاعل، فتدل عظمته على عظمته، فمن عرف الحق رآه في كل شيء؛ إذ كل شيء فهو منه وإليه وبه وله، ومن لا يراه في كل ما يراه فكأنه ما عَرَفه، ولهذا ينبغي إذا قرأ التالي قوله عَزَّوَجَلَّ ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الواقعة: ٦٣]، ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [الواقعة: ٥٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الواقعة: ٦٨]، ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الواقعة: ٧١] فلا يَقصُر نظره على الماء والنار والحرْث والمَنِيّ؛ بل يتأمل في المَنِيّ وهو نُطفة متشابهة الأجزاء، ثم ينظر في كيفية انقسامها إلى اللحم والعظم، والعروق والعَصَب، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة، من الرأس، واليد، والرِّجل، والكبد، والقلب، وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة، من السمع، والبصر، والعقل، وغيرها، ثم إلى ما ظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب، والشهوة، والكِبر والجهل، والتكذيب، والمجادلة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ [يس: ٧٧]، فليتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عَجَب العجائب، وهو الصفة التي منها صدرت هذه الأعاجيب، فلا يزال ينظر إلى الصَّنعة فيرى الصانع.

وأما أحوال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: فإذا سمع منها كيف كُذِّبوا وضُرِبوا وقُتِل بعضُهم! فليفهم منه صفة الاستغناء لله عَزَّوَجَلَّ عن الرسل والمُرسَل إليهم، وأنه

لو أهلك جميعَهم لم يؤثر في ملكه شيئا. وإذا سمع نُصرتَهم في آخر الأمر؛ فليفهم قدرة الله عَزَّوَجَلَّ وإرادته لنصرة الحق.

وأما أحوال المكذبين كعاد وثمود وما جرى عليهم، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته، وليكن حظُّه منه الاعتبار في نفسه، وأنه إن غفل وأساء الأدب واغْترَّ بما أُمْهِل، فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية.

وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منه؛ لأن ذلك لا نهاية له، وإنما لكل عبد بقدر رزقه ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ١٠٩﴾ [الكهف: ١٠٩]، فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فأما الاستقصاء فلا مَطمَع فيه»[١].

هذا ما يتعلق بكيفية التدبر إجمالًا، فأما التفصيل فيظهر في هذه الأساليب المنهجية التي نذكرها بإذن الله تعالى مقرونة بنماذج تطبيقية توضح المراد بها، على أنه لا يحتاج إلى تنبيه أن نقول: إن أساليب التدبر ليست محصورة فيما نذكر، وإن بإمكان الباحث والقارئ استنباط أساليب جديدة أو اكتشافها لدى السابقين من العلماء والربانيين.

أولًا- الاعتبار:

ولفظ الاعتبار مأخوذ من العبور وهو المجاوزة من شيء إلى شيء، ولهذا سميت العَبرة عَبرة؛ لأنها تنتقل من العين إلى الخد. وعلى هذا فقد قيل:

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٣) باختصار.

الاعتبار هو النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها؛ ليُعرف بالنظر فيها شيءٌ آخر من جنسها.»[١]، وقيل: هو النظر في الشيء ليُعرف به جنسُه ومثلُه[٢].

وقد أمر الله بالاعتبار في قوله: ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ٢﴾ [الحشر: ٢]، ودلنا على مواطن العبرة في آياتٍ، منها قوله ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف: ١١١]، يعني: الرسل والأنبياء. قال الغزالي: «وأكثر أسرار القرآن مُخَبَّأة في طَي القصص والأخبار، فكن حريصا على استنباطها؛ ليُكشَف لك فيه من العجائب ما تستحقر معه العلوم المُزخرفة الخارجة عنه»[٣].

وقيل: «إذا أخبر الله سبحانه بغضبه على قوم وعقابه إياهم، فظاهر ذلك: إخبارٌ عنهم، وباطنُه: عظة وتنبيه لمن يقرأ ويسمع من الأمة»[٤].

فمن الاعتبار أن يَعْبُرَ بالآية عمن نزلت فيه من الكفار والمنافقين مثلًا إلى غيرهم، فإن مَن فَعَل فِعْلَهم لا يَأْمَن أن يُعاقَب عقابَهم. وقد قال بعض المفسرين: كل آية في الكفار تَجُرُّ ذيلَها على عُصاة المؤمنين»[٥].

قال القرطبي: فإن قيل: فعلى هذا يجوز الاستدلال على المسلمين بما أنزل في الكافرين، ومعلوم أن أحكامهم مختلفة؟ قيل له: لا يستبعد أن يُنتزع مما أنزل الله في المشركين أحكامٌ تليق بالمسلمين. وقد قال عمر: إنا لو شئنا لاتخذنا سلائق وشواء، وتوضع صحفة وترفع أخرى، ولكنا سمعنا قول الله تعالى:

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٢٩/ ٥٠٤).

(٢) تفسير السمعاني (٥/ ٣٩٧).

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٤٣).

(٤) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لأبي الحسن المباركفوري (٧/ ٢٠٧) بتصرف يسير.

(٥) - البحر المديد (٣/ ٢٨٣).

﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]. وهذه الآية نص في الكفار، ومع ذلك ففهم منها عمر الزجرَ عما يناسب أحوالهم بعض المناسبة، ولم يُنكِر عليه أحد من الصحابة»[١].

وروي عن جابر قال: رأى عمر لحمًا معلقًا في يدي فقال: ما هذا يا جابر؟ فقلت: اشْتَهيتُ لحما فاشتريته، فقال: أوَ كلما اشتهيتَ اشتريتَ يا جابر؟ أما تخاف هذه الآية ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنۡيَا وَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِهَا﴾ [الأحقاف: ٢٠][٢].

ومن الاعتبار أن يتجاوز المرء خصوص الآية ليُعَمِّمَها على ما يشابهها من أحوال وأشخاص.

وقد يكون هذا التعميم في الأشخاص وقد يكون في الأحوال. أما الأشخاص فما نزل في شخص يَعمُّ كل شخص مثله يكون إلى يوم القيامة.

يقول الماتريدي: الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء: ١٧١] في حقيقة المعنى للخلق كلهم؛ لأن على كل الخلائق ألا يَغْلُوا في دينهم»[٣].

ويقول ابن القيم: سورة التكاثر سورة مكية نزلت خطابًا لقوم لا يؤمنون بالبعث والنشور، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ لأبى بكر وعمر وقد أكلوا لحم شاة: والذى نفسى بيده لتُسألُنَّ عن هذا النعيم يوم القيامة! أخرجكم من بيوتكم

(١) الجامع لأحكام القرآن (٨/ ٩٢).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب: صفة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، باب: ما جاء في أكل اللحم، (٥/ ١٣٧٠)، رقم: (٣٤٥١).

(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي (٣/ ٤٢٥).

الجوع، ثم لم تَرْجِعوا حتى أصابكم هذا النعيم!»[1]، فهذا الحديث الصحيح صريح في تعميم الخطاب وأنه غير مختص بالكفار، وأيضًا فالواقع يشهد بعدم اختصاصه، وأن الإلهاء بالتكاثر واقع من المسلمين كثيرا، بل أكثرهم قد ألهاه التكاثر، وخطاب القرآن عام لمن بلَغه، وإن كان أول من دخل فيه المعاصرين لرسول الله فهو متناوِل لمَن بَعدَهم وهذا معلوم بضرورة الدين...فالخطاب للإنسان من حيث هو إنسان»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩] يقول الشنقيطي: الظاهر أنهم اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار، الذين خَلَفوا أنبياءهم وصالحيهم قبل نزول الآية فأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات. وعلى كل حال؛ فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات يدخلون في الذم والوعيد المذكور في هذه الآية»[3].

وأما التعميم في الأحوال، فما نزل في حال ينبغي أن يَعُمَّ ما يماثلها من أحوال، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ ١٢١﴾ [الأنعام: ١٢١] قال أهل النظر: في هذا دليل على أن مَن أحلَّ ما حرم الله، أو حرَّم ما أحلَّ الله فقد أشرك»[4].

(١) أخرجه مسلم: كتاب: الأشربة، باب: جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه بذلك، (٣/ ١٦٠٩)، رقم: (٢٠٣٨).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٩١).

(٣) أضواء البيان (٤ / ٣٠٨).

(٤) معاني القرآن للنحاس (٢/ ٤٨٢).

وعن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الصلاة مِكْيال، مَن أَوفَى أُوفِي له، ومَن طَفَّف فقد علمتم ما للمطففين»[1]. فهذه آية في التجارة؛ أخذنا منها فائدة في الصلاة.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: حَذارِ حَذارِ من التهاون بالأمر إذا حضر وقته، فإنك إنْ تهاونت به ثبَّطَك اللهُ وأقعدك عن مَراضيه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ٨٣﴾ [التوبة: ٨٣].»[2] فهذه آية وردت في القعود عن الجهاد؛ أخذنا منها حرمة القعود عن شيء من مَراضي الله جملة، وعقوبة ذلك.

ثانيًا- المقارنة:

وهي أن يجمع ويَقرِن بين آيتين في موضوع واحد؛ فيظهر له من المعاني ما لا يظهر في واحدة منهما، ومن ذلك ما فعله سهل بن عبد الله حين قرن بين قوله تعالى في حق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ١٣﴾ [محمد -١٣]، وبين قوله تعالى في حق موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١﴾ [القصص: ٢١]، وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: في الآية الأولى دليل على تفضيله على الكليم، لأنه لم يخرج خوفًا منهم، كما خرج موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ولكنه [أُخرِج][3]، كما قال الله تعالى: ﴿أَخْرَجَتْكَ﴾، ولم يقُل خَرجتَ ولا جَزِعت»[4].

(١) -مصنف عبد الرزاق: كتاب الصلاة، باب المحافظة على الأوقات (٢/ ٣٧٣)، (٣٧٥٠)، وانظر: الدر المنثور: (٨ / ٤٤٢).

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ٦٩٩). وانظر للاستزادة: الفوز الكبير في أصول التفسير للدهلوي (ص: ١٩١)، وفصول في أصول التفسير لمساعد الطيار (ص: ١١١).

(٣) في الأصل «ولكنه خرج»، ولعل الصواب ما أثبته.

(٤) تفسير التستري: ١٤٦.

قال الجاحظ: وفي القرآن معانٍ لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس»[1]. فينبغي أن يبحث عن حكمة هذا الاقتران، والمعاني المقصودة من التزامه.

فمن قرائن القرآن ما ذكره الإمام فخر الدين الرازي حيث قال: واعلم أنه تعالى قرن إلزام بر الوالدين بعبادته وتوحيده في مواضع:

أحدها: في هذه الآية: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

وثانيها: قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وثالثها: قوله: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤﴾ [لقمان: ١٤].

قال: وكفى بهذا دلالة على تعظيم حقهما ووجوب برهما والإحسان إليهما»[2].

وبين الإمامُ الحكمةَ في هذا الاقتران فكان مما قال: «إنما أَرْدفَ عبادة الله بالإحسان إلى الوالدين لوجوه:

أحدها: أن نعمة الله تعالى على العبد أعظم، فلا بد من تقديم شكره على شكر غيره، ثم بعد نعمة الله فنعمة الوالدين أعمُّ النِّعم، وذلك لأن الوالدين

(١) البيان والتبيين (١/ ٤٢).
(٢) التفسير الكبير (١٠/ ٧٦).

هما الأصل والسبب في كون الولد ووجوده، كما أنهما مُنْعِمان عليه بالتربية، وأما غير الوالدين فلا يصدر عنه الإنعام بأصل الوجود، بل بالتربية فقط، فثبت أنَّ إنعامهما أعظم وجوه الإنعام بعد إنعام الله تعالى.

وثانيها: أنَّ الله سبحانه هو الْمُؤَثِّرُ في وجود الإنسان في الحقيقة، والوالدان هما المؤثران في وجوده بحسب العُرف الظاهر، فلما ذكر المؤثر الحقيقي أَردفَه بالْمُؤَثِّر بحسب العرفُ الظاهر.

وثالثها: أنَّ الله تعالى لا يطلب بإنعامه على العبد عِوضًا أَلْبَتَّةَ، بل المقصود إنما هو مَحْضُ الإنعام، والوالدان كذلك؛ فإنهما لا يطلبان على الإنعام على الولد عِوضًا ماليًّا ولا ثوابًا، فإن مَنْ يُنْكِرُ الْمِيعَادَ يُحْسِنُ إلى ولده ويربيه، فمن هذا الوجه أَشْبَهَ إِنْعَامُهُمَا إِنْعَامَ اللهِ تعالى.

الرابع: أنَّ الله تعالى لا يَمَلُّ من الإنعام على العبد، ولو أتى العبدُ بأعظم الجرائم، فإنه لا يقطع عنه موادَّ نعمه ورَوادِفَ كرمه، وكذا الوالدان لا يَمَلَّان الولدَ ولا يقطعان عنه موادَّ مِنَحِهما وكرمِهما، وإن كان الولدُ مُسيئًا إلى الوالدين...»[1].

ومن قرائن القرآن؛ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة:٥]، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَانَ الْأَصْلَانِ وَهُمَا التَّوَكُّلُ، وَالْعِبَادَةُ قَدْ ذُكِرَا فِي الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ، قُرِنَ بَيْنَهُمَا فِيهَا، هَذَا أَحَدُهَا.

الثَّانِي: قَوْلُ شُعَيْبٍ ﴿وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

(١) التفسير الكبير (٣/ ٥٨٦).

الثَّالِثُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود: ١٢٣].

الرَّابِعُ: قَوْلُهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾﴾ [الممتحنة: ٤].

الْخَامِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المزمل: ٨].

السَّادِسُ: قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾﴾ [الرعد: ٣٠].

قال: فَهَذِهِ سِتَّةُ مَوَاضِعَ يُجْمَعُ فِيهَا بَيْنَ الْأَصْلَيْنِ، وَهُمَا «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥].

قال: وَسِرُّ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ، وَالْكُتُبِ وَالشَّرَائِعِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ انْتَهَى إِلَى هَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ، وَعَلَيْهِمَا مَدَارُ الْعُبُودِيَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، حَتَّى قِيلَ: أَنْزَلَ اللهُ مِائَةَ كِتَابٍ وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، جَمَعَ مَعَانِيَهَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ هَذِهِ الْكُتُبِ الثَّلَاثَةِ فِي الْقُرْآنِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ فِي الْمُفَصَّلِ، وَجَمَعَ مَعَانِيَ الْمُفَصَّلِ فِي الْفَاتِحَةِ، وَمَعَانِيَ الْفَاتِحَةِ فِي ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥]»(١).

(١) مدارج السالكين (١/ ٩٥).

ثالثًا- المقابلة:

وهي أن يجمع القارئ بين الآية وما يقابلها من آيات فيظهر له من المعاني ما خفي عنه، فإن الأشياء بضدِّها تتميز، والفرق بينها وبين المقارنة أن الأولى تكون بين الآيات المتوافقة في الموضوع، وهذه تكون بين المتقابلات.

ومن أمثلة المقابلة ما ذكره القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حيث قال: يُقَالُ: إِنَّ مَنْ أُعْطِيَ الْحِكْمَةَ وَالْقُرْآنَ فَقَدْ أُعْطِيَ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ مَنْ جَمَعَ علم كتب الأولين مِنَ الصُّحُفِ وَغَيْرِهَا، لِأَنَّهُ قَالَ لِأُولَئِكَ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥] وقال عن القرآن ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وقال بعض الحكماء: مَنْ أُعْطِيَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَ نَفْسَهُ، وَلَا يَتَوَاضَعَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ دُنْيَاهُمْ، فَإِنَّمَا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مَا أُعْطِيَ أَصْحَابُ الدُّنْيَا، لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمَّى الدُّنْيَا مَتَاعًا قَلِيلًا، فقال: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، وسَمَّى العلمَ والقرآنَ ﴿خَيْرًا كَثِيرًا﴾ فقال ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]»[١].

وقال الفخر الرازي: ثم تفكَّر أن الله تعالى ما أعطَى من العلم إلا القليل، قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ٨٥﴾ [الإسراء: ٨٥]، وسَمَّى الدنيا بأَسْرِها قليلًا ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء: ٧٧]، فما سمّاه قليلًا لا يُمْكِنُنا أن نُدرِك كمِّيته، فما ظنك بما سمَّاه كثيرًا!»[٢].

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٣٣٠) بتصرف.
(٢) التفسير الكبير (٢/ ٤٠٠).

رابعًا- التركيب:

ونعني به أن الفائدة قد تُؤْخَذ من تركيب آيتين أو أكثر معًا، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْمَقْصُودُ تَفَاوُتُ النَّاسِ فِي مَرَاتِبِ الْفَهْمِ فِي النُّصُوصِ، وَأَنَّ مِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ حُكْمًا أَوْ حُكْمَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنْهَا عَشَرَةَ أَحْكَامٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ فِي الْفَهْمِ عَلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ دُونَ سِيَاقِهِ، وَدُونَ إيمَائِهِ وَإِشَارَتِهِ وَتَنْبِيهِهِ وَاعْتِبَارِهِ، وَأَخَصُّ مِنْ هَذَا وَأَلْطَفُ ضَمُّهُ إلَى نَصٍّ آخَرَ مُتَعَلِّقٍ بِهِ فَيَفْهَمُ مِنْ اقْتِرَانِهِ بِهِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ بِمُفْرَدِهِ، وَهَذَا بَابٌ عَجِيبٌ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ لَا يَتَنَبَّهُ لَهُ إلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، فَإِنَّ الذِّهْنَ قَدْ لَا يَشْعُرُ بِارْتِبَاطِ هَذَا بِهَذَا وَتَعَلُّقِهِ بِهِ.

وَهَذَا كَمَا فَهِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف: ١٥] مع قوله: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة: ٢٣٣] أَنَّ الْمَرْأَةَ قَدْ تَلِدُ لِسِتَّةِ أَشْهُرٍ»[1].

ويقول النيسابوري: قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧-٨] مع قوله ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨] ظاهر في أن العلماء بالله هم خير البرية، اللهم اجعلنا منهم»[2].

(١) إعلام الموقعين (١/ ٣٥٤).

(٢) غرائب القرآن للنيسابوري (٦/ ٥٤٥).

ويقول الفيروز آبادي: واعلم أن الشكوى إلى الله عَزَّوَجَلَّ لا تنافي الصبر؛ فإن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَدَ بالصبر الجميل، والنبيُّ إذا وَعَدَ لا يُخلِف، ثم قال: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] وكذلك أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ أخبر الله عنه أنه وجده صابرًا، مع قوله: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وإنما ينافي الصبرَ شكوى الله، لا الشكوى إلى الله؛ كما رأى بعضُهم رجلًا يشكو إلى آخر فاقةً وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك!»[١].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، فقد ذهب بعض العلماء إلى أنها دالَّة على تحريم الخمر، وذلك أن الآية دالَّة على أن الخمر مشتملة على الإثم، والإثم حرام لقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٣٣]، فكان مجموع هاتين الآيتين دليلًا على تحريم الخمر[٢].

وقد يُستعمل هذا التركيب بشكل أوسع من مجرد آيتين أو ثلاث إلى عملية «ربط للجزئيات بكلياتها، أي أنك تقرأ القرآن وأنت تربط جزئياته بالكليات فيتكوَّن في ذهنك هرم تصاعدي حتى تصل إلى الغايات، أو المقاصد، ثم تُوحِّد بينها حتى تصل إلى المقاصد الكبرى»[٣].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (ص: ٩٨٢).

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٢٩٢)، و التفسير الكبير (٦/ ٣٩٩).

(٣) عشر رسائل من أجل فهم أفضل للقرآن الكريم، لمصطفى الحسن، مقال منشور على موقع https://www.facebook.com/notes/396908123679018.

خامسًا- ملاحظة مواقع الأسماء الحسنى ومناسباتها:

يقول الغزالي: وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عَزَّوَجَلَّ وصفاته، إذ لم يُدرك أكثر الخلق منها إلا أمورًا لائقةً بأفهامهم، ولم يعثروا على أغوارها»[(١)].

فمن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: ٤١]، قال أبو جعفر النحاس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الآية سؤال يقال هذا موضع قدرة فكيف قال ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾؟ فالجواب: أنهم لما قالوا ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨﴾ [مريم: ٨٨] كادت الجبال تزول، وكادت السموات يَنْفَطِرن، وكادت الأرض تَخِرُّ لِعظَم ما قالوا فأَسْكنها الله -جل وعز-، وأخَّر عقابهم، وحَلُم عنهم؛ فذلك قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾[(٢)] وقال ابن جرير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الله كان حليمًا عمَّن أشرك وكفر به مِن خَلْقِه في تركه تعجيلَ عذابه له، غفورًا لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يُرضيه»[(٣)].

وفي قوله تعالى على لسان عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في شأن من اتخذوه إلهًا من دون الله: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، تراه قال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ولم يقُل: فإنك أنت الغفور الرحيم. قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأنه قصَدَ التسليم لأمره والتفويض لحُكمه. ولو قال: فإنك أنت الغفور الرحيم لَأَوْهَم الدعاءَ بالمغفرة لمن مات على شركه، وذلك مستحيل»، وقال

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٣).

(٢) معاني القرآن - النحاس (٥/ ٤٦٥).

(٣) جامع البيان (٢٠/ ٤٨٢).

ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحدٍ أن يعترض عليك، فإن عذَّبتَهم، فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم -ولستَ فاعلاً إذا ماتوا على الكفر- فلا اعتراض عليك. وقال غيره: العفو لا يَنْقُص عزَّك، ولا يخرج عن حكمك.»[1]

۞ سادسًا- ملاحظة الترتيب:

فإن للترتيب في القرآن حكمة، وللتقديم والتأخير معنى، والموفَّق من هُدِيَ إليه. يقول عبد القاهر الجرجاني: وهو باب كثير الفوائد، جَمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويُفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شِعرًا يروقك مَسمَعُه، ويلْطُف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطُف عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللفظُ عن مكانٍ إلى مكان»[2]. ففي قوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة: ٤٣] قال بعض السلف: سمعتم بمُعاتَبة أحسن من هذا؟! بدأ بالعفو قبل المعاتبة»[3].وقال ابن عطية: قَدَّم له ذِكرَ العفو قبل العتاب إكرامًا له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ»[4].

وفي قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة: ٨٢] يقول أبو السعود: في تقديم اليهود على المشركين بعد

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦/ ٣٧٨)، زاد المسير في علم التفسير (١/ ٦٠٦) وللدكتور على بن سليمان العبيد بحثان طيبان عن ختم الآيات بالأسماء الحسنى ودلالتها أحدهما نظري والآخر تطبيقي درس فيه الفاتحة والبقرة.

(٢) دلائل الإعجاز (١/ ١٠٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم (٦/ ١٨٠٥).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ٣٨).

لَزِّهما في قَرَنٍ واحد إشعارٌ بتقدمهم عليهم في العداوة، كما أن في تقديمهم عليهم في قوله تعالى ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٩٦] إيذانًا بتقدمهم عليهم في الحرص»[(١)].

وفي قوله تعالى ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧] قال ابن عطية: في تقديم ﴿رِجَالًا﴾ تفضيل للمُشاة في الحج، قال ابن عباس: ما آسَى على شيء فاتني إلا أن أكون حججت ماشيًا، فإني سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾»[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النحل: ٣١] قال البيضاوي: وفي تقديم الظَّرف ﴿فِيهَا﴾ تنبيه على أن الإنسان لا يجد جميع ما يريده إلا في الجنة»[(٣)].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴿٣٢﴾﴾ [فاطر: ٣٢] قيل: قدَّم الظالم لئلا يَيْأَس من رحمته، وأَخَّر السابق لئلا يُعْجَب بعمله. وقيل: إنما رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس، لأنّ أحوال العبد ثلاث: معصية، وغفلة، ثم توبة وقُرْبة. فإذا عصى دخل في حيِّز الظالمين، وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين، وإذا صحَّت التوبة، وكثُرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين. وقيل: في تقديم الظالم ثم المقتصد إيذانٌ بأن المقتَصدِين أكثر من

(١) إرشاد العقل السليم (٣/ ٧١).

(٢) المحرر الوجيز (٤/ ١١٨).

(٣) أنوار التنزيل (٣/ ٢٢٥).

السابقين. والظالمون أكثر الأقسام، كما قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣﴾ [سبأ: ١٣]»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾ [هود: ١٢٣] يقول أبو السعود: الفاء لترتيب الأمر بالعبادة والتوكل على كون مرجع الأمور كلها إلى الله تعالى، وفي تأخير الأمر بالتوكل عن الأمر بالعبادة إشعار بأنه لا ينفع دونها»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] قالوا: في تقديم (عَدُوِّى)، إشارة إلى أنه المهم، وإن فُرِض أن لم يكن عدوًا لهم»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ٦﴾ [العاديات: ٦] يقول نظام الدين النيسابوري: في تقديم الظَّرف مزيد تقريع! يعني أنه لِنعمة ربه خصوصًا لَشديدُ الكُفران، فكيف نعمة غيره مثل الأبوين ونحوهما؟!»[٤].

سابعًا- ملاحظة التقسيم:

فإن من يقرأ قوله تعالى: ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ٢٠٠ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١]

(١) الكشف والبيان للثعلبي (٨/ ١٠٨)، غرائب القرآن للنيسابوري (٥/ ٥١٧).
(٢) إرشاد العقل السليم (٤/ ٢٤٩).
(٣) غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني لشهاب الدين الكوراني (ص: ١٤٢).
(٤) غرائب القرآن للنيسابوري (٦/ ٥٥٠).

يَلْحظُ أنَّ ثَمَّة قسمًا ثالثًا لم يُذْكَر، وهو من يسأل اللهَ الآخرةَ فحسب، فينبغي عليه أن يبحث عن الحكمة في السكوت عنه. قال الرازي: واختلفوا في أن هذا القسم هل هو مشروع أو لا؟ والأكثرون على أنه غير مشروع؛ وذلك أن الإنسان خُلِق محتاجًا ضعيفًا، لا طاقة له بآلام الدنيا، ولا بمشاقِّ الآخرة، فالأَوْلَى له أن يستعيذ بربه من كل شرور الدنيا والآخرة، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَادَ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ، أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟». قَالَ نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ: اللَّهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سُبْحَانَ اللهِ لاَ تُطِيقُهُ -أَوْ لاَ تَسْتَطِيعُهُ-، أَفَلاَ قُلْتَ: ﴿ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ٢٠١﴾ [البقرة: ٢٠١]، قَالَ:» فَدَعَا اللهَ لَهُ فَشَفَاهُ»[(١)]. واعلم أنه سبحانه لو سلَّط الألم على عِرْق واحد في البدن، أو على مَنْبت شَعْرةٍ واحدةٍ لشَّوش الأمر على الإنسان، وصار بسببه محرومًا عن طاعة الله تعالى، وعن الاشتغال بذكره، فمن ذا الذي يستغني عن إمداد رحمة الله تعالى في أُولاه وعُقْباه؟. فثبت أن الاقتصار في الدعاء على طلب الآخرة غير جائز، وفي الآية إشارة إليه حيث ذكر القسمين وأهمل هذا القسم الثالث»[(٢)].

ومنه قوله تعالى في قصة أصحاب السبت: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥]، ينبغي الالتفات إلى أن ثَمَّةَ قِسمًا ثالثًا وهم

(١) أخرجه مسلم في الصحيح: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة في الدنيا (٤/ ٢٠٦٨)، (٢٦٨٨).

(٢) التفسير الكبير (٥/ ٣٣٦).

الساكتون المذكورون في قوله ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فما شأنهم؟. عن عكرمة أنه رأى ابن عباس قرأها فبكى ثم قال: أرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجَوا، ولا أرى الآخرين ذُكِروا، ونحن نرى أشياء نُنْكِرُها فلا نقول فيها! قال: قلتُ: إنَّ جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ﴾؟ قَالَ: فأَمر بِي فَكُسِيتُ بُرْدَيْنِ غَلِيظَيْنِ»[(١)].

❁ ثامنًا- ملاحظة مفهوم العبارة:

فكما أن للكلام دلالة بمنطوقه، كذلك له دلالة بمفهومه، ويقصد بالمنطوق: ما فهم من دلالة اللفظ قطعًا في محل النطق، وبالمفهوم: ما فُهم من اللفظ في غير محل النطق، وهو نوعان، أحدهما: مفهوم الموافقة: وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت موافقًا لمدلوله في محل النطق، وثانيهما: مفهوم المخالفة وهو ما يكون مدلول اللفظ في محل السكوت مخالفًا لمدلوله في محل النطق»[(٢)].

فمن ملاحظة مفهوم الموافقة أنْ يلاحظ القارئ تنبيه الآيات بالأدنى على الأعلى وبالأعلى على الأدنى.

فأما التنبيه بالأدنى على الأعلى فنحو قوله تعالى: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٨] قال الفضيل: لم تتَزَيَّن العبادُ بشيءٍ أفضل من الصدق،

(١) جامع البيان للطبري (١٣/ ١٨٩)، وقال الشيخ شاكر: «إنَّ» في قول عكرمة بمعنى نعم، يعنى: إنه قد كان، وإنهم قد نجوا.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ٦٩).

والله عَزَّوَجَلَّ سائلٌ الصادقين عن صدقهم، فكيف بالكذابين المساكين؟! ثم بكى»[١].

وقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] يقول أبو جعفر النحاس: فإنْ قيل ما الفائدة في كتبه وهو يعلمه؟ فالجواب عن هذا: أنه لتعظيم الأمر، أي اعلموا أنَّ هذا الذي ليس فيه ثواب ولا عقاب مكتوب، فكيف بما فيه ثواب وعقاب»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣ - ٤٥] قال يحيى بن معاذ: هذا رِفْقُكَ بمن يَدَّعِي الربوبية فكيف رِفْقُكَ بمن يَدَّعِي العبودية؟ وقيل: هذا رِفْقُكَ بمن آذاك، فكيف رِفْقُكَ بمن يُؤذَى فيك! وهذا رِفْقُكَ بمن عاداك، فكيف رِفْقُكَ بمن عادى فيك؟ وهذا رِفْقُكَ مع أعدائك فكيف رِفْقُكَ مع أوليائك؟»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ [الرحمن: ٥٤] قال ابن كثير: نبه على شرف الظهارة بشرف البطانة، وهذا من التنبيه بالأدنى على الأعلى.

عن عبد الله بن مسعود قال: «**هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظواهر؟**»[٤]

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٨/ ٤٤).
(٢) معاني القرآن (٢/ ٤٣٧)
(٣) حقائق التفسير لأبي عبد الرحمن السلمي (١/ ٤٤٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٧/ ٥٠٣)

وأما التنبيه بالأعلى على الأدنى فنحو قوله تعالى ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥] يقول أبو جعفر النحاس: هذا حُكْم الله فيمن عصاه من الأنبياء فكيف غيرهم»(١).

ونحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٦] يقول السمرقندي: معناه: لو زاد حرفًا واحدًا على ما أَوْحَيْتُه إليه أو نَقَص، لعاقبتُه، وكان هو أكرم الناس عليَّ. وفي الآية تنبيه لغيره، لكيلا يغيروا شيئًا من كتاب الله تعالى، ولا يَتَقَوَّلوا فيه شيئًا من ذات أنفسهم»(٢).

ونحو قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [لقمان: ٣٣]، قال صِدِّيق خان: ذكر سبحانه هنا فَرْدَين من القَرابات، وهما الوالد والولد، وهما الغاية في الحُنوِّ والمحبة والشفقة على بعضهم البعض، فما عداهما من القَرابات لا يَجزي بالأولى، فكيف بالأجانب»(٣).

ومن ملاحظة مفهوم المخالفة في قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥]، يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في حال الرضا»(٤).

(١) معاني القرآن للنحاس (٤/ ١٧٩).

(٢) تفسير السمرقندي (٣/ ٤٩٣).

(٣) فتح البيان في مقاصد القرآن (١٠/ ٣٠٢).

(٤) معرفة السنن والآثار للبيهقي (١/ ١٩٢).

ويقول ابن تيمية: قوله: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦]، له دلالة بمنطوقه، ودلالة بإيمائه وتعليله[١]، ودلالة بمفهومه: فدلالته بمنطوقه على قرب الرحمة من أهل الإحسان، ودلالته بتعليله وإيمائه على أن هذا القرب مُستَحق بالإحسان؛ فهو السبب في قرب الرحمة منهم، ودلالته بمفهومه على بُعْد الرحمة من غير المحسنين؛ فهذه ثلاث دلالات لهذه الجملة»[٢].

وفي قوله تعالى في صفة الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدثر: ٤٨]، يقول الرازي: خصَّهم بذلك، فوجب أن يكون حال المسلم بخلافه بناء على مسألة دليل الخطاب»[٣].

۞ تاسعًا- ملاحظة العلاقة بين العمل وجزائه:

إذا قرأت جزاءً فلاحظ العمل قبله، فإن الجزاء من جنس العمل. يقول الحسن -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: إن الناس أخفوا لله طاعة؛ فأخفى لهم ثوابًا ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]، وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾﴾ [ص: ٥٧]، يقول: «الغسَّاق» عذاب لا يعلمه إلا الله تعالى»[٤].

---

(١) دلالة الإيماء: أن يقترن اللفظ بوصف، لو لم يكن هو أو نظيره للتعليل لكان بعيدا، فيحمل على التعليل دفعا للاستبعاد. إرشاد الفحول للشوكاني (٢/ ١٢١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ٢٧).

(٣) التفسير الكبير لفخر الدين الرازي (٣/ ٥٧)

(٤) الكشاف للزمخشري (٤/ ١٠٢)، وعن أبي هبيرة الزيادي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: أيّ شيء الغسَّاق؟ قالوا: الله أعلم، فقال عبد الله بن عمرو: هو القَيْح الغليظ، لو أن قطرة منه تُهَراقُ =

ويقول ابن الجوزي: ومن عجائب الجزاء في الدنيا أنه لمَّا امْتَدَّت أيدي الظلم من إخوة يوسف ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠] امْتَدَّت أَكُفُّهم بين يديه بالطلب، يقولون: ﴿وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ﴾ [يوسف: ٨٨]»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾، يقول السعدي: فأولئك ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾ أي: يُبعِدهم ويَطردُهم عن قُرْبه ورحمته، ﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فَجُوزوا من جنس عملهم، كما أن مُعَلِّم الناس الخير، يُصلِّي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فَجُوزِي من جنس عمله»[(٢)].

۞ عاشرًا- ملاحظة شروط الوعد وأسباب الوعيد:

إذا قرأت وعدًا فلاحظ شرطه المُقتَرِن به، فقَلَّما كان الوعد إلا مشروطًا، وكذا الوعيد. يقول الغزالي: لا يُرَى ذكرُ المغفرة والرحمة إلا مقرونًا بشروط يَقْصُر العارف عن نَيْلها كقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ﴾، ثم أتبع ذلك بأربعة شروط: ﴿لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢]، وقوله تعالى:

= في المغرب لأنتنت أهل المشرق، ولو تُهْرَاقُ في المشرق لأنتنت أهل المغرب. وقال ابن قتيبة: الغسّاق: ما يَسيل من جلود أهل النار وهو الصديد. يقال: غَسَقتْ عينُه؛ إذا سالتْ. جامع البيان للطبري (٢١/ ٢٢٧)، وغريب القرآن لابن قتيبة (ص: ٣٨١).

(١) صيد الخاطر (١٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٧).

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر:١-٣]، ذكر أربعة شروط. وحيث اقتصر ذكر شرطًا جامعًا، فقال تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦]، فالإحسان يجمع الكُلّ»[(١)].

وعن الوليد بن مسلم قال: أَضَاف بأبي شيخٌ من أهل الحجاز، فبات ليلته يردد هذه الآية ويبكي إلى الصباح «﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾[آل عمران: ١٣٣]» فلمَّا غدا إلى المسجد غَدَوتُ معه، فقلت له: يا عَمِّ، لقد أبكتك الليلة آيةٌ ما يُبكَى عند مثلها! إنها آية رحمة! فقال لي: يا ابن أخي، وما ينفعني أو يُغني عني عَرْضُها إن لم يكن لي فيها مَوضِعُ قَدَمٍ»[(٢)].

وعلى قدر الوفاء بالشَّرط يكون تحقُّق الوعد، فمن وَفَّى وَفَّى اللهُ له ومن نقص فلا يلومَنَّ إلا نفسه، قال ابن القيم: فمن كان عبدًا لله قائمًا بحقه في المكروه والمحبوب؛ فذلك الذي تناوله قوله تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، فالكِفاية التامة مع العبودية التامة، والناقصة [مع الناقصة]، فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه.»[(٣)]

وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾ [الحج: ٣٨]، دفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكمالِه، ومادةُ الإيمان وقوتُه بذكر الله تعالى، فمن

(١) -الإحياء (١/ ٢٨٥).
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٢٣٦).
(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٦) باختصار.

كان أكمل إيمانًا، وأكثر ذكرًا؛ كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم، ومن نقص نقص، ذكرًا بذكر ونسيانًا بنسيان.»(١)

وهذا مَبني على قاعدة مُفادُها: أن «الحكم المُعَلَّق على وصف يَقوَى بقوته، ويَنقُص بنقصه».(٢)

وفي قوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج: ١٠] يقول الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انظروا إلى هذا الكرم والجود، قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»(٣).

الحادي عشر- ملاحظة فروق التعبير:

ما زال العلماء يستنبطون المعاني الدقيقة، واللطائف الخفية من ملاحظة الفروق اللغوية والأسلوبية بين كلمات القرآن وآياته، وقد تكون هذه الفروق بين ألفاظ القرآن أو بين تراكيبه، وقد تكون واضحة قريبة الفهم تُدرَك بأدنى تأمُّل، وقد تَدِق حتى لا يدركها إلا الماهر بأساليب العرب العالم بدقائق كلامها.

ويساعد القارئ على التَمرُّس بهذا الأسلوب إتقان علوم البلاغة العربية، ودراسة كتاب أو أكثر من كتب الفروق اللغوية.

فمن ذلك ما تراه من الفرق بين قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ٧١﴾، وقوله ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا ٧٣﴾، قال ابن عطية

(١) المرجع السابق (ص: ٧٢).

(٢) قواعد التفسير جمعا ودراسة، د.خالد السبت (٢/ ٤٥).

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٨/ ٢٧١).

في الأولى: والكلام هنا يقضي أنَّ فتحها إنما يكون بعد مجيئهم، وفي وقوفهم قبل فتحها مَذَلَّة لهم، وهكذا هي حال السجون، ومواضع الثِّقاف والعذاب، بخلاف قوله في أهل الجنة ﴿وَفُتِحَتْ﴾، فالواو مُؤذِنة بأنهم يجدونها مفتوحة، كمنازل الأفراح». قال الزمخشري: بدليل قوله تعالى ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوابُ﴾ [ص: ٥٠](١).

ومنها ما ذكره الفخر الرازي حيث قال: ما السبب في أنه لم يقل: (قل) ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١﴾ [المسد: ١]؟ وقال في سورة الكافرون ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ [الكافرون: ١]؟ الجواب: من وجوه الأول: لأن قرابة العمومة تقتضي رعاية الحرمة، فلهذا السبب لم يقل له «قل ذلك» لئلا يكون مشافهًا لعمه بما يسوؤه، بخلاف السورة الأخرى فإن أولئك الكفار ما كانوا أعمامًا له.

الثاني: أن الكفار في تلك السورة طعنوا في الله، فقال الله تعالى: يا محمد أجب عنهم ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١﴾. وفي هذه السورة طعنوا في محمد، فقال الله تعالى: اسكت أنت فإني أجيبهم ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١﴾.

الثالث: لما شتموك فاسكت؛ حتى تندرج تحت هذه الآية ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ٦٣﴾ [الفرقان: ٦٣] وإذا سكتَّ أنت، أكون أنا المجيب عنك، واعلم أن هذا تنبيه من الله تعالى على أن من لا يُشافِه السفيه كان الله ذابًا عنه وناصرًا له ومعينًا»(٢).

---

(١) المحرر الوجيز (٤/ ٦١٠)، والكشاف (٤/ ١٥٠).

(٢) التفسير الكبير (٣٢/ ١٥٥) باختصار وتصرف.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ﴾ [الأعراف: ١٣١] قال الزمخشري: فإن قلت: كيف قيل: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ﴾ بإذا وتعريف الحسنة، ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ بإن وتنكير السيئة؟ قلت: لأنّ جنس الحسنة وقوعه [كالغالب] لكثرته واتساعه. وأمّا السيئة فلا تقع إلا في الندرة، ولا يقع إلا شيء منها. ومنه قول بعضهم: قد عددت أيام البلاء، فهل عددت أيام الرخاء»[1]، ومثله قوله: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ [الروم: ٣٦] كدليل على أن رحمته سبحانه غلبت غضبَه.

الثاني عشر- ملاحظة الإشارة[2]:

والمعنى الإشاري إنما يُقبَل بشرائط ذكر منها ابن القيم أربعة هي: أن لا يناقض معنى الآية، وأن يكون معنى صحيحًا في نفسه، وأن يكون في اللفظ إشعار به، وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم؛ فإذا اجتمعت هذه الأمور الأربعة كان استنباطًا حسنًا»[3].

والأصل فيه ما ورد عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا في سورة النصر حيث قال: «هو أَجَلُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمَه اللهُ له». وأقره عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قائلًا: ما أعلم منها إلا ما تعْلَم.

(١) الكشاف (٢/ ١٤٤) بتصرف يسير، وانظر: نظم الدرر (١٥/ ٩٥).

(٢) التفسير الإشاري: هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر والمراد أيضا. وقد اختلف العلماء في جوازه، فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه. انظر: مناهل العرفان للزرقاني (٢/ ٧٨)، و التفسير والمفسرون (٢/ ٢٦١).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٧٩)، وانظر كلام الشاطبي في الموافقات (٤/ ٢٣٢) وما بعدها.

قال ابن حجر: «وفيه جواز تأويل القرآن بما يُفْهَم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمُه في العلم، ولهذا قال علي -رضي الله تعالى عنه-: أوْ فَهْمًا يؤتيه الله رجلًا في القرآن»(١).

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩]، حيث قال فيه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «دلت الآية بإشارتها وإيمائها على أنه لا يُدرِك معانيه ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة، وحرام على القلب المتلوِّث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه، وأن يفهمه كما ينبغي، ولا يجد طعمه ويَلْتَذ بقراءته وفهمه وتدبره إلا من آمن به، ولم يكن في قلبه حرج منه بوجه من الوجوه، فمن لم يؤمن بأنه حق من عند الله ففي قلبه منه حرج، ومن قال إن له باطنًا يخالف ظاهرَه ففي قلبه منه حرج، ومن لم يُحكِّمه ظاهرًا وباطنًا في أصول الدين وفروعه ففي قلبه منه حرج، ومن لم يأْتمِر بأوامره، ويَنزَجِر عن زواجره، ويصدِّق جميع أخباره ففي قلبه منه حرج. وكل هؤلاء لا تمس قلوبهم معانيه، ولا يفهمونه كما ينبغي أن يُفْهَم، ولا يجدون من لذة حلاوته وطعمه ما وجده الصحابة ومن تبعهم، وأنت إذا تأملت قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ٧٩﴾ وأعطيت الآية حقها ... فهمت هذه المعاني كلها من الآية، وبالله التوفيق»(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ١١﴾ [النساء: ١١] قال الفخر: وفي الآية إشارة إلى الانقياد إلى الشرع وترك ما يَميل إليه الطبع»(٣).

(١) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٧٣٦).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٤٣) باختصار.

(٣) التفسير الكبير (٩/ ٥١٩) وانظر: الجواهر الحسان في تفسير القرآن للثعالبي (١/ ٣٥٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣]، قال الآلوسي: وفي الآية إشارة إلى أن التَلَذُّذَ والتَنَعُّمَ وعدم الاستعداد للآخرة والتأهب لها؛ ليس من أخلاق مَن يطلب النجاة، وجاء عن الحسن: ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل... وعن علي -كرم الله تعالى وجهه-: إنما أخشى عليكم اثنتين طول الأمل، واتباع الهوى، فإن طولَ الأمل يُنْسِي الآخرةَ، واتباعَ الهوى يَصُدُّ عن الحق»[1].

وفي قوله تعالى ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]، قال الآلوسي: وفي الآية إشارة إلى أنه ينبغي للداعي إلى الله تعالى أن يكون عاملًا عملًا صالحًا ليكون الناس إلى قبول دعائه أقرب، وإليه أسكن»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٨]، يقول ابن عاشور: وفي الآية إشارة إلى أن المرء الكامل لا يثق إلا بالله؛ لأن التوكل على الأحياء المُعَرَّضين للموت وإن كان قد يفيد أحيانا لكنه لا يدوم»[3].

الثالث عشر- تنزيل الآيات على الواقع:

على من أراد أن ينتفع بالقرآن أن يُديم تنزيل آياته على واقعه الذي يحياه، وسبيلُه أن يَعرِض نفسَه وواقعَه على كتاب الله تعالى، وأن يطلب شاهدًا من القرآن في كل موقف يمر به في ليله ونهاره.

---

(١) روح المعاني (٧/ ٢٥٧).

(٢) المرجع السابق (١٢/ ٣٧٤).

(٣) التحرير والتنوير (١٩/ ٥٩).

وإنما يُحرَم كثير من الخلق فهم القرآن والانتفاع به حين يظنون أن آيات القرآن نزلت لواقع غير واقعهم، ولقوم غير قومهم، ولأناس غير أنفسهم، فإذا ذُكِر الظالمون: فَهُم فرعون وهامان وقارون، وإذا ذُكِر المتقون: فَهُم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي، وإذا ذُكِر أهلُ الجنة: فَهُم العشرة المبشرون، وإذا ذُكِر أهلُ النار: فَهُم الكفرة المشركون!! فكيف ينتفع بالقرآن مَن لا يرى لنفسه فيه ذِكْرًا، ولا لحاله فيه حُكْمًا، ولا لدائه فيه دواءً؟

يقول ابن القيم: «أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْعُرُونَ بِدُخُولِ الْوَاقِعِ تَحْتَهُ -يعني القرآن-، وَتَضَمُّنِهِ لَهُ، وَيَظُنُّونَهُ فِي نَوْعٍ وَفِي قَوْمٍ قَدْ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يُعْقِبُوا وَارِثًا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ فَهْمِ الْقُرْآنِ.

وَلَعَمْرُ اللهِ إِنْ كَانَ أُولَئِكَ قَدْ خَلَوْا، فَقَدْ وَرِثَهُمْ مَنْ هُوَ مِثْلُهُمْ، أَوْ شَرٌّ مِنْهُمْ، أَوْ دُونَهُمْ، وَتَنَاوُلُ الْقُرْآنِ لَهُمْ كَتَنَاوُلِهِ لِأُولَئِكَ»[(١)].

إن القرآن رفيق الحياة ودليلها، لا ينتفع به إلا من عاش به ومات عليه، عن عامر بن مطر قال: قال لي حذيفة: كيف أنت يا عامر بن مطر: إذا أخذ الناسُ طريقًا والقرآنُ طريقًا، مع أَيِّهِمَا تكون؟ قال عامر: فقلت له مع القرآن، أحيا مع القرآن وأموت! قال: فأنت أنت إذا!»[(٢)]، قال ابن حزم: اللهم إني أقول كما قال عامر: أكون والله مع القرآن، أحيا مُتَمَسِّكًا به، وأموت إن شاء الله مُتَمَسِّكًا به، ولا أُبالي بمن سلك غير طريق القرآن، ولو أنهم جميع أهل الأرض غيري»[(٣)].

(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥١).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة:٧/ ٤٨٥، (٣٧٤٢٦).

(٣) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/ ١٨٦).

وهذا الأسلوب يحتاج إلى أن يكون الإنسان حافظًا مُتقِنًا لكتاب الله تعالى، مُمتلِكًا مع ذلك مهارة استحضار الآيات في كل موقف وحادث يمر به في حياته اليومية، فإن لم يتيسر له الحفظ كان عليه أن يُدْمِن القراءة باحثًا مُنقِّبًا عن الآيات التي تعالج مشاكله، وتداوي أمراض نفسه ومجتمعه.

وقد يحتاج الحافظ المتقن إلى مثل هذه المراجعة والتلاوة؛ إذا لم تسعفه مَلَكَةُ الاستحضار في استدعاء الآية التي يريد.

بينما الشافعي في مجلسه إِذْ جَاءَ شَيْخٌ عَلَيْهِ ثِيَابُ صُوفٍ، وَفِي يَدِهِ عُكَّازَةٌ، فَقَامَ الشَّافِعِيُّ وَسَوَّى عَلَيْهِ ثِيَابَه، وَسَلَّمَ الشَّيْخُ، وَجَلَسَ، وَأَخَذَ الشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَى الشَّيْخِ هَيْبَةً لَهُ إِذْ قَالَ الشَّيْخُ: أَسْأَلُ؟ قَالَ: سَلْ قَالَ: مَا الحُجَّةُ فِي دِيْنِ اللهِ؟ قَالَ: كِتَابُ اللهِ. قَالَ: وَمَاذَا؟ قَالَ: سُنَّةِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ قَالَ: وَمَاذَا؟ قَالَ: اتِّفَاقُ الأُمَّةِ. قَالَ: مِنْ أَيْنَ قُلْتَ: اتِّفَاقُ الأُمَّةِ؟ فَتَدَبَّرَ الشَّافِعِيُّ سَاعَةً، فَقَالَ الشَّيْخُ: قَدْ أَجَّلْتُكَ ثَلاَثًا فَإِنْ جِئْتَ بِحُجَّةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَإِلاَّ تُبْ إِلَى اللهِ تَعَالَى، فَتَغَيَّرَ لَوْنُ الشَّافِعِيِّ، ثُمَّ إِنَّهُ ذَهَبَ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَى اليَوْمِ الثَّالِثِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالعَصْرِ، وَقَدِ انْتَفَخَ وَجْهُهُ وَيَدَاهُ وَرِجلاَهُ، وهو مِسْقَامٌ![1] فجلس، فلم يكن بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ جَاءَ الشَّيْخُ فَسَلَّمَ وَجَلَسَ، فَقَالَ: حَاجَتِي فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: نَعَمْ أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْم قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] قَالَ: فَلاَ يُصْلِيهِ عَلَى خِلاَفِ المُؤْمِنِيْنَ إِلَّا وَهُوَ فَرْضٌ.

(١) المِسقام: السقيم، وَقيل: هُوَ الْكثير السقم. انظر: المحكم لابن سيده (٦/ ٢٥١).

فَقَالَ: صَدَقْتَ وَقَامَ فَذَهَبَ. فَقَالَ الشَّافِعِيُّ: قَرَأْتُ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيلَةٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ حَتَّى وَقَفْتُ عَلَيْهِ»(١).

هذا؛ وليكن المرء على يقين من أن وقائع الحياة مهما كثرت وتنوَّعت فلن يَعْدَم المتفطِّن لها في كتاب الله حكمًا نافعًا، وبيانًا شافيًا، إجمالًا كان هذا البيان أو تفصيلًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل: ٨٩].

قال أبو حامد الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل ما أَشْكَل على النُّظَّار، واختلف فيه الخلائق، في النظريات والمعقولات؛ ففي القرآن إليه رموز ودلالات عليه، يختص أهل الفهم بدَرْكِها»(٢).

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا أحد من العلماء لجأ إلى القرآن في مسألة إلا وجد لها فيه أصلًا، وأقرب الطوائف من إعْواز المسائل النازلة أهلُ الظواهر الذين يُنكِرون القياس، ولم يثبت عنهم أنهم عجزوا عن الدليل في مسألة من المسائل»(٣).

وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهذا ابن حزم الظاهري رجل أبطل القياس والرأي والاستحسان(٤) وضيَّق مفهوم الإجماع، ولم يعجَز عن دليل؛ بل كان يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كل أبواب الفقه ليس منها باب إلا وله أصل في الكتاب والسنة نعلمه،

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥١/ ٣٦٣) باختصار يسير.

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٩).

(٣) الموافقات في أصول الشريعة (٣/ ٣٧١).

(٤) راجع: «ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل» لابن حزم.

والحمد لله..»[١]. بل ربما كان لمذهبه الظاهري أثر في دَفْعِه دفعًا إلى إثارة النصوص الشرعية واستثمارها أفضل استثمار، وقد قال بعضهم: من اتَّسع علمه بالنصوص قَلَّت حاجته إلى القياس، كالواجد ماءً لا يجزئه التيمم، وإنما يحتاج إليه في القليل»[٢].

والمقصود أن من أراد الانتفاع بالقرآن فَلْيَصِلْ ما بين واقعه وبين القرآن، ويجعله ميزانًا يَزِن به أمرَه، وفرقانًا يُفَرِّق به بين حقه وباطله، ودواءً يداوي به داءَه.

ومن أمثلة ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الشعراء: ١٣٠] يقول القرطبي: وهذه الأوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الأمة، لاسيما بالديار المصرية منذ وَلِيَتْها البحرية[٣]، فيبطشون بالناس بالسَّوط والعصا في غير حق، وقد أخبر ﷺ أن ذلك يكون. كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس...»[٤].

(١) مراتب الإجماع لابن حزم (ص: ٩١).

(٢) المسودة في أصول الفقه (ص: ٥٢٠).

(٣) البحرية جماعة من المماليك الترك اشتراهم الملك الصالح نجم الدين أيّوب وجعلهم بطانته ومعظم عسكره، ثم انقلبوا على ولده من بعده فقتلوه، واستولوا على حكم مصر، انظر: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (٦/ ٣٣١).

(٤) -الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ١٢٤)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة، باب النساء الكاسيات العاريات، (٣/ ١٦٨٠)، (٢١٢٨).

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، يقول الغزالي: وكذلك من كسر غُصنًا من شجرة، من غير حاجة ناجزة مهمة، ومن غير غرض صحيح، فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد: أما اليد فإنها لم تخلق للعبث؛ بل للطاعة والأعمال المعينة على الطاعة. وأما الشجر فإنه خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إليه الماء وخلق فيه قوة الاغتذاء والنماء ليبلغ منتهى نُشُوّه فينتفع به عباده، فكسره قبل منتهى نشوه لا على وجه ينتفع به عباده؛ مخالفة لمقصود الحكمة وعدول عن العدل»(١).

ويقول ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠]، ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المُحكَم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان(٢)، الذي وضع لهم «الياسق»، وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بَنِيه شرعًا مُتَّبَعًا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ٩٤).

(٢) جَنكِز خان ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد، وأفنى العباد، واستولى على الممالك وليس للتتار ذكر قبله، إنما كانت طوائف المغول بادية بأراضي الصين، فقدموه عليهم، وأطاعوه في كل شيء، مات في رمضان، سنة أربع وعشرين وست مائة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٣).

ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير»[١].

الرابع عشر- التماس الحكمة الإلهية في كل أمر ونهي وقضاء وقدر:

فقد وصف الله كتابه بـ ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ١﴾ [يونس: ١]، وجعل من أسمائه الحسنى أنه سبحانه ﴿ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٢﴾ [البقرة: ٣٢]، وهو ما يعني أنه تعالى «ما خلق شيئًا إلا لحكمة، ولا شرع شيئًا إلا لحكمة، وحُكمه القدري والشرعي والجزائي مُشتَمِل على الحكمة»[٢]. وكذا ما أخبر الله من خبر، ولا قصَّ علينا من قصة إلا وفي ضمنها حكمة عالية، وعبرة بالغة، عَلِمَها مَن عَلِمَها، وجَهِلَها مَن جَهِلَها.

وقد توجد هذه الحكمة منصوصة في الآية أو في غيرها، من قرآن أو سنة، وقد تُستنبَط من مجموعة نصوص، وقد تُفهَم من السياق، وقد تكون حكمة عقلية تُفهَم بممارسة الحياة، وإدراك واقع البشر.

وطلب هذه الحِكَم -دون مغالاة أو تكلف- أمر محمود؛ فإن لمعرفة حكمة الله في قضائه وقدره وتشريعه آثارًا لا تُنكَر في اطمئنان القلوب إلى عدل الله ورحمته، وفي إزالة شبهة تعرض للنفس، وفي المسارعة إلى الامتثال عند الأمر، وفي الرضا بالقضاء عند نزوله...إلخ.

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/ ١٣١).

(٢) تيسير الكريم الرحمن للسعدي (ص: ٧٧١).

لكن ينبغي التنبيه إلى أن هذه الحكمة ليست منصوصة في كل شيء، ولا هي واضحة لكل أحد، وقد يُخطِئ العالم في تعيينها، وقد يخفيها الله اختبارًا لتسليم العباد، والحكم الإلهي واجب الطاعة في كل حين، وعلى كل حال ﴿وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

أمثلة:

في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾ قال ابن العربي: والحكمة في ذلك أن الأهل أعرف بأحوال الزوجين، وأقرب إلى أن يرجع الزوجان إليهما»[(١)]. قلت: وأحرص على الإصلاح، وأبعد من التهمة، وأستر لأسرار الزوجين.

وفي قصة بقرة بني إسرائيل يقول أبو البركات النسفي: والحكمة في ذبح البقرة وضربه ببعضها -وإن قدر على إحيائه بلا واسطة - الإشعارُ بحسن تقديم القربة على الطلب، والتعليم لعباده ترك التشديد في الأمور، والمسارعة إلى امتثال أوامر الله من غير تفتيش وتكثير سؤال، وغير ذلك. وقيل: إنما أمروا بذبح البقرة دون غيرها من البهائم؛ لأنها أفضل قرابينهم، ولعبادتهم العجل، فأراد الله تعالى أن يهون معبودهم عندهم»[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ [البقرة: ٦] قال نجم الدين النيسابوري: والحكمة في الإنذار

(١) أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٤٢)
(٢) مدارك التنزيل (١/ ١٠٠)

مع العلم بالإصرار إقامةُ الحجة، وليكون الإرسـال عاما، وليثاب الرسول»[1] صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤] قال الإمام فخر الدين: والحكمة في الأمر بتقليل الأيمان أنَّ من حلف في كل قليل وكثير بالله؛ انطلق لسانه بذلك، ولا يبقى لليمين في قلبه وقع، فلا يُؤمَن إقدامه على اليمين الكاذبة، فَيَخْتَلُّ ما هو الغرض الأصلي في اليمين، وأيضا كلما كان الإنسان أكثر تعظيمًا لله تعالى كان أكمل في العبودية، ومن كمال التعظيم أن يكون ذكر الله تعالى أَجَلَّ وأعلى عنده من أن يَسْتَشْهِدَ به في غرض من الأغراض الدنيوية»[2].

وفي قوله تعالى في شأن جلد الزانية والزاني: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢]، قال القشيري: أي ليكون عليهم أشدَّ، وليكون تخويفًا لمُتعَاطي ذلك الفعل، ثم من حقِّ الذين يشهدون ذلك الموضع أن يتذكروا عظيم نعمة الله عليهم أنهم لم يفعلوا مثله، وكيف عصمهم من ذلك. وإن جرى منهم شيء من ذلك يذكروا عظيم نعمة الله عليهم كيف ستر عليهم ولم يفضحهم، ولم يُقِمْهم في الموضع الذي أقام فيه هذا المُبتَلى به.»[3]، وزاد الرازي: ولِمَا فيه من رفع التهمة عمن يَجلِد، وقيل: أراد بالطائفة

---

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن (١/ ٦٦).

(٢) التفسير الكبير (٦/ ٤٢٥)، وكلامه محمول على أن معنى الآية: لا تكثروا الحلف بالله، وهو اختياره، وأكثر المفسرين على أن المعنى: لا تجعلوا الله علَّةً مانعةً لكم من البر والتقوى، وأنها نزلت في الرجل يحلف بالله تعالى لا يصل رحمه، ولا يكلم قرابته، ونحو ذلك. انظر: الكشف والبيان للثعلبي (٢/ ١٦٤)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣/ ٩٧).

(٣) لطائف الإشارات (٢/ ٥٩٤).

الشهود؛ لأنه يجب حضورهم ليُعلمَ بقاؤهم على الشهادة. قال: ونبَّه تعالى بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، على أن الذين يشهدون يجب أن يكونوا بهذا الوصف، لأنهم إذا كانوا كذلك عظُم موقع حضورهم في الزجر، وعظُم موقع إخبارهم عما شاهدوا، فيخاف المجلود من حضورهم الشهرة، فيكون ذلك أقوى في الانزجار، والله أعلم»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤]، يقول الإمام فخر الدين: ذَكَرَ قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكيفية أحواله، والحكمة فيه أن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، [فالمشركون][٢] كانوا معترفين بفضله مُتَشَرِّفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه، وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضًا مُقِرِّين بفضله مُتَشَرِّفين بأنهم من أولاده، فحكى الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عن إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أمورًا تُوجِب على المشركين وعلى اليهود والنصارى قبولَ قولِ محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والاعتراف بدينه والانقياد لشرعه...»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾ [طه: ٤٢، ٤٣]، يقول الإمام: المعنى لا تَنِيَا؛ بل اتخذا ذكري آلة لتحصيل المقاصد، واعتقدا أنَّ أمرًا من الأمور لا يتمشَّى لأحد إلا بذكري، والحكمة فيه أن مَن ذكرَ جلالَ الله استحقر غيره فلا يخاف أحدًا،

(١) التفسير الكبير (٢٣/ ٣١٧).
(٢) في الأصل «فالمشركين» وهو لحن لا يخفى.
(٣) التفسير الكبير (٤/ ٣٠).

ولأن مَن ذكرَ جلالَ الله تقوَى روحُه بذلك الذكر، فلا يضعُف في المقصود، ولأن ذاكر الله تعالى لابد وأن يكون ذاكرًا لإحسانه، وذاكر إحسانه لا يفتُر في أداء أوامره»[1].

ومن أراد توسعًا في فهم حكمة القرآن فعليه بالإمام فخر الدين، فهو فارس ذلك الميدان، والناس فيه رجال[2]. وفي كتب مقاصد الشريعة ومحاسنها من ذلك شيء كثير.

الخامس عشر- التساؤل:

ينبغي للمتدبر أن يثير التساؤلات التي تفتح له أبواب الفهم في القرآن، وتفُكَّ له مغاليقه، وعليه أن يعلم أننا لا نهدف بهذه الأسئلة إلى محاكمة القرآن، حاشا لله ولكتابه، بل نسعى بها إلى تحريك العقول نحو التماس معانيه وفهم إشاراته، وأسئلتنا هي أسئلة جاهل يتعلم لا عالم يحاكم، وقد نطلب الفهم ولا نعطى؛ فلا يبقى إلا مواصلة البحث مع الباحثين، أو تسليم كتسليم الراسخين، قائلين ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، موقنين أن الناس ﴿لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وقد أكثر المفسرون من أسلوب السؤال والجواب، مستعملين إياه في إثارة مكنونات القرآن، والتماس غرائب معانيه، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، نرى الرازي يطرح أسئلة منها: لماذا كان العلم

(١) التفسير الكبير (٢٢/ ٥٢).

(٢) «رجال» جمع «راجل»، وهو الماشي على رجليه. وانظر في بيان حكمة القرآن عند الفخر: التفسير الكبير (١/ ٩٥)، (٦/ ٣٩٦)، (٦/ ٤٨٣)، (٧/ ١٥٧)، (٩/ ٥٣٠)، (١٠/ ٤٩)، (١٢/ ٤٨٧)، (١٥/ ٤٨٨)، (١٦/ ٧٧) وغيرها.

سببًا في الخشية؟ وما العلم الذي ينتج هذه الخشية؟ ثم يقول -أحسن الله إليه-: أما بيان أن العالم بالله يجب أن يخشاه؛ فذلك لأن من لم يكن عالمًا بالشيء استحال أن يكون خائفًا منه، ثم إنَّ العلم بالذات لا يكفي في الخوف، بل لا بد له من العلم بأمور ثلاثة، منها:

العلم بالقدرة، لأن الملك عالم باطلاع رعيته على أفعاله القبيحة، لكنه لا يخافهم لعلمه بأنهم لا يقدرون على دفعها.

ومنها: العلم بكونه عالمًا، لأن السارق من مال السلطان يعلم بقدرته، ولكنه يعلم أنه غير عالم بسرقته فلا يخافه.

ومنها العلم بكونه حكيمًا، فإن المُسخَّر عند السلطان عالم بكون السلطان قادرًا على منعه، عالمًا بقبائح أفعاله؛ لكنه يعلم أنه قد يرضى بما لا ينبغي فلا يحصل الخوف، أما لو علم اطلاع السلطان على قبائح أفعاله، وعلم قدرته على منعه، وعلم أنه حكيم لا يرضى بسفاهته، صارت هذه العلوم الثلاثة موجبة لحصول الخوف في قلبه.

فثبت أن خوف العبد من الله لا يحصل إلا إذا علم بكونه تعالى عالمًا بجميع المعلومات، قادرًا على كل المقدورات، غير راضٍ بالمنكرات والمحرمات. فثبت أن الخوف من لوازم العلم بالله»[1].

وقد يكون السؤال بكيف، ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، يتبادر إلى الذهن سؤال هو: كيف تزيدهم آيات القرآن إيمانًا؟ وقد أجاب العلماء بأجوبة منها:

(١) التفسير الكبير (٢/ ٤٠٦)

١- أنَّ الآيات تتضمن من الدلائل ما يزيد الإيمان، وبكثرة الدلائل وقوتها يزول الشك ويقوى اليقين.

٢- أنهم يصدقون بكل ما يتلى عليهم من عند الله ويُقِرُّون به، فكلما سمعوا آية جديدة أتَوا بإقرار جديد، فكان ذلك زيادة في الإيمان والتصديق.

٣- أو يزيد بالعمل بموجبها، وهو قول من قال الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، بناء على أن العمل داخل فيه[(١)].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾ [التكوير: ٨، ٩]، قال المرتضى: فإن سأل سائل، كيف يصح أن يسأل من لا ذنب له ولا عقل، فأي فائدة في سؤالها عن ذلك، وما وجه الحكمة فيه؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد أنَّ قاتلها طولب بالحجة في قتلها، وسئل عن قتله لها بأي ذنب كان، على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة. فالقتلة هاهنا هم المسؤولون على الحقيقة، لا المقتولة، وإنما المقتولة مسؤول عنها. ويجري هذا مجرى قولهم (سألت حقي)، أي طالبت به. ومثله قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤]، أي مطالبًا به مسؤولا عنه.

والوجه الآخر: أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة، على سبيل التوبيخ له، والتقريع له، والتنبيه له، على أنه لا حجة له في قتلها. ويجري هذا

(١) انظر: جامع البيان للطبري (١٤/ ٥٧٧)، والتفسير الوسيط للواحدي (٢/ ٤٤٤)، والتفسير الكبير للرازي (١٥/ ٤٥١)، وأنوار التنزيل للبيضاوي (٣/ ٤٩).

مجرى قوله تعالى لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦]، ، على طريق التوبيخ لقومه، وإقامة الحجة عليهم»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٧]، قال الثعلبي: فإن قيل: ما وجه قوله ﴿يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ وهم كفّار لم يكونوا في نور قط؟

ثم أجاب هو وغيره بأجوبة منها:

١- أن الآية في اليهود كانوا مؤمنين بمحمّد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أن يبعث، فلما بعث كفروا به، وجحدوا ما وجدوه في كتبهم من نعته وصفته ونبوّته، بيانه قوله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾[البقرة: ٨٩]، قاله مقاتل وقتادة.

٢- أنها نزلت في قوم مُرْتَدِّين، قاله مجاهد.

٣- أنها في جميع الكفّار. والمعنى أنهم لما كانوا مُتَمَكِّنين من الإسلام ثم عُدلوا وصُرفوا عنه؛ فكأنهم أخرجوا منه، وهو كقول القائل: أخرجني أبي من ميراثه، وهو لم يدخل فيه، وكقوله تعالى إخبارًا عن يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٣٧]، ولم يكن أبدًا على دينهم حتّى تركه، وكقوله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]، ولم يكن فيه قط.

٤- أنهم كانوا على الفطرة عند أخذ الميثاق عليهم، فلما حَمَلُوهم على الكفر أخرجوهم من نور فطرتهم[(٢)].

---

(١) محاسن التأويل (٩/ ٤١٣).

(٢) انظر: الكشف والبيان (٢/ ٢٣٨)، والنكت والعيون (١/ ٣٢٩)، والنكت في معاني القرآن وإعرابه للمجاشعي (ص: ١٦٧)، وتفسير السمعاني (١/ ٢٦١)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٤).

السادس عشر- ملاحظة أساليب القرآن التربوية والاقتداء بها:

وهذا الأسلوب أشار إليه الشاطبي حين قال: «فإن من علوم القرآن قسمًا هو مأخوذ من عادة الله تعالى في إنزاله، وخطاب الخلق به، قبل النظر إلى ما حواه من المعارف والخيرات، ويشتمل على أنواع من القواعد الأصلية، والفوائد الفرعية، والمحاسن الأدبية؛ فلنذكر منها أمثلة يستعان بها في فهم المراد:

منها: ترك الأخذ من أول مرة بالذنب، والحِلم عن تعجيل المعاندين بالعذاب، وإن استعجلوا بالعذاب.

ومنها: تحسين العبارة بالكناية ونحوها في المواطن التي يحتاج فيها إلى ذكر ما يُستحيا من ذكره في عادتنا؛ كقوله تعالى: ﴿أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾ [النساء: ٤٣، والمائدة: ٦].

ومنها: التأني في الأمور، والجري على مجرى التثبت، والأخذ بالاحتياط، وهو المعهود في حقنا؛ فلقد أنزل القرآن على رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ نجوما في عشرين سنة؛ حتى قال الكفار: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: ٣٢]، فقال الله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ﴾ [الفرقان: ٣٢]، وقال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

ومنها: كيفية تأدُّب العباد إذا قصدوا باب ربِّ الأرباب بالتضرع والدعاء؛ فقد بَيَّنَ مَسَاقُ القرآن آدابًا اسْتُقْرِئَتْ منه، وإن لم يَنُصَّ عليها بالعبارة؛ فقد

أغنت إشارة التقرير عن التصريح بالتعبير، فأنت ترى أن نداء الله للعباد لم يأت في القرآن في الغالب إلا ب«يا» المشيرة إلى بُعد المنادِي؛ لأن صاحب النداء مُنَزَّه عن مُدَانَاةِ العباد، موصوف بالتعالي عنهم والاستغناء، فإذا قرر نداء العباد للرب أتى بأمور تستدعي قرب الإجابة:

ومنها: إسقاط حرف النداء المشير إلى قُرْبِ الْمُنَادَى، وأنه حاضر مع المُنادِي، غير غافل عنه؛ فدلَّ على استشعار الراغب هذا المعنى؛ إذ لم يأتِ في الغالب إلا «ربنا» «ربنا»، كقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآ﴾ [البقرة: ١٢٧].

ومنها: كثرة مجيء النداء باسم الرب المقتضي للقيام بأمور العباد وإصلاحها.

ومنها: تقديم الوسيلة بين يدي الطلب؛ كقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ الآية [الفاتحة: ٥-٦]، وقوله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا﴾ [آل عمران: ١٦]»[١].

وعند الحديث عن معاتبة القرآن رسولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقول القاضي عياض: «يَجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ الْمُجَاهِدِ نَفْسَهُ، الرَّائِضِ بِزِمَامِ الشريعة خُلُقَهُ، أن يتأدب بآداب الْقُرْآنِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمُعَاطَاتِهِ وَمُحَاوَرَاتِهِ، فَهُوَ عُنْصُرُ الْمَعَارِفِ الْحَقِيقِيَّةِ، وَرَوْضَةُ الْآدَابِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَلْيَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْمُلَاطَفَةَ الْعَجِيبَةَ فِي السُّؤَالِ مِنْ رَبِّ الْأَرْبَابِ الْمُنْعِمِ عَلَى الْكُلِّ، الْمُسْتَغْنِي عَنِ الجميع، ويستثْر مَا فِيهَا مِنَ الْفَوَائِدِ، وَكَيْفَ ابْتَدَأَ بِالْإِكْرَامِ قَبْلَ الْعَتْبِ، وَآنَسَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ ذِكْرِ

(١) الموافقات (٤/ ٢٠٢)

الذَّنْبِ- إِنْ كَانَ ثَمَّ ذَنْبٌ- .وقال تعالى ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ٧٤﴾ [الإسراء: ٧٤]»[1] .

ومن أدب القرآن الذي يُقتَدى به ما ورد في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧]، قال أبو السعود: «والعدولُ عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جَرَى على منهاج الآداب التنزيلية في نسبة النعمِ والخيرِ إليه عَزَّوَجَلَّ دون أضدادها، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [الجن: ١٠]»[2].

قال الآلوسي: نَعَم، الأدبُ من خير رأس مال المؤمن، فلا ينبغي أن يُنسَب إليه سبحانه إلا الأفضل فالأفضل، كما قال إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء: ٨٠][3].

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ٣٦﴾ [الروم: ٣٦]، وقول الخضر في السفينة: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]، وفي الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢][4].

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١/ ١٣١).

(٢) إرشاد العقل السليم (١/ ١٩).

(٣) روح المعاني (١/ ١٢٠).

(٤) تفسير لقرآن العظيم لابن كثير (٦/ ١٤٦).

۞ السابع عشر- التماس فرائد القرآن[1]:

ونعني بفرائد القرآن تلك الآيات المتميزة التي حازت فضلًا خاصًّا، ومنزلة فريدة بين آيات القرآن الكريم. وقد نقلت لنا الأحاديث والآثار عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن الصحابة والتابعين عنايتهم بالبحث والتنقير عن فرائد آيات القرآن الكريم التي تمثل زُبدة حكمته العالية، وخلاصة علومه السامية، فكان أن تحدثوا عن مِثل: أعظم آية في القرآن، وأحكم آية، وأجمع آيةٍ لخيرٍ وشرٍ، وأرجى آية، وأشد آية، وأخوف آية وأعدل آية، وهَلُمَّ جَرًّا.

وتَبِعَهم عدد من علماء القرآن؛ فأفردوا لهذا البحث الطريف جانبًا من كتبهم المؤلَّفة في علوم القرآن، فعل ذلك الغزالي في «جواهر القرآن ودرره»، وعلم الدين السخاوي في «جمال القراء»، والزركشي في «البرهان»، والسيوطي في «معترك الأقران والإتقان»[2]. وتناثر الحديث عن هذا الموضوع في بطون كتب التفسير، والأصل في ذلك ما أخرجه مسلم في الصحيح عن أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، «أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(١) هذه تسميتي، وقد سماها السيوطي «مفردات القرآن»، وقد كُتِبتْ في هذا الموضوع أبحاثٌ مختصرة عن أحكم آية وأعظم آية، وكاتب هذه السطور بصدد الانتهاء من بحث جامع ينظم شتات هذه الفرائد بإذن الله تعالى.

(٢) انظر: جواهر القرآن (ص: ٦٢) وما بعدها، وجمال القراء وكمال الإقراء (ص: ١٤٧) وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن (١/ ٤٤٦)وما بعدها، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن (١/ ٣٥٧) وما بعدها، والإتقان في علوم القرآن (٤/ ١٤٨) وما بعدها.

قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ»[١]. فتكرار السؤال من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دليل على الأمر بالتماس مثل هذه الآيات وإعمال الذهن في البحث عنها.

وعن الشعبي قال: لقي عمر بن الخطاب رَكْبًا في سفر، فيهم ابن مسعود فأمر رجلًا يناديهم: من أين القوم؟ قالوا: أقبلنا من الفج العميق نريد البيت العتيق، فقال عمر: إن فيهم لعالِمًا، وأمر رجلًا أن يناديهم: أيُّ القرآن أعظم؟ فأجابه عبد الله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، قال نادِهِم: أيُّ القرآن أحكم؟ فقال ابن مسعود: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، قال نادِهِم: أيُّ القرآن أجمع؟ فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، فقال نادِهِم: أيُّ القرآن أحزن؟ فقال: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فقال نادِهِم: أيُّ القرآن أرْجَى؟ فقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣]، فقال: أَفيكُم ابنُ مسعود؟ قالوا: نعم»[٢].

....

(١) صحيح مسلم:كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل سورة الكهف، وآية الكرسي (١/ ٥٥٦)، (٨١٠).

(٢) الطيوريات لأبي طاهر السلفي (١/ ٢٤٧).

المبحث الثالث
أخطاء منهجية في عملية التدبر

هذا مبحث قصير يتعلق بالأخطاء المنهجية في عملية التدبر القرآني، لم أطِل الكلام فيه؛ بل جعلته كعلامات تحذيرية على الطريق.

أولًا: الاكتفاء بالتفكر عن التعلم إعجابا بالعقل:

فإن التفكر في الآيات لا يصح أن يكون إلا بعد العلم بمعانيها، قال الطبري: «لِأَنَّهُ مُحَالٌ أَنْ يُقَالَ لِمَنْ لَا يَفْهَمْ مَا يُقَالُ لَهُ وَلَا يَعْقِلُ تَأْوِيلَهُ: اعْتَبِرْ بِمَا لَا فَهْمَ لَكَ بِهِ، وَلَا مَعْرِفَةَ مِنَ الْقِيلِ وَالْبَيَانِ إِلَّا عَلَى مَعْنَى الْأَمْرِ بِأَنْ يَفْهَمَهُ وَيَفْقَهَهُ، ثُمَّ يَتَدَبَّرَهُ وَيَعْتَبِرَ بِهِ. فَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ، فَمُسْتَحِيلٌ أَمْرُهُ بِتَدَبُّرِهِ، وَهُوَ بِمَعْنَاهُ جَاهِلٌ»(١).

وقال الغزالي: «النقل والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير أولًا؛ ليَتَّقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتَّسع التفهُّم والاستنباط، ومن ادَّعى فهم أسرار القرآن ولم يُحكِّم التفسير الظاهر، فهو كمن يدَّعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب»(٢).

وفي قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، إشارة إلى وجوب الجمع بين التعلم والتفكر؛ فقد دلَّت الآية على أن في القرآن

(١) جامع البيان (١/ ٨٢).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٩١).

ما يحتاج إلى البيان التوقيفي، وفيه ما يحتاج إلى التفكر العقلي، فمن استخدم العقل فيما سبيله التوقيف؛ فقد أفرط في الثقة به، ومن اكتفى بالتوقيف دون إعمال عقله بالتفكير؛ فقد فرَّط وقصَّر فيما أمر به، والانتفاع بالقرآن يحتاج إلى البيان النبوي مع التفكير العقلي.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما زال أهل العلم يعودون بالتذكر على التفكر، وبالتفكر على التذكر، ويناطقون القلوب حتى نطقت بالحكمة»[١].

ثانيا: الاكتفاء بالتعلم عن التفكر وقوفا عند حدِّ النقل:

وهذا قد يكون تورعًا من الشخص، أو كسلًا، أو استصغارًا لنفسه، أو ظنًا منه أن المنقول قد أتى على معاني القرآن جملةً ولم يترك للنظر بقية، وتلك أعذار واهية، وظنون فاسدة، إذ كانت أدلة وجوب التدبر كلها لازمة للخلف لزومها للسلف بلا فرق، وقد قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لقد نزلَتْ عليَّ اللَّيلة آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرأها ولم يتفكَّرْ فيها** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]»[٢]، فعموم هذا الوعيد شامل لكل قارئ لا يتدبر، مِن سلفٍ وخلف.

يقول الماوردي: امتنع بعض المُتَوَرِّعَةِ ممن قَلَّت في العلم طبقتُه، وضعُفت فيه خبرتُه، أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده، عند وضوح شواهده، إلا أن يَرِدَ بها نَقْلٌ صحيح، ويدُلَّ عليها نصٌ صريح، وهذا عُدول عمَّا تعبَّد

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب: الرقائق، باب: التوبة، رقم (٦٢٠)، (٢/ ٣٨٦)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

الله تعالى به خَلْقَه في خطابهم بلسان عربي مبين، أبَان عن مُراده، وقطع أعذار عباده، وجعل لهم سُبلًا إلى استنباط أحكامه، كما قال الله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، ولو كان ما قالوه صحيحًا، لكان كلام الله غير مفهوم، ومُراده بخطابه غير معلوم، ولصار كاللُّغز المُعَمَّى، فبطل الاحتجاج به، وكان ورود النص على تأويله، مُغْنيًا عن الاحتجاج بتنزيله، وأعوذ بالله من قول في القرآن يؤدِّي إلى التوقف عنه، ويؤول إلى ترك الاحتجاج به»[(١)].

وذمَّ أبو حامد الغزالي صنيعَ «من قرأ تفسيرًا ظاهرًا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس، ومجاهد، وغيرهما! وأنَّ ما وراء ذلك تفسير بالرأي المنهي عنه»، وعدَّه حجة الإسلام «من الحُجُب العظيمة عن القرآن»، فقال: «والآثار تدل على أن في فهم معاني القرآن مجالًا رَحْبًا، ومُتَّسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس مُنتهَى الإدراك فيه»[(٢)].

ووَجْهُ ذلك: أنه ليس كل ما ورد عن السلف مسموعًا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ كان كثير منه مختلفًا اختلافًا لا يمكن الجمع بينه، فليس إلا أنهم اجتهدوا رأيهم واستنبطوا بفكرهم، والاجتهاد على هذا اتباعٌ لسنتهم وسيرٌ على منهجهم. ولو كان المأثور مسموعًا كله لم يمنع ذلك أيضًا من فهمٍ وتدبرٍ يزيد عليه ولا ينقُضُه، خاصة وقد أمر به الشارع وكرَّر، وأوْعد على تركه وحذَّر[(٣)].

(١) النكت والعيون (١/ ٣٤).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥)، (١/ ٢٩٠)، (١/ ٢٩١) وفيه رد مذهب الاكتفاء بالمنقول من أربعة أوجه.

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ٢٩٠).

ثالثا: التفلّت من قواعد اللغة ودلالتها:

فينبغي على دارس القرآن استثمار ألفاظ القرآن واستنباط معانيها دون مبالغة في تحميل الألفاظ ما لا تحتمل من المعاني، ودون تعمُّقٍ مُتكَلَّف قد يقود إلى معانٍ ضعيفة واهية الصلة بالألفاظ، فإن للألفاظ منطوقًا ومفهومًا، وعبارةً وإشارةً، ومعانيَ أصليةً وأخرى ثانويةً، وهي درجات تتدرج من القوة إلى الضعف بحسب قُربها من ظواهر الألفاظ وبُعدها عنها، فعلى الدارس أن يعرف هذه الموازين، وأن يتمسك بدلالة اللغة؛ فلا يقبل من المعاني إلا ما ثبت نسبه ثبوتًا صحيحا باللفظ القرآني، وأن يداوم البحث عن هذا النسب؛ فإنه قد ينقطع عند التعمُّق، فيقع في تأويل باطني فاسد لا علاقة له بالألفاظ!

فكم من أناس تركوا دَلالة اللغة، وهاموا في أودية التأويلات الباطنية، وألحدوا في آيات الله، وحرَّفوا كلامه عن مواضعه، وافتروا عليه الكذب! وجعلوا «يقولون: كلام الله رموز وألغاز لا يُنبِئ ظاهرهُ عن حق، ومفهومه عن صدق، ويجعلون ذلك من الذرائع إلى إبطال الشرائع»[1]. وهل ضاعت الرسالات، وفسدت الشرائع قبلنا إلا بأيدي هؤلاء الكذبة الذين ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقد شهد تاريخ الأمة الإسلامية حربًا فكرية وعسكرية على هذه الفئة الضالة، التي تسعى إلى تلويث مصادره العذبة من القرآن والسنة، وكتب العلماء كتبًا كثيرة في التحذير من ضلال الباطنية، وإبطال مذهبهم، منها: «فضائح الباطنية» لأبي حامد الغزالي، و«بُغية المُرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية» لتقي الدين بن تيمية، وقولُه فيه

(١) كتاب الاعتقاد للراغب الأصفهاني (ص ٤٣).

صريح بكفرهم، وذلك حيث قال: «وهم في الباطن من أعظم بني آدم كفرًا وإلحادًا، حتى صار شعارهم «الملاحدة» عند الخاص والعام، وهم كافرون بما جاءت به الرسل مطلقًا، ومن أعظم الناس مُنافَقَةً لجميع الناس من أهل الملل: المسلمين واليهود والنصارى، وغير أهل الملل»(١).

وقد ظهرت مؤخرًا طوائف من الباطنية الحديثة، يفوقون أسلافهم خُبْثًا وكيدًا للإسلام وأهله! أعني -هؤلاء العلمانيين- الذين خرجوا علينا بنظريات شاذة، تتحدث عن القراءة الجديدة، ونسبية النصوص والمعرفة، وموت المؤلف، وحتمية التأويل، ونحوها مما يصُبُّ كله في اتجاه تعطيل دلالة القرآن والسنة وإسقاطها بالكلية، يقول بعضهم: إن النص بطبيعته مجرد صورة عامة تحتاج إلى مضمون يملؤها، وهذا المضمون بطبيعته قالب فارغ! يمكن ملؤه من حاجات العصر ومقتضياته، التي هي بناء الحياة الإنسانية..! ومن ثَمَّ فالتأويل ضرورة للنص، ولا يوجد نص إلا ويمكن تأويله من أجل إيجاد الواقع الخاص به، ولا يعني التأويل هنا إخراج النص من معنى حقيقي إلى معنى مجازي لقرينة، بل هو وضع مضمون معاصر للنص إخراج النص من معنى حقيقي إلى معنى مجازي لقرينة، لأن النص قالب دون مضمون!!»(٢). إلى آخر هذا العبث الذي يفضى لا محالة إلى إبطال العقل والشرع معًا، وإسقاط التفاهم بين البشر جملة، وإبطال كلام صاحبه قبل كل ذلك كله، إذ كيف يمكن التفاهم مع إنسان لا يقر بأن للكلام معنى، ولا للألفاظ دلالة

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٣/ ٥١٢).

(٢) نقد الخطاب الديني، نصر أبو زيد (١٨١).

أصلًا؟! وهو مع ذلك يطالبك بأن تفهم من كلامه ما لا يفهمه هو من كلام غيره![1].

رابعًا: الانشغال بالدقائق اللفظية عن المعاني الكلية:

إن الانشغال بالدقائق اللفظية والاستغراق فيها كثيرًا ما يكون حائلًا بين الإنسان وبين فقه المعنى القرآني والتدبر في مقصوده الأصلي، وانظر إلى هذا النموذج الذي طرحه بعض الإخوة على أنه أسئلة تعين على التدبر في سورة الكوثر: قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾، لِمَ جاء التعبير عن الرب سبحانه بضمير الجمع وليس الإفراد؟ لِمَ عبَّر بالضمير وليس الاسم الظاهر؟ لِمَ عبر بضمير الجمع (نا)، وليس: نحن؟ لِمَ أكَّد الخبر؟ لِمَ جاء التأكيد بإنَّ؟ لِمَ قدَّم المُسند إليه «ضمير الجلالة»؟ لِمَ عبَّر بالإعطاء دون الإيتاء؟ لِمَ عبَّر عن الإعطاء بالفعل وليس الاسم؟ لِمَ عبَّر عن الإعطاء بالفعل الماضي؟ لِمَ عُرِّف «الكوثر»؟ لِمَ لَمْ يقيد «الكوثر» بالمضاف «نهر»؟»[2]. إلى آخر ما ذكر من هذا النوع.

فهذه التدقيقات اللفظية لا علاقة لها بالتدبر؛ بل هي أقرب إلى أن تكون تمارين لغوية ونحوية وبلاغية على القرآن، ربما تنفع صاحبها في تنمية قدراته اللغوية أكثر مما تفيده في فهم القرآن، والانتفاع بهديه.

(١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٣/ ٣٠٢) وما بعدها، الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/ ٦٣٣) وما بعدها.

(٢) من مقال للأستاذ: يوسف العليوي بعنوان «أسئلة التدبر البلاغية» منشور في موقع «ملتقى أهل التفسير» http://vb.tafsir.net/tafsir٣٩٧٠٤/

وإنْ رأيتَ فيها فائدةً ما تفيد المعنى القرآني فهي فائدة جزئية ضيقة، تشغلك عن رؤية المعنى الكلي، والصورة الكاملة، والمقصد الأعظم للآية والسورة، وحالك حينها كحال من يفحص لوحة رائعة الجمال بعدسة مُكَبِّرة، فمهما تنقل فيها بعدسته لن يرى في كل مرة إلا بضع سنتيمترات قليلة لا تعبر بحال عن اللوحة الباهرة.

يقول الشاطبي: «كل عاقل يعلم أن مقصود الخطاب ليس هو التَفَقُّه في العبارة، بل التَفَقُّه في المعبر عنه وما المراد به، هذا لا يرتاب فيه عاقل». ثم بيَّن أنَّ هذا التعمُّق في تحليل الألفاظ ربما كان مُشَوِّشًا على المعاني الكبرى المقصودة من القرآن، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأيضًا؛ فإنه حائل بين الإنسان وبين المقصود من الخطاب، من التفهم لمعناه ثم التعبد بمقتضاه، وذلك أنه إعذار وإنذار، وتبشير وتحذير، ورَدٌّ إلى الصراط المستقيم؛ فكم بين من فهم معناه، ورأى أنه مقصود العبارة، فداخله من خوف الوعيد، ورجاء الموعود ما صار به مُشَمِّرًا عن ساعد الجد والاجتهاد، باذلًا غاية الطاقة في الموافقات، هاربًا بالكلية عن المخالفات، وبين مَن أخذ في تحسين الإيراد والاشتغال بمآخذ العبارة ومدارجها، ولِمَ اختلفت مع مرادفتها مع أن المعنى واحد، وتفريع التجنيس، ومحاسن الألفاظ، والمعنى المقصود في الخطاب بمعزل عن النظر فيه؟!»[(١)].

لا ننكر أن دراسة لغة القرآن ونحوه وبلاغته أداة ضرورية لفهم القرآن، ولكننا ننكر أن تتحول الأدوات إلى مقاصد، والمفاتيح إلى غايات، وأن يتم

(١) الموافقات (٤/ ٢٦٢) وانظر كلام الغزالي في الفرق بين المعنى والتفسير في إحياء علوم الدين (٤/ ٩٥)، وفي الفرق بين علوم الصدف وعلوم الجوهر في جواهر القرآن (ص: ٣٥) فإنه أصل كلام الشاطبي.

الوقوف عندها والتعمق فيها حتى تتحول كثير من كتب التفسير إلى ما يشبه كتب التدريبات اللغوية، والصرفية، والبلاغية، وينصرف أصحابها إلى تشريح ألفاظ القرآن تشريحا دقيقا، دون عناية تذكر بمقاصده وغاياته وهداياته الكلية.

إنَّ وقوف المفسر عند دراسة الألفاظ والتراكيب، وعدم تجاوزها إلى النظر في المعاني والمقاصد والهدايات، يجعله أشبه بمن يريد معرفة أخلاق إنسان من خلال وضعه على جهاز للأشعة السينية التي تفحص العظام! أو بمن يريد أن يتعرَّف إلى فكر شخص بتمزيق جسده وتشريحه تحت مجهر الكتروني!!

نعم، ربما كان هذا البناء العظمي هو ما يحمل جسد الإنسان كله، لكن الإنسان شيء أكثر من مجرد هيكل عظمي، إنه كائن حي، فيه جسد وروح، وحياة وحركة، وجمال وكمال، وعقل وضمير، له فكر وأخلاق، وآمال وآلام. ومثل هذه الإنسان لا يمكن أن يتعرف عليه بتشريحه تحت مجهر لا يظهر منه إلا مجموعة من الأعصاب والخلايا، وصفائح دموية بيضاء أو حمراء.

ويلاحظ المتتبع لمسيرة التفسير أن هذا التشقيق لم يظهر في كتب التفسير المتقدمة؛ بل سلمت منه القرون الأولى، فلا نكاد نرى أحدًا من مفسريها يتساءل عن مثل هذه الدقائق؛ بل كانوا يكتفون بما يُفهَم به المعنى ويُدرَك به المقصود دون تكلُّف وتعمُّق. قال الشاطبي: «علم التفسير مطلوبٌ فيما يتوقف عليه فهم المراد من الخطاب، فإذا كان المراد معلومًا؛ فالزيادة على ذلك تكلف، ويتبين ذلك في مسألة عمر»[1]، فعن أنس بن مالك:

(١) الموافقات في أصول الشريعة (١/ ٥٧).

قرأ عمر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عبس: ٣١]، فقال: قد علمنا الفاكهة، فما الأبّ؟ ثم أحسبه قال: إن هذا لهو التكلف.[١] قال ابن كثير: وهذا كله محمول على أنه، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، إنما أراد استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل، لقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧﴾ [عبس: ٢٧]»[٢].

ولعل هذا ما أشار إليه ابن القيم حين قال: «وتفسير الناس يدور على ثلاثة أصول: تفسير على اللفظ وهو الذي ينحو إليه المتأخرون، وتفسير على المعنى وهو الذي يذكره السلف، وتفسير على الإشارة والقياس وهو الذي ينحو إليه كثير من الصوفية وغيرهم»[٣].

ولا ريب أن السابقين الأولين كانوا أكثر الناس انتفاعًا بالقرآن، وإدراكًا لهديه، والتزامًا به، لا يجادل في هذا إنسان.

فعلى من يريد الانتفاع بالقرآن أن يجعل همه المعاني، ووجْهَه شَطْرَ المقاصد، ولا يشغل نفسه إلا بما يخدمها ويدل عليها، يقول الغزالي: وسر القرآن، ولُبَابه الأصفى، ومقصده الأقصى، دعوة العباد إلى الجبار الأعلى، رب الآخرة والأولى، خالق السماوات العلى، والأرضين السُّفلى، وما بينهما وما تحت الثرى، فلذلك انحصرت سور القرآن وآياته في ستة أنواع، ثلاثة منها: هي السوابق والأصول المهمة، وهي:

(١) تعريف المدعو إليه بذاته وصفاته وأفعاله.

(١) جامع البيان للطبري (٢٤/ ٢٢٩).
(٢) -تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/ ١١).
(٣) التبيان في أقسام القرآن (ص: ٧٩).

(٢) وتعريف الصراط المستقيم الذي تجب ملازمته في السلوك إليه.

(٣) وتعريف الحال عند الوصول إليه.

وثلاثة منها مغنية متمة وهي:

أولها: تعريف أحوال المجيبين للدعوة ولطائف صنع الله فيهم؛ وسره ومقصوده التشويق والترغيب، وتعريف أحوال الناكبين والناكلين عن الإجابة، وكيفية قمع الله لهم وتنكيله لهم؛ وسره ومقصوده الاعتبار والترهيب.

ثانيهما: حكاية أحوال الجاحدين، وكشف فضائحهم وجهلهم بالمجادلة والمُحاجَّة على الحق، وسرُّه ومقصودُه في جنب الباطل الإفضاح والتنفير، وفي جنب الحق الإيضاح والتثبيت والتقهير[(١)].

وثالثها: تعريف عمارة منازل الطريق، وكيفية أخذ الزاد والأُهبة والاستعداد»[(٢)].

(١) لعله يعني بالتقهير جعلهم قاهرين لعدوهم، ولم أقف على هذا المصدر في شيء من دواوين اللغة، إلا أنه ورد عرضًا في أبيات للأَضْبط بن قُرَيْع بن عوف، وكَانَ أَغار عَلَى أَهْل صَنْعاء وبَنَى بِهَا حصنا، وَقَالَ:

وشَفَيْتُ نَفْسِي، مِنْ ذوِي يَمَنٍ ... بالطَّعنِ فِي اللَّبَّات والضربِ
قَتَّلتهـمْ وأَبَحْـتُ بَلْـدَتَهـم ... وأَقَمْـتُ حَوْلًا كامِلًا أَسْـبي
وبَنَيْـتُ أُطْماً فِي بِلَادِهِـمُ ... لأُثَبِّـت التَّقْهِيرَ بالغَضَـبِ

انظر: لسان العرب – (أطم)، (١٢/ ١٩).

(٢) جواهر القرآن (ص: ٢٣).

خامسًا: العجلة في اعتماد المعاني قبل استفراغ الوسع في التدبر:

وهو ألَّا يتدبر القرآن حق تدبره، «فيفسره بما يخطر له من بادئ الرأي دون إحاطة بجوانب الآية، مقتصرًا على بعض الأدلة دون بعض، كأن يعتمد على ما يبدو من وجه في العربية فقط»[1]، فإن اعتبار المعاني ليس بحُسنها ورُوائها وطَرَب النفوس لها، ولكن بصدقها وصحتها، وعدم مصادمتها لأصول الدين وقواعده التي ثبتت قبلُ بالقرآن والسنة والإجماع. ولذا ترى بعض المفسرين تقع إليه بعض المعاني المستطرفة التي يستحليها الذوق، غير أنها لا تثبت بمقاييس العلم، فيعلق عليها بتعليق طريف قائلا «هي كالورد يُشم ولا يدعك» قاصدًا بذلك أنها رغم طلاوتها ضعيفة خفيفة، لا تصمد في الاختبار، ولا تثقل في الميزان.

....

(١) -التحرير والتنوير (١/ ٣٠).

مجلة تدبر

الخاتمة

وبعد، فقد عرَضتُ في هذه الورقات نظرات خاطفة حول أساليب التدبر عند العلماء، هي ما أَذِن به الوقت والحال. وليست بالتأكيد مُنتهى الأمل، أو غاية الرجاء؛ ذلك أن دراسة الأساليب الفنية للتدبر موضوع كبير نظرًا لأمرين:

الأول: ضخامة التراث التدبري الذي نملكه، وتوزُّعه في مصادر شتَّى، وهو ما ينتظر جُهدًا جماعيًا جادًّا يقوم على جمعه وتنقيحه وترتيبه.

والثاني: تنوع أساليب العلماء في التدبر ودقتها وغموضها؛ لدرجة دفعت بعضهم إلى أن يذهب إلى أنها مجرد مواهب إلهية وفتوحات ربانية، لا تنضبط بضابط، ولا يمكن تعلمها فضلا عن تعليمها!(١).

فلتكن هذه الصفحات التي سطَّرْتُها خطوة على الطريق تدفع نحو مزيد من البحث والدراسة.

نتائج البحث:

ظهرت للباحث عدة نتائج من أهمها ما يلي:

١. التدبر عمل قلبي يقوم على التأمل في آيات الله تعالى والنظر في تطبيقها على الفرد والمجتمع.

(١) ونحن كما نؤمن ونوقن بأنه لا علم لنا إلا ما علمنا الله، ولا فهم إلا ما رزقنا الله، وأن الخلق لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، نوقن أيضا بأن العلم بالتعلم والفهم بالتفهم، وأن فضل الله إنما يتنزل على العاكفين في محاريب العلم يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، هؤلاء هم الذين يتنزَّل عليهم فضل الله وهدايتهم وتحفهم ملائكته.

٢. ثَـمَّـة فـروق دقيقة بين التدبر، والتفكر، والـتـذكـر، والتفسير، والاستنباط.

٣. التدبر واجب شرعي على كل سامع وقارئ للقرآن الكريم، بحيث لا يُغْني فيه أحد عن أحد.

٤. الأمر بالتدبر غير مختص بالمسلمين ولا بالعلماء منهم، بل هو متوجِّه لكل من يسمع ويعقل من مسلم وكافر.

٥. للتدبر نوعان: كُلِّي، يتأمل في القرآن كله باعتبار دلالته على صدق محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجزئي ينظر في آيات القرآن لِيسْتَلهِم هداياته في شئون الحياة تفصيلًا.

٦. هناك موانع تحول بين الإنسان وبين التدبر من أهمها: انشغال القارئ بتحقيق الحروف عن النظر في المعاني، والتقليد الذي يَحْجُر على العقول فيمنعها التفكير والتأمل، والذنوب التي تَغْشَى القلوب فتفسد فطرتها، واعتقاد المرء أن لا معنى للقرآن إلا ما نُقِل عن السلف، وأنه ما ترك الأول للآخر شيئًا.

٧. ثَمَّة أساليب منهجية يستعملها العلماء في تدبرهم لكتاب الله تعالى، بعضها قد نصُّوا عليه، وبعضها يمكن فهمه استنباطًا من كلامهم.

٨. هناك أخطاء منهجية قد تقع في عملية التدبر، أهمها: الاكتفاء بالتفكر عن التعلم إعجابًا بالعقل، والاكتفاء بالتعلم عن التفكر وقوفًا عند حدِّ النقل، والتفلُّت من قواعد اللغة ودلالتها، والانشغال بالدقائق اللفظية عن المعاني الكلية، والعجلة في اعتماد المعاني قبل استفراغ الوِسْع في التدبر.

التوصيات:

هـذا، ووصيتـي لمـن يتصـدّى لتعليم القـرآن وتفهيمـه أن يُحْيي سُـنَّة التـدارس الجماعـي، الذي يقوم على اسـتثارة العقول وتلاقـح الأفكار، وأن يبتعـد عن تلقين المعلومـات الجاهزة، فإن تلقين الفكـرة يحجر على العقل، ويلقيه في العجز، ويُعَوِّده الكسلَ والخمول.

إنَّ ما يستطيع الطالب أنْ يُحَصِّله بنفسه، لا ينبغي للأستاذ أن يُلقيه إليه سهلًا أبدًا؛ بل عليه أن يتركه يسعى لتَقْوَى قدمُه، ويتعبَ ليشتدَّ ساعدُه، ويفكرَ ليَشْحذَ ذهنَه.

ولقد جرَّبتُ هذا الأمر مع طلبة الكليات الشرعية، فكنت أطرح عليهم كثيرًا من المسائل المتعلقة بالقرآن وتفسيره ومُشكله ومتشابهه، فلم أَعْدَم يومًا منهم جوابًا عن سؤال، أو حَلًّا لإشكال. بل ربما كانت عدة أجوبة تطابق أحيانًا ما ذكره أئمة التفسير الكبار، أو تزيد عليها. فلو نظر إليَّ أحدُهم حينها لرأى أستاذًا يُمسِك بقلمه؛ ويُدوِّن بإعجابٍ أفكارَ طلابه الحية، وآراءهم الرائعة.

إنَّ عطاء الله لا يختصُّ بشيخ أو شاب، أو رجل أو امرأة، وعلينا أن نُحَوِّلَ التدبر القرآني إلى ثقافة مجتمع، وأنْ نستثمر عقول الجميع في تأمل معانيه، واستنباط فوائده، واستخراج حِكَمِه وأحكامه، تحت رعاية علمية متخصصة، ترسُم منهجه، وتتابع خطواته، وتروي شجرته الطيبة؛ فتؤتي أُكُلَها كل حينٍ بإذن ربِّها.

ونصيحتي لمن تعلم القرآن أن يقرِن العلم بالعمل، وألا يغترَّ بما حصل من علم فيظنه غاية المراد ونهاية المقصود، فإن العلم لا يقصد لنفسه، ولا

يُراد لذاته؛ بل للعمل به والسلوك على منهاجه، يقول محمد بن كعب القرظي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من بلَغه القرآن فكأنما كلَّمه الله. قال أبو حامد الغزالي: وإذا قَدَّر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه إليه ليتأمَّله، ويعمل بمقتضاه.

ولذلك قال بعض العلماء: هذا القرآن رسائل أتتنا من قِبَل ربِّنا عَزَّ وَجَلَّ بعهوده، نتدبرها في الصلوات، ونقف عليها في الخلوات، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات.

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: إنَّ أحقَّ الناس بهذا القرآن من رُؤِيَ في عمله.

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يجالس أحدٌ هذا القرآنَ إلا قام بزيادة أو نقصان، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢].

وكان مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: ما زَرَع القرآنُ في قلوبكم يا أهل القرآن؟ إنَّ القرآنَ ربيعُ المؤمن، كما أنَّ الغيثَ ربيعُ الأرض!»[١].

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٨٥) بتصرف يسير.

المراجع

❁ القرآن العظيم.

١. أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي، أبو بكر الرازي، تح: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥ هـ.

٢. أحكام القرآن، المعافري، محمد بن عبد الله، أبو بكر بن العربي، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

٣. الإحكام في أصول الأحكام، الظاهري، أبو محمد علي بن حزم، تح: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.

٤. إحياء علوم الدين، الغزالي، أبو حامد، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.

٥. الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن مفلح، عالم الكتب، بيروت، بدون تاريخ.

٦. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٧. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، الشوكاني، محمد بن علي، تح: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٨. أساس البلاغة، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، تح:محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩ هـ.

٩. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

١٠. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي**، ناصر الدين عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

١١. **البحث العلمي: أساسياته النظرية وممارسته العملية**، دويدري، رجاء وحيد، دار الفكر المعاصر–بيروت، ١٤٢١ هـ.

١٢. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٣. **البرهان في علوم القرآن**، الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٧٦هـ.

١٤. **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**، ابن تيمية، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٥. **البيان والتبيين**، الجاحظ، عمرو بن بحر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

١٦. **تاج العروس من جواهر القاموس**، الزبيدي، محمد مرتضى، منشورات مكتبة الحياة، بيروت – لبنان، د.ت.

١٧. **تاريخ دمشق**، ابن عساكر، علي بن الحسن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤١٥ هـ.

١٨. **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، تح: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦ هـ.

١٩. **التبيان في أقسام القرآن**، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

٢٠. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

٢١. **التذكار في أفضل الأذكار**: القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤٠٦ هـ.

٢٢. **تفسير الإمام الشافعي**، جمع وتحقيق ودراسة: الفرَّان، د. أحمد بن مصطفى، دار التدمرية – المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢٣. **التفسير البسيط**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد، عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠ هـ.

٢٤. **تفسير السمرقندي المسمى بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد، تح: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٣هـ،

٢٥. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تح: سامي سلامة، دار طيبة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٦. **تفسير القرآن**، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي، تح: ياسر إبراهيم وآخر، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٧. **التفسير الكبير**، الرازي، فخر الدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٢٨. **التفسير والمفسرون**، الذهبي، محمد السيد حسين، مكتبة وهبة، القاهرة، د.ت.

٢٩. **تهذيب الأسماء واللغات**، النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

٣٠. **تهذيب اللغة**، الأزهري، محمد بن أحمد، أبو منصور، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٣١. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تح: عبدالرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٢. **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير، تح: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٣. **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسننه وأيامه**، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٤. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد، تح: أحمد البردوني وآخر، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٣٥. **جواهر القرآن ودرره**، الغزالي، أبو حامد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط الثانية، ١٤٠٦ هـ.

٣٦. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، الجرجاني، عبد القاهر، تح: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٧. **روائع إقبال**، الندوي، أبو الحسن على الحسني، دار الفكر دمشق، ط١، ١٣٧٩هـ.

٣٨. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تح: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٩. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، عياض بن موسى اليحصبي، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٤٠. **الصحاح أو تاج اللغة وصحاح العربية**، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٤١. **صيد الخاطر**، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، دار القلم - دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٤٢. **الطيوريات**، انتخبها السِّلَفي، أبو طاهر أحمد بن محمد من أصول: الطيوري، أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، تح: دسمان يحيى معالي، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ١٤٢٥ هـ.

٤٣. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار ابن كثير، دمشق، ط: الثالثة، ١٤٠٩هـ.

٤٤. **العزفُ على أنوار الذِّكر- معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآنيّ في سياق السورة**، د. محمود توفيق محمد سعد، مكتبة وهبة - القاهرة، د.ت.

٤٥. **العقل وفهم القرآن**، المحاسبي، الحارث بن أسد، تح: حسين القوتلي، دار الكندي، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

٤٦. **غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني**، الكوراني، أحمد بن إسماعيل بن عثمان، من أول سورة النجم إلى آخر سورة الناس، دراسة وتحقيق: محمد مصطفي كوكصو، رسالة دكتوراه- جامعة صاقريا- كلية العلوم الاجتماعية - تركيا، ١٤٢٨ هـ.

٤٧. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيسابوري، الحسن بن محمد، تح: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

٤٨. **غريب الحديث**، ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، تح: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٩. **غريب الحديث**، الخطابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن الخطاب البستي، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.

٥٠. **الفروق اللغوية**، العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.

٥١. **فصول في أصول التفسير**، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٥٢. **فضائل القرآن**، المستغفري، أبو العباس جعفر بن محمد، تح: أحمد بن فارس السلوم، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠٨ م

٥٣. **فضائل القرآن**، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم، تح: مروان العطية وآخرين، دار ابن كثير دمشق، ط١، ١٤١٥ هـ.

٥٤. **الفوز الكبير في أصول التفسير**، الدهلوي، أحمد بن عبد الرحيم، عَرَّبَه من الفارسية: سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة – القاهرة، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٥٥. **كتاب الاعتقاد**، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، تح: أختر جمال محمد لقمان، رسالة ماجستير بكلية الشريعة – جامعة أم القرى بمكة المكرمة، سنة ١٤٠٢هـ بإشراف أ.د: محيي الدين الصافي.

٥٦. **كتاب تفسير القرآن**، ابن المنذر النيسابوري، أبو بكر محمد بن إبراهيم، تح: سعد بن محمد السعد، دار المآثر – المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٣ هـ.

٥٧. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤٠٧ هـ.

٥٨. **اللباب في علل البناء والإعراب**، أبو البقاء العكبري، عبد الله بن الحسين، تح: د. عبد الإله النبهان، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.

٥٩. **لطائف الإشارات**، القشيري، عبد الكريم بن هوازن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: الثالثة، بدون.

٦٠. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ضياء الدين بن الأثير، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.

٦١. **مجالس القرآن**، فريد الأنصاري، دار السلام، القاهرة، ط٣، ١٤٣٤هـ.

٦٢. **مجموع الفتاوى**، بن تيمية الحراني، أحمد بن عبد الحليم، تح: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.

٦٣. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية الأندلسي عبد الحق بن غالب، تح: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٤. **المحكم والمحيط الأعظم**، ابن سيده المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٥. **مختصر قيام الليل**، المروَزِي، أبو عبد الله محمد بن نصر، اختصره: العلامة أحمد بن علي المقريزي، حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، ط١، ١٤٠٨ هـ.

٦٦. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، تح: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣، ١٤١٦ هـ.

٦٧. **مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، المباركفوري، أبو الحسن عبيد الله بن محمد، إدارة البحوث العلمية والدعوة والإفتاء، الجامعة السلفية، بنارس الهند، ط٣، ١٤٠٤ هـ.

٦٨. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ابن حنبل الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٩. **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم بن الحجاج، أبو الحسن القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٧٠. **معاني القرآن**، أبو جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧١. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت.

٧٢. **المفردات في غريب القرآن**، الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، تح: صفوان عدنان، دار القلم بيروت، ١٤١٢هـ.

٧٣. **مفهوم التدبر تحرير وتأصيل**، أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم، نشر: مركز تدبر، الرياض، ١٤٣٠هـ.

٧٤. **ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل** لابن حزم، تلخيص الذهبي، تح: سعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، ١٣٨٩ هـ.

٧٥. **مناهل العرفان في علوم القرآن**، الزُّرْقاني، محمد عبد العظيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، د.ت.

٧٦. **الموافقات في أصول الشريعة**، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.

٧٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، البقاعي، إبراهيم بن عمر، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.

٧٨. **نقد الخطاب الديني**، نصر أبو زيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥م.

٧٩. **النكت في معاني القرآن الكريم وإعرابه**، المُجَاشِعِي، علي بن فَضَّال بن علي بن غالب، تح: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ.

٨٠. **النكت والعيون**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، تح: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

مجلة تدبر

المحتوى

مجلة تدبر

مجلة تدبر



البحث الثاني

أَفَانِينُ ٱلسُّورَةِ ٱلْقُرْآنِيَّةِ فِي ٱلدَّلَالَةِ عَلَى مَقْصِدِهَا

«دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ عَلَى سُورَةِ مَرْيَم»

د. تَوْفِيق بْنُ عَلِي مُرَاد زَبَادِي

أستاذ مساعد وباحث في الدراسات القرآنية بمركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض

- حصل على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان بأطروحته: (منهج القرآن في مدح القلة وذم الكثرة) .
- حصل على درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان بأطروحته:(الإصلاح و الإفساد في ضوء القرآن) .

النتاج العلمي:

المنهج البلاغي في تدبر القرآن، أثر التفسير الموضوعي في الارتقاء بالعلوم الطبيعية، الفوز والخسران في ضوء القرآن، إعجاز النظم القرآني في اقتران السنن الاجتماعية بالسنن الكونية، نحو ختمة قرآنية تدبرية ارتقائية في الفكر والسلوك، تميز المؤمنين رؤية قرآنية، كيف تكون مباركًا أينما كنت؟

البريد الإلكتروني: towfeekali@hotmail.com

مستخلص البحث

أهداف البحث :

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما المقصود بمقصد السورة؟

٢- ما المراد من أفانين السورة القرآنية؟

٣- هل للقصص، وأسماء الله الحُسْنى، والفرائد القرآنية، والآيات الكونية، والسنن الإلهية، ومشاهد القيامة في السورة دلالة على مقصدها؟

منهج البحث :

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج؛ ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص، أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث، والمنهج التحليلي؛ وذلك بتحليل النصوص المستقراة.

أهم النتائج :

١- أن مقصد السورة هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها.

٢- توجد عدة طرق للكشف عن مقصد السورة أهمها: اسم السورة،

فضائل السورة، التأمل في أوائل السورة وأواخرها، إمعان النظر في الكلمات المكررة، النظرة الشاملة للسورة من أولها إلى أخرها.

٣- تتنوع أساليب السورة في دلالتها على المقصد والتي منها: القصص، وأسماء الله الحسنى، الفرائد القرآنية، والآيات الكونية، وسنن الله في الأنفس، ومشاهد القيامة، وغير ذلك مما تتميز به كل سورة.

التوصيات:

أوصي الباحثين: بضرورة الاهتمام بالبحث بتوسع في أفانين السور القرآنية ودلالتها في تحقيق مقاصدها.

الكلمات المفتاحية: (أفانين- السورة - الدلالة- المقصد).

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]، أما بعد:

فالقرآن الكريم كتاب جُعِلَت آياته محكمة النظم والتأليف، واضحة المعاني بليغة الدلالة والتأثير، فهي كالحصن المنيع، والقصر المشيد الرفيع، في إحكام البناء، وما يقصد به من الحفظ والإيواء مع حسن الرواء، فهي لظهور دلالتها على معانيها ووضوحها لا تقبل شكًّا ولا تأويلًا، ولا تحتمل تغييرًا ولا تبديلًا، ثم جُعلت فصولًا متفرقة في سوره ببيان حقائق العقائد، والأحكام والحكم والمواعظ، وسائر ما أنزل الكتاب له من الفوائد، قَالَ تَعَالَى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ [هود: ١].

وتأتي آيات هذا الكتاب باختلاف أنواعها مرة بحجج من مشاهدات في السماوات والأرض، وأخرى بحجج من دلائل في نفوس الناس، ومرة بحجج من أحوال الأمم الخالية التي أنشأها الله.

وتأتي أساليبه مستجمعة درجات الفهم، وفيها الغاية -كل الغاية- لكل عقل صحيح، يقرؤها العالم؛ فيستشف من خلالها علل الأشياء، ويقرؤها الحكيم؛ فيلتمس منها أسرار الوجود، ويقرؤها غيرهما من الناس فتنقاد لها قلوبهم وعقولهم، لم يجعلها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نوعًا واحدًا، بل وعدًا، ووعيدًا، ومحكمًا، ومتشابهًا، ونهيًا، وأمرًا، وأخبارًا، وأمثالًا، وقصصًا ومواعظَ؛ تناسب اختلاف طبائع الناس، ومستويات قُدراتِ الفهم لديهم، وهذا من رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بعباده وتلطُّفه بهم؛ لتحبيبهم في أحكامه ودينه، وأن يشرح لهم الأمر من كل زواياه ومن كل أبعاده، حتى يُقبل الناس على دين الله عن ثقة واقتناع ورضا.

وفي هذا البحث سأتحدث عن **(أفانين السورة القرآنية في دلالتها على مقصدها)** بأساليب متنوعة لا يحول بينها وبين الولوج إلى العقول مانع، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «جاء القرآن بأسلوب من الإرشاد قويم ذي أفنان لا يحول دونه ودون الولوج إلى العقول حائلٌ، ولا يغادر مسلكًا إلى ناحية من نواحي الأخلاق والطبائع إلا سلكه إليها تحريضًا أو تحذيرًا، بحيث لا يعدم المتدبر في معانيه اجتناء ثمار أفنانه»(١).

مشكلة البحث:

تتحدد مشكلة البحث في إبراز أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٥/ ٤٠.

أهداف البحث:

تهدف الدراسة إلى الكشف عن أفانين السورة القرآنية في الدلالة على مقصدها من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما المقصود بمقصد السورة؟
٢. ما المراد من أفانين السورة القرآنية؟
٣. هل للقصص في السورة دلالة على مقصدها؟
٤. هل لأسماء الله الحُسْنى في السورة دلالة على مقصدها؟
٥. هل للفرائد القرآنية في السورة دلالة على مقصدها؟
٦. هل للآيات الكونية في السورة دلالة على مقصدها؟
٧. هل للسنن الإلهية في الأنفس في السورة دلالة على مقصدها؟
٨. هل لمشاهد القيامة في السورة دلالة على مقصدها؟

أسباب اختيار الموضوع:

تحدث جمع من العلماء والباحثين عن الوحدة الموضوعية للسورة وكيف أن السورة تخدم موضوعًا رئيسًا، وإنْ تعدَّدت الموضوعات الفرعية فيها، لكنها مشدودة إلى موضوع واحد تأخذ آياته بعنق بعضها لتحقيق الموضوع الرئيس، ولم يتطرق أحدٌ لبيان تنوع أساليب السورة القرآنية في تحقيق مقصدها وتأكيده في صورة معجزة بصورة مستقلة، وإن وُجد له إشارات في كتب التفسير؛ لذلك عزمت مستعينًا بالله لإبراز هذا الموضوع.

أهمية الموضوع :

١- خدمة كتاب الله الكريم.

٢- بيان إعجاز القرآن الكريم في نظمه وبيان معانيه.

٣- إبراز أساليب السورة القرآنية المتنوعة في بيان مقصدها.

الدراسات السابقة :

تحدثت البحوث والدراسات عن أساليب القرآن الكريم على مستوى القرآن كله، وكيف تنوعت في الحديث عن موضوعاته، مثل: أساليب القرآن في الحديث عن الوحدانية والتوحيد(١)، لكن لم يفرد بحث للحديث عن أساليب السورة القرآنية في بيان مقصدها -حسب علمي-.

لكن من الدراسات التي لها علاقة ببحثنا (علاقة المطالع بالمقاصد في القرآن الكريم دراسة بلاغية نظرية تطبيقية)، للباحث: إبراهيم صلاح السيد الهدهد، وتحت إشراف الدكتور محمد جلال الشيخ الذهبي، وهي رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة الأزهر في مصر، عام ١٩٩٣م، والرسالة تركز على علاقة المطالع بالمقاصد، لكن البحث الذي بين يدينا يركز على دلالة أساليب السورة على مقصدها، ولا شك أن الباحث سيُفيد من هذه الرسالة.

---

(١) راجع: المدخل إلى التفسير الموضوعي للدكتور عبد الستار فتح الله صـ١١٦ وما بعدها، الطبعة الثانية، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة.

منهج البحث :

تقتضي طبيعة البحث تعدد المناهج، ولذلك فإن الباحث جمع في هذه الدراسة بين الاستقراء والتحليل للنصوص.

أما المنهج الاستقرائي: ففي تتبع الآيات القرآنية في السورة المتعلقة بموضوع البحث.

والمنهج التحليلي: وذلك بتحليل النصوص المستقراة، والوقوف على المعاني الدقيقة التي تحتملها ولها علاقة وثيقة بموضوع البحث.

وكانت خطة البحث على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره والدراسات السابقة وهيكليته.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث وأهم طرق الكشف عن مقصد السورة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

المطلب الثاني: أهم الطرق العملية للكشف عن مقصد السورة.

المبحث الثاني: سورة مريم دراسة تطبيقية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: مقدمات عن السورة.

المطلب الثاني: طرق الكشف عن مقصد سورة مريم.

المبحث الثالث: أفانين سورة مريم في الدلالة على مقصدها، وفيه مطالب:

المطلب الأول: القصص ودلالتها على مقصد السورة.

المطلب الثاني: أسماء الله الحسنى ودلالتها على مقصد السورة.

المطلب الثالث: الفرائد ودلالتها على مقصد السورة.

المطلب الرابع: الآيات الكونية ودلالتها على مقصد السورة.

المطلب الخامس: سنة الله في ثواب المؤمنين وعاقبة المجرمين ودلالتها على مقصد السورة.

المطلب السادس: سنة الله في إمهال المجرمين ودلالتها على مقصد السورة.

المطلب السابع: مشاهد القيامة ودلالتها على مقصد السورة (كرامة المؤمنين وإهانة الكافرين).

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول:
التعريف بمصطلحات البحث
وأهم طرق الكشف عن مقصد السورة

المطلب الأول: التعريف بمصطلحات عنوان البحث:

أفانين:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فن: الفاء والنون أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تَعْنِيَة، والآخر على ضرب من الضروب في الأشياء كلها.

فالأول: الفن، وهو التعنية والإطْراد الشديد. يقال: فَنَنْتُه فنًّا، إذا أطردته وعنَّيته.

والآخر الأفانين: أجناس الشيء وطرقه. ومنه الفنن، وهو الغصن، وجمعه أفنان[1].

والمعنى الثاني هو الـمُراد.

وأفانين الكلام: أساليبه وطُرقه وأجناسه[2].

وأفانين القرآن الكريم هو أسلوبه وطريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه.

السُّورَةُ: المنزلة الرفيعة، وسُورُ المدينة: حائطها المشتمل عليها، وسُورَةُ القرآن تشبيهًا بها؛ لكونه محاطًا بها إحاطة السّور بالمدينة، أو لكونها

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٤٣٥.

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر: ٣/ ١٧٤٦.

منزلة كمنازل القمر[1].

فكل سورة من القرآن بمنزلة درجة رفيعة ومنزل عال يرتفع القارئ منها إلى درجة أخرى ومنزل آخر إلى أن يستكمل القرآن[2].

واصطلاحًا: قرآن يشتمل على آي، ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات»[3].

المقصد: (قصد) القاف والصاد والدال أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيان شيء وأمه، والآخر على اكتناز في الشيء[4].

والمعنى الأول هو المقصود.

والقصد: استقامة الطريق. قصد يقصد قصدًا، فهو قاصد. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ ٩﴾ [سورة النحل الآية ٩]؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة[5].

ومقاصد الشريعة: الأهداف التي وضعت لها، ومقاصد الكلام: ما وراء السطور أو ما بينها[6].

---

(١) مفردات غريب القرآن، للراغب الأصفهاني: ٤٣٤.

(٢) الكليات، للكفوي: ٤٩٤.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن، لمصطفى مسلم، ص: ٤١.

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس: ٥/ ٩٥

(٥) لسان العرب، لابن منظور: ٣/ ٣٥٣.

(٦) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر: ٣/ ١٨٢٠.

ومقصد السورة:

هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها[1].

ويمكن أن نضع تعريفًا ملخصًا لعنوان البحث فنقول:

أسلوب السورة وطريقتها التي انفردت بها في الدلالة على مقصدها الجامع لمعانيها ومضمونها.

المطلب الثاني: أهم الطرق العملية للكشف عن مقصد السورة:

توصل العلماء المهتمون بالكشف عن مقاصد السور بعد تأمل عميق، وفهم دقيق، وتطبيق أنيق وطول نَفَس؛ إلى عدة طرق للكشف عن مقصد السورة، سوف نكتفي بذكر أهمها:

١- معرفة فضائل السورة:

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعلى قدر المقصود من كل سورة، تكون عظمتها، ويعرف ذلك مما ورد في فضائلها ويؤخذ من ذلك أسماؤها، ويدل على فضلها كثرتها»[2].

مثال تطبيقي:

سورة الفاتحة من السور ذات الأسماء الكثيرة، أنهاها صاحب «الإتقان» إلى نيف وعشرين بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القراء من عهد السلف:

(١) علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، عبد المحسن بن زبن المطيري: ٨.

(٢) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ٢١٠.

قال السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد وقفت لها على نيف وعشرين اسمًا؛ وذلك يدل على شرفها؛ فإن كثرة الأسماء دالة على شرف المسمى:

أحدها: فاتحة الكتاب.

ثانيها: فاتحة القرآن.

وثالثها، ورابعها: أم الكتاب وأم القرآن.

خامسها: القرآن العظيم، روى أحمد عَن أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي أُمِّ الْقُرْآنِ: «**هِيَ أُمُّ الْقُرْآنِ وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ**»(١)، وسُميت بذلك؛ لاشتمالها على المعاني التي في القرآن.

سادسها: السبع المثاني.

سابعها: الوافية، كان سفيان بن عيينة يسميها به؛ لأنها وافية بما في القرآن من المعاني.

ثامنها: الكنز.

تاسعها: الكافية، لأنها تكفي في الصلاة عن غيرها ولا يكفي عنها غيرها.

عاشرها: الأساس؛ لأنها أصل القرآن وأول سورة فيه.

حادي عشرها: النور.

ثاني عشرها وثالث عشرها: سورة الحمد وسورة الشكر.

---

(١) مسند الإمام أحمد: مسند أبي هريرة، (٩٧٨٧)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه الطبري في «تفسيره» ١٤/ ٥٩ من طريق يزيد بن هارون وحده، بهذا الإسناد، وأخرجه الدارمي (٣٣٧٤).

رابع عشرها وخامس عشرها: سورة الحمد الأولى وسورة الحمد القصرى.

سادس عشرها وسابع عشرها وثامن عشرها: الرقية والشفاء والشافية.

تاسع عشرها: سورة الصلاة؛ لتوقُّف الصلاة عليها.

العشرون: وقيل إن من أسمائها الصلاة أيضًا؛ لحديث أبي هريرة «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين»(١)، أي السورة؛ لأنها من لوازمها، فهو من باب تسمية الشيء باسم لازمه، وهذا الاسم العشرون.

الحادي والعشرون: سورة الدعاء، لاشتمالها عليه في قوله: ﴿ٱهۡدِنَا﴾.

الثاني والعشرون: سورة السؤال.

الثالث والعشرون: سورة تعليم المسألة؛ لأن فيها آداب السؤال؛ لأنها بُدئت بالثناء قبله.

الرابع والعشرون: سورة المناجاة؛ لأن العبد يناجي فيها ربه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥].

الخامس والعشرون: سورة التفويض؛ لاشتمالها عليه في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥] فهذا ما وقفت عليه من أسمائها(٢).

---

(١) رواه أحمد: مسند أبي هريرة، (٧٨٣٧)، قال محققه: إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير العلاء بن عبد الرحمن وأبي السائب، فهما من رجال مسلم.

(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ١/ ١٩١.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن، أو أم الكتاب»[(١)].

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا، لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**»[(٢)].

وسميت فاتحة؛ لأنها جُعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله، ويستفتح بها الصلاة.

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الحمدُ لِله رب العَالمين أُمُّ القرآن، وأُمُّ الكتاب، والسبعُ المثاني** »[(٣)].

وجه تسميتها بأم الكتاب أو أم القرآن:

ذكر العلماء لتسمية الفاتحة أم القرآن وجوهًا ثلاثة:

أحدها: أنها مبدؤه ومفتتحه، فكأنها أصله ومنشؤه، يعني أن افتتاحه الذي هو وجود أول أجزاء القرآن قد ظهر فيها، فجعلت كالأم للولد في أنها الأصل

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١/ ١٣١.

(٢) رواه مسلم، كِتَاب صَلاَةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، (٨٠٦).

(٣) رواه أبو داود، باب: فاتحة الكتاب، (١٤٥٧)، قال الألباني صحيح، انظر: (صحيح أبي داود: ٥/ ١٩٨).

والمنشأ، فيكون أم القرآن تشبيهًا بالأم التي هي منشأ الولد لمشابهتها بالمنشأ من حيث ابتداء الظهور والوجود.

الثاني: أنها تشتمل محتوياتها على أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ثناءً جامعًا لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية وإثبات البعث والجزاء، وذلك من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۝٢﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾، والأوامر والنواهي من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، والوعد والوعيد من قوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ ۝٧﴾ إلى آخرها، فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكملات لها.

الثالث: أنها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والأحكام العملية؛ فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها، وإما أحكام يقصد منها العمل بها، فالعلوم كالتوحيد والصفات والنبوءات والمواعظ والأمثال والحكم والقصص، والأحكام إما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات، وإما عمل القلوب أي العقول، وهو تهذيب الأخلاق وآداب الشريعة، وكلها تشتمل عليها معاني الفاتحة[(١)].

ووجه الوصف بالمثاني أن تلك الآيات تثنى في كل ركعة؛ لأن معناه أنها تُضم إليها السورة في كل ركعة.

وقيل: لأنها تثنى في الصلاة، أي تكرر، فتكون التثنية بمعنى التكرير[(٢)].

فمقصد السورة: توجه العباد لربهم بتحقيق كمال العبودية.

(١) التحرير والتنوير: ١/ ١٣٤.

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٣٥.

٢- التأمل في اسم السورة:

يقول البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ «. . . وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مُتَرجِم عن مقصودها؛ لأنّ اسم كلّ شيءٍ تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدالّ إجمالًا على تفصيل ما فيه[١].

مثال تطبيقي:

عن ابنِ عَابِسٍ الْجُهَنِيَّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «**يَا ابْنَ عَابِسٍ أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ مَا تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذُونَ؟ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ:﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١ ﴾، و﴿ قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١ ﴾ هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ**»[٢].

فمقصد السورتين التعوذ بالله من الشرور.

٣- إمعان النظر في أوائل السورة وأواخرها:

يقول أبو حيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وقد تتبعت أوائل السور المطولة؛ فوجدتها يناسبها أواخرها، بحيث لا يكاد يَنْخرم منها شيء»[٣].

مثال تطبيقي:

فمقصد سورة الشورى: حقيقة الوحي والرسالة المحمدية.

---

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٩.

(٢) رواه أحمد: حديث عقبة بن عامر الجهني، (١٧٣٨٩)، قال الألباني: صحيح، انظر السلسلة الصحيحة، (١١٠٤).

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ٢/ ٧٥٥.

ففي أولها تحدثت عن الوحي: قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٣﴾ [الشورى: ٣].

وفي أواخرها تحدثت عن الوحي، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشورى: ٥٢].

فاتفق الافتتاح مع الخاتمة، ودل ذلك على أن مقصد السورة « حقيقة الوحي والرسالة المحمدية».

٤- التأمل في الكلمات المكررة في السورة:

تكرار بعض الكلمات في السورة؛ دليل على أهمية هذه الكلمات في بيان مقصدها.

مثال تطبيقي:

مقصد سورة مريم: شمول رحمة الله لعباده.

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تكرر في هذه السورة -سورة مريم- صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعَّروا بإنكار هذا الوصف، كما حكى الله تعالى عنهم في قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا۩﴾ [الفرقان: ٦٠]»[(١)].

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٦٠

٥- النظرة الكلية للسورة، ومراعاة سياقها العام:

يقول الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طريقة الكشف عن مقصد السورة: «اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر؛ فالاقتصار على بعضها غير مفيد للمقصود منها»[١].

ويقول الشيخ دِراز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وملاك الأمر في ذلك أن تنظر إلى النظام المجموعي الذي وضعت عليه السورة كلها[٢].

مثال تطبيقي:

مقصد سورة البقرة: إعداد الأمة لحمل أمانة الخلافة في الأرض بعد نكول بني إسرائيل عن حملها.

يقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ «هذه السورة تضم عدة موضوعات، ولكن المحور الذي يجمعها كلها محور واحد مزدوج يترابط الخطان الرئيسيان فيه ترابطًا شديدًا. . فهي من ناحية تدور حول موقف بني إسرائيل من الدعوة الإسلامية في المدينة، واستقبالهم لها، ومواجهتهم لرسولها صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وللجماعة المسلمة الناشئة على أساسها، وسائر ما يتعلق بهذا الموقف بما فيه تلك العلاقة القوية بين اليهود والمنافقين من جهة، وبين اليهود والمشركين من جهة أخرى. . وهي من الناحية الأخرى تدور حول موقف الجماعة المسلمة في أول نشأتها وإعدادها لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، بعد أن تعلن السورة نكول بني إسرائيل عن حملها، ونقضهم لعهد الله بخصوصها،

---

(١) الموافقات، للشاطبي: ٣/ ٤١٥.

(٢) النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز: ١٩٦.

وتجريدهم من شرف الانتساب الحقيقي لإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ صاحب الحنيفية الأولى، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي سببت تجريد بني إسرائيل من هذا الشرف العظيم.. وكل موضوعات السورة تدور حول هذا المحور المزدوج بخطيه الرئيسيين»[1].

هذه أهم الوسائل العملية للكشف عن مقصد السورة.

....

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/ ٢٨.

المبحث الثاني :
سورة مريم مقدمات وطرق الكشف عن مقصدها .

تمهيد :

سورة مريم ذات ظلال، وأساليبها ذات أفنان، يرى المتدبرُ فيها حضورَ الرحمة في كثير من مشاهدها وأشخاصها الذين ذكروا فيها: ففيها ظهور رحمة الله في زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه برزقهما بيحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على حين حاجة، ورحمة الله في يحيى بإعطائه ما أعطاه من النعم، ورحمة الله مريمَ باصطفائها ورفع منزلتها وإبعادها عن قومها حتى ولدت، وتسهيل رزقها عند ولادتها، وإظهار براءة ساحتها، ورحمته في عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجعله رسولًا له، والإنعام عليه بنعم عاجلة وآجلة، ورحمته بني إسرائيل بإرسال عيسى إليهم، ورحمته تعالى في بيان توحيده لعباده، وإنذارهم بلقائه حتى يستعدوا له، ورحمته إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجعله صديقا نبيًّا، وإنجائه من كيد قومه، ورزقه بإسماعيل وإسحاق ويعقوب عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، والإنعام عليه بالذكر الحسن من الأمم، ورحمته موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بتصييره مخلَصا ورسولًا، وتأييده بأخيه هارون عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ورحمته هارون بجعله نبيًّا، ورحمته إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجعله صادق الوعد ورسولًا، ورحمته إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بجعله صديقا نبيًّا ورفعه مكانًا عليًّا، ورحمته النبيين ومَنْ تلاهم في الذكر بالاجتباء والرفعة، وظهور رحمته بالتوبة على عباده، وإثابة صالحي عباده بالجنة وإنجائهم من النار، وزيادة المهتدين منهم هدى، وجعل المحبة والقبول لهم في قلوب عباده الصالحين. ورحمته عباده بإنزال

الوحي الذي يتضمن الخير الكثير لهم، ورحمته خلقه ببعثهم بعد موتهم؛ لينال كل عامل جزاء ما عمل، ورحمته في إمهاله العاصين وحلمه عليهم، ورحمته رسولَه محمدًا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بإنزال القرآن عليه، ورحمته صالحي عباده بإهلاك المكذبين للرسل عقوبة لهم، وإنجاء المؤمنين، وجعل ذلك عبرة للمعتبرين من بعدهم.

والمتأمل في السورة يكاد يجد أنها تفصيل وبيان لقوله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ١٥٦﴾ [الأعراف: ١٥٦]، حيث فصَّل فيها رحمته بالمتقين وسادتهم من الأنبياء والمرسلين عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، ورحمته بالصديقة مريم عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ.

وهذه السورة كانت رحمة على المهاجرين إلى الحبشة حيث كانت سببًا في عدم تسليمهم إلى وفد قريش بقيادة عمرو بن العاص، وبذلك نجوا من أذاهم، وكذلك كانت رحمة على النجاشي وقساوسته بأنها كانت سببًا في إسلامهم.

ومختصر القصة أنه لما قدم وفد قريش إلى النجاشي ملك الحبشة في طلب من هاجر إليها من المسلمين، ودار حوار بين جعفر بن أبي طالب الذي كان متحدثًا باسم المهاجرين وبين النجاشي والقساوسة وبين وفد قريش وكان المتحدث عنهم عمرو بن العاص، وكان مما دار في هذا الحوار مما رواه الإمام أحمد عن أم سلمة قالت: «. . . فَقَالَ لَهُ -أي لجعفر بن أبي طالب- النَّجَاشِيُّ: هَلْ مَعَكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ عَنِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ: نَعَمْ، فَقَالَ لَهُ النَّجَاشِيُّ: فَاقْرَأْهُ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ صَدْرًا مِنْ ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ [مريم: ١]

قَالَتْ: فَبَكَى وَاللهِ النَّجَاشِيُّ، حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ حَتَّى أَخْضَلُوا مَصَاحِفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا مَا تَلَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَاللهِ وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقَا فَوَاللهِ لَا أُسْلِمُهُمْ إِلَيْكُمْ أَبَدًا[1].

فحقًّا إن هذه السورة الكريمة سورة الرحمة؛ حيث تجلّت فيها وبها رحمة الله تعالى على عباده.

۞ المطلب الأول: مقدمات عن السورة:

أسماء السورة:

اسم هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وأكثر كتب السنة سورة مريم، وابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سماها سورة ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾، وكذلك وقعت تسميتها في «صحيح البخاري» في كتاب التفسير.

وهي مكية عند الجمهور.

وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه.

ووجه التسمية أنها بسطت فيها قصة مريم وابنها وأهلها قبل أن تفصل في غيرها، ولا يشبهها في ذلك إلا سورة آل عمران التي نزلت في المدينة.

(١) رواه الإمام أحمد في المسند، تحقيق أحمد شاكر: ٢/ ٣٥٨، وقال الشيخ شاكر: إسناده صحيح، والحديث كله بطوله في مجمع الزوائد ٦: ٢٤ – ٢٧ وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ابن إسحق، وقد صرح بالسماع.

وعدت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة تسعًا وتسعين. وفي عدد أهل الشام والكوفة ثمانًا وتسعين[1].

فضائل السورة:

وردت فضائل هذه السورة ضمن فضائل زمرة من السور:

١- منها: عن عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ: إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي»[2].

٢- ومنها: عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ»[3].

والمثاني: كل سورة دون المئين، والمئين: كل سورة بلغت مائة آية فصاعدًا.

من مقاصد السورة:

«وَيَظْهَرُ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ نَزَلَتْ لِلرَّدِّ عَلَى الْيَهُودِ فِيمَا اقْتَرَفُوهُ مِنَ الْقَوْلِ الشَّنِيعِ فِي مَرْيَمَ وَابْنِهَا، فَكَانَ فِيهَا بَيَانُ نَزَاهَةِ آلِ عِمْرَانَ وَقَدَاسَتِهِمْ فِي الْخَيْرِ.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٥٨.

(٢) رواه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، باب تأليف القرآن، (٤٩٩٤)، قوله: (العتاق): جمع عتيق وهو ما بلغ الغاية في الجودة يريد تفضيل هذه السور؛ لما يتضمن مفتتح كل منها أمرًا غريبًا، والأولية باعتبار حفظها أو نزولها. قوله: (تَلَادي): هو ما كان قديمًا. انظر: (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٢٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند: (١٦٩٨٢)، قال محققه: إسناده حسن، عمران بن القطان- وهو ابن داود- حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير أبي داود الطيالسي، فمن رجال مسلم، وأخرج له البخاري تعليقًا.

وَهَلْ يُثْبِتُ الْخَطِّيَّ إِلَّا وَشِيجُهُ ثُمَّ التَّنْوِيهِ بِجَمْعٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مِنْ أَسْلَافِ هَؤُلَاءِ وَقَرَابَتِهِمْ.

وَالْإِنْحَاءِ عَلَى بَعْضِ خَلَفِهِمْ مِنْ ذُرِّيَّاتِهِمُ الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا عَلَى سُنَنِهِمْ فِي الْخَيْرِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ وَأَتَوْا بِفَاحِشٍ مِنَ الْقَوْلِ إِذْ نَسَبُوا لِلَّهِ وَلَدًا، وَأَنْكَرَ الْمُشْرِكُونَ مِنْهُمُ الْبَعْثَ وَأَثْبَتَ النَّصَارَى وَلَدًا لِلَّهِ تَعَالَى.

وَالتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْقُرْآنِ فِي تَبْشِيرِهِ وَنِذَارَتِهِ، وَأَنَّ اللهَ يَسَّرَهُ بِكَوْنِهِ عَرَبِيًّا لِيُسْرِ تِلْكَ اللُّغَةَ.

وَالْإِنْذَارُ مِمَّا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ مِنَ الْأُمَمِ من الاستيصال.

وَاشْتَمَلَتْ عَلَى كَرَامَةِ زَكَرِيَّاءَ إِذْ أَجَابَ اللهُ دُعَاءَهُ فَرَزَقَهُ وَلَدًا عَلَى الْكِبَرِ وَعُقْرِ امْرَأَتِهِ.

وَكَرَامَةُ مَرْيَمَ بِخَارِقِ الْعَادَةِ فِي حَمْلِهَا وَقَدَاسَةِ وَلَدِهَا، وَهُوَ إِرْهَاصٌ لِنُبُوءَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَمِثْلُهُ كَلَامُهُ فِي المهد.

والتنزيه بِإِبْرَاهِيمَ، وَإِسْحَاقَ، وَيَعْقُوبَ، وَمُوسَى، وَإِسْمَاعِيلَ، وَإِدْرِيسَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَوَصْفِ الْجَنَّةِ وَأَهْلِهَا.

وَحِكَايَةِ إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ الْبَعْثَ بِمَقَالَةِ أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ وَالْعَاصِي بن وَائِل وتبجحهم عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِمَقَامِهِمْ وَمَجَامِعِهِمْ.

وَإِنْذَارِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّ أَصْنَامَهُمُ الَّتِي اعْتَزُّوا بِهَا سَيَنْدَمُونَ عَلَى اتِّخَاذِهَا.

وَوَعْدِ الرَّسُولِ النَّصْرَ عَلَى أَعْدَائِهِ.

وَذِكْرِ ضَرْبٍ مِنْ كُفْرِهِمْ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ لِلَّهِ تَعَالَى.

وَالتَّنْوِيهِ بِالْقُرْآنِ وَلِمِلَّتِهِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنَّهُ بَشِيرٌ لِأَوْلِيَائِهِ وَنَذِيرٌ بِهَلَاكِ مُعَانَدِيهِ كَمَا هَلَكَتْ قُرُونٌ قَبْلَهُمْ »(١) .

مناسبة سورة مريم لسورة الكهف:

لما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ [الكهف: ٩]، ثم أورد خبرهم وخبر الرجلين وموسى والخضر عَلَيۡهِمَاٱلسَّلَامُ وقصة ذي القرنين، أتبع سبحانه ذلك بقصص تضمنت من العجائب ما هو أشد عجبًا وأخفى سببًا، فافتتح سورة مريم بيحيى بن زكريا وبشارة زكريا به بعد الشيخوخة وقطع الرجاء وعقر الزوج حتى سأل زكريا مستفهمًا ومتعجبًا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨﴾ [مريم: ٨] فأجابه تعالى بأن ذلك عليه هين، وأنه يجعل ذلك آية للناس، وأمر هذا أعجب من القصص المتقدمة، فكان قد قيل: أم حسبت يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا، نحن نخبرك بخبرهم ونخبرك بما هو أعجب وأغرب وأوضح آية، وهو قصة زكريا في ابنه يحيى عليهما الصلاة والسلام، وقصة عيسى في كينونته بغير أب؛ ليعلم أن الأسباب في الحقيقة لا يتوقف عليها شيء من مسبباتها إلا بحسب سنة الله، وإنما الفعل له سبحانه لا بسبب، وإلى هذا أشار قوله تعالى لزكريا عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ: ﴿وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩﴾ [مريم: ٩]،

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ٥٩-٦٠.

ثم أتبع سبحانه بشارة زكريا بيحيى بإتيانه الحكم صبيًّا، ثم بذكر مريم وابنها عليهما الصلاة والسلام، وتعلقت الآي بعد إلى انقضاء السورة[١].

۞ المطلب الثاني : طرق الكشف عن مقصد سورة مريم[٢] :

تنوعت طرق الكشف عن مقصد سورة مريم ومن أهم هذه الطرق:

الطريقة الأولى: معرفة فضائل السورة:

من فضائل السورة ما ورد عن عبد الله ابْنِ مَسْعُودٍ، يَقُولُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَالكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالأَنْبِيَاءِ: «**إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي**»[٣].

فسورة مريم من العتاق؛ لأنها تضمنت من المستغربات ما كان رحمة على من غشيتهم، ومن هذه المستغربات رحمة الله بزكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وزوجه برزقهما بيحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع كبر سن زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وعقر زوجته، ورحمة الله مريمَ برزقها بالولد من غير أب، واصطفائها ورفع منزلتها.

الطريقة الثانية: التأمل في اسم السورة:

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومقصودها: بيان اتصافه سبحانه بشمول الرحمة بإضافة جميع النعم على جميع خلقه، المستلزم للدلالة على اتصافه بجميع

---

(١) البرهان في تناسب سور القرآن، لأبي جعفر الغرناطي: ٢٥١.

(٢) تم التركيز على أهم الطرق من وجهة نظر الباحث.

(٣) رواه البخاري، كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، باب تأليف القرآن، (٤٩٩٤)، قوله: (العتاق): جمع عتيق وهو ما بلغ الغاية في الجودة يريد تفضيل هذه السور؛ لما يتضمن مفتتح كل منها أمرًا غريبًا، والأولية باعتبار حفظها أو نزولها. قوله: (تلادي): هو ما كان قديمًا. انظر: (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ٢٠/ ٢٣).

صفات الكمال، المستلزم لشمول القدرة على إبداع المستغرب، المستلزم لتمام العلم، الموجب للقدرة على البعث، . . . وعلى هذا دلت تسميتها بمريم؛ لأن قصتها أدل ما فيها على تمام القدرة، وشمول العلم[1].

الطريقة الثالثة: إمعان النظر في أوائل السورة وأواخرها:

حيث افتتحت سورة مريم برحمة الله لعبد من خُلَّص عباده وهو زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ٢﴾ [مريم: ٢]، وختمها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ٩٦﴾ [مريم: ٩٦]، وهذا سبيل أهل رحمته وثوابهم في الدنيا؛ حيث جعل لهم محبة في قلوب عباده.

قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومقصود سورة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ: شمول الرحمة. . . فبعد أن افتتح السورة بذكر الرحمة لعبدٍ من خُلَّص عباده، وختمها بأن كل من كان على نهجه في الخضوع لله يجعل له وُدًّا»[2].

وأيضًا ختمها: بقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا ٩٧﴾ [مريم: ٩٧]، يسَّر ألفاظه ومعانيه؛ ليحصل المقصود منه والانتفاع به، وهذا من رحمته سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ برسوله والمؤمنين به، ومعلوم أن القرآن رحمة للمؤمنين قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢﴾ [الأعراف: ٥٢]، وخص المؤمنين؛ لأنهم هم المنتفعون به.

---

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ٢/ ٢٥٧.

(٢) المرجع السابق: ١/ ١٥٣.

وأيضًا ختمها: بقوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾ [مريم: ٩٨]، وهو مناسب لمفتتحها؛ حيث رحمتُه سبقت غضبَه، روى البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضى الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، إِنَّ رَحْمَتِى سَبَقَتْ غَضَبِي»[1].

وأيضًا تطهير الأرض من المجرمين رحمة بأهل الأرض جميعًا.

الطريقة الرابعة: التأمل في الكلمات المكررة في السورة:

قال ابن عاشور رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد تكرر في هذه السورة -سورة مريم- صفة الرحمن ست عشرة مرة، وذكر اسم الرحمة أربع مرات، فأنبأ بأن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالى بصفة الرحمن، والرد على المشركين الذين تقعروا بإنكار هذا الوصف كما حكى الله تعالى عنهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الفرقان: ٦٠]»[2].

وقال البقاعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كرر الوصف بالرحمن -وما يقرب منه من صفات الإحسان من الأسماء الحسنى- في أثناء السورة تكريرًا يلائم مقصودها، ويثبت قاعدتها وعمودها»[3].

(١) رواه البخاري، كِتَاب التَّوْحِيدِ، باب قوله تعالى: {وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ} [الصافات: ١٧١]، (٧٤٥٣).

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ٦٠.

(٣) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٥٣.

الطريقة الخامسة: النظرة الكلية للسورة، ومراعاة سياقها العام:

المتأمل في سورة مريم يجد أن القصص هو مادة هذه السورة، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى، فقصة مريم ومولد عيسى، فطرف من قصة إبراهيم مع أبيه.. ثم تعقبها إشارات إلى النبيين: إسحاق ويعقوب، وموسى وهارون، وإسماعيل، وإدريس، وآدم ونوح. ويستغرق هذا القصص حوالي ثلثي السورة، ويستهدف هذا القصص بيان مظاهر رحمة الله بأنبيائه وأوليائه، والأسباب التي نالوا بها رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

....

المبحث الثالث:
أفانين سورة مريم في بيان مقصدها.

تمهيد:

كل سورة لها أسلوبها الخاص في معالجة مقصدها، يقول البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن من عرف المراد من اسم السورة؛ عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها»(١).

ويقول: «كل سورة لها مقصد معين، تكون جميع جمل تلك السورة دليلًا على ذلك المقصد»(٢).

ويقول سيد قطب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكل سورة من سور القرآن شخصيتها الخاصة، وملامحها المميزة، ومحورها الذي تشد إليه موضوعاتها جميعًا.. ومن مقتضيات الشخصية الخاصة أن تتجمع الموضوعات في كل سورة وتتناسق حول محورها في نظام خاص بها، تبرز فيه ملامحها، وتتميز به شخصيتها. كالكائن الحي المميز السمات والملامح، وهو -مع هذا- واحد من جنسه على العموم! ونحن نرى في هذه السورة -نكاد نُحس- أنها كائن حي، يستهدف غرضًا معينًا، ويجهد له، ويتوخَّى تحقيقه بشتى الوسائل، والفقرات والآيات والكلمات في السورة، هي الوسائل التي تبلغ بها ما تريد!»(٣).

---

(١) مصاعد النظر في الإشراف على مقاصد السور، للبقاعي: ١/ ١٤٩.
(٢) المرجع السابق.
(٣) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ١/ ٥٥٥.

ومن المعينات على كشف أفانين السورة القرآنية وطرقها في دلالتها على مقصدها: فهم معهود العرب وافتنانها في الأساليب: يقول ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإنما يعرف فضل القرآن مَن كَثُر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات»(١).

ويقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأمّيين، وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عُرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثَمَّ عُرف، فلا يصح أن يُجرى في فهمها على ما لا تعرفه، وهذا جارٍ في المعاني والألفاظ والأساليب»(٢).

وبالتدبر في السورة من افتتاحها إلى خاتمتها نجد أنها تناولت أساليبَ متنوعةً في الدلالة على مقصدها، منها القصص؛ حيث يمثل القصص فيها ما يقرب من ثلثي السورة، وكذلك أسماء الله الحسنى الدالة على الإحسان والإفضال على العباد مثل (الرحمن)، و(الرب)، وكذلك الفرائد القرآنية، مثل: اشتعل ووفدا وغيرها، ومشاهد القيامة، وسنة الله في الذين أعرضوا عن الإيمان برسالته؛ فحرموا أنفسهم من رحمته الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة.

وسوف نتناول نماذج من هذه الأساليب في الصفحات التالية.

(١) تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة: ١٧.

(٢) الموافقات، للشاطبي: ٢/ ١٣١.

۞ المطلب الأول: القصص في سورة مريم ودلالتها على مقصد السورة:

يجيء القصص المختار في السورة بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق؛ ويجيء مادة لتربية النفوس.

۞ القصة الأولى: قصة زكريا ويحيى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ.

تمهيد:

الرحمة قوام هذه القصة، والرحمة تظلِّلُها، ومن ثَمَّ يتقدمها ذكر الرحمة: «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا»، إنه يناجي ربه بعيدًا عن عيون الناس، بعيدًا عن أسماعهم. في عزلة يُخلِص فيها لربه، ويكشف له عما يُثْقِلُ كاهلَه ويكرب صدرَه، ويناديه في قُرْبٍ واتصال، والله الرحيم بعباده يعرف ذلك من فطرة البشر، فيَستجِب لهم أن يدعوه وأن يبثوه ما تضيق به صدورهم، ثم ترتسم لحظة الاستجابة في رعاية وعطف ورضى. . فالرب ينادي عبده من الملأ الأعلى: «يا زَكَرِيَّا»، ويعجل له البشرى: «إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ»، ويغمره بالعطف، فيختار له اسم الغلام الذي بشره به: «اسْمُهُ يَحْيى»، وهو اسم فَذٌّ غير مسبوق: «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا»؛ إنه فيض الكرم الإلهي يغدقه على عبده الذي دعاه في ضراعة، وناجاه في خُفْيَةٍ[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي

(١) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤/ ٢٣٠٢ باختصار.

خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ
مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل
لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ
ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ
شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ
بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا ﴿١٣﴾ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن
جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿١٥﴾ [مريم: ٢-١٥].

التفسير الإجمالي:

هذا ذِكْرُ رحمةِ ربِّك بعبدِه زكريا عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، نقصُّه عليك للاعتبارِ به. إذ دعا ربَّه - سبحانه - دعاءً خفيًّا؛ ليكونَ أقربَ إلى الإجابة. قال: يا ربِّ، إني ضعُفتْ عظامي، وكثُر شيبُ رأسي، ولم أكن خائبًا في دعائي لك، بل كلما دعوتُك أجبتَني. وإني خفتُ قرابتي ألا يقوموا بعد موتي بحقِّ الدين لانشغالِهم بالدنيا، وكانتِ امرأتي عقيمًا لا تلدُ، فأعطني من عندك ولدًا مُعِينًا. يرث النبوّةَ عني، ويرثها من آلِ يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وصيِّرْه ربِّ مرضيًّا في دينه وخلقه وعلمه. فاستجاب اللهُ دعاءَه، وناداه: يا زكريا، إنا نخبرُك بما يسرُّك، فقد أجبْنا دعاءَك، وأعطيناك غلامًا اسمُه يحيى، لم نجعل لغيره من قبله هذا الاسمَ. قال زكريا متعجِّبًا من قدرة الله: كيف يولد لي ولدٌ وامرأتي عاقرٌ لا تلدُ، وقد بلغتُ نهايةَ العمر من الكبرِ وضَعْفِ العظام؟!

قال المَلَكُ: الأمرُ كما قلتَ من أنّ امرأتَك عاقرٌ، وأنك قد بلغتَ نهايةَ العمر من الكِبَرِ وضعف العظام، لكنْ ربُّك قال: خلْقُ ربِّك ليحيى من أمٍّ عاقر،

ومن أبٍ بلغَ نهايةَ العمر سهْلٌ، وقد خلقتُك يا زكريا من قبل ذلك، ولم تكنْ شيئًا يذكر؛ لأنك كنتَ عَدَمًا. قال زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا ربِّ، اجعل لي علامةً أطمئنُّ بها تدلُّ على حصولِ ما بشّرتْني به الملائكةُ، قال: علامتُك على حصولِ ما بُشِّرْتَ به ألا تستطيعَ كلامَ الناس ثلاثَ ليالٍ من غيرِ عِلَّة، بل أنت صحيحٌ مُعافًى. فخرج زكريا على قومِه من مُصَلَّاه، فأشار إليهم من غيرِ كلام: أن سبِّحوا اللهَ -سبحانه- أولَ النهار وآخرَه. فولد له يحيى، فلما بلغ سنًّا يُخاطَبُ فيها، قلنا له: يا يحيى، خذِ التوراةَ بجدٍّ واجتهاد، وأعطيناه الفهمَ والعلمَ والجِدَّ والعزمَ وهو في سنِّ الصبا.

ورحمناه رحمةً من عندنا، وطهَّرْناه من الذنوب، وكان تقيًّا يأتمرُ بأوامرِ الله، ويجتنب نواهيَه. وكان بَرًّا بوالدَيه، لطيفًا بهما، محسنًا إليهما، ولم يكن متكبِّرًا عن طاعةِ ربه ولا طاعتِهما، ولا عاصيًا لربِّه أو لوالدَيه.

وسلامٌ عليه من الله، وأمانٌ له منه يوم وُلد، ويوم يموتُ ويخرجُ من هذه الحياة، ويوم يُبعَث حيًّا يوم القيامة، وهذه المواطن الثلاثةُ هي أوحشُ ما يمرُّ به الإنسان، فإذا أمنَ فيها فلا خوفَ عليه فيما عداها[1].

الأسباب الجالبة للرحمة في القصة:

١- **العبادة**: على قدر عبودية العبد تكون رحمة الله به، فالعبودية طريق الرحمة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾.

٢- **الدعاء**: كان دعاء زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خفيًّا ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾؛ لأنه رأى أنه أدخل في الإخلاص مع رجائه أن الله يجيب دعوته؛ لئلا تكون استجابته مما يتحدث به الناس؛ فاختار لدعائه السلامة من مخالطة الرياء.

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم، لمركز تفسير: ٣٠٥-٣٠٦.

٣- التوسل:

- توسَّل إلى الله - تعالى - بضعفه وعجزه (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا)، وهذا من أحب الوسائل إلى الله؛ لأنه يدل على التبري من الحول والقوة، وتعلق القلب بحول الله وقوته؛ وهذه الحال من الضعف والعجز أحق بالاسترحام لحاله.

- توسَّل إلى الله بإنعامه عليه، وإجابة دعواته السابقة (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا)، فسأل الذي أحسن سابقًا، أن يتمم إحسانه لاحقًا[1].

٤- المداومة على ذكر الله، أمر الله زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بألا يترك الذكر في نفسه مع اعتقال لسانه (قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا)، قال محمد بن كعب القرظي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لو رُخِّصَ لأحد في ترك الذكر لرُخِّصَ لزكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لما حُبِسَ لسانه عن كلام الناس»[2].

٥- التقوى: قال في حق يحي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (وَكَانَ تَقِيًّا)، ويوجد تلازم بين الرحمة والتقوى؛ حيث إن الرحمة تفيض على أهل التقوى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

مظاهر رحمة الله في القصة:

١- الولد الصالح: من رحمة الله بعبده، أن يرزقه ولدًا صالحًا، جامعًا لمكارم الأخلاق ومحامد الشيم؛ فرحم الله زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ واستجاب دعوته،

(١) المرجع السابق.
(٢) تفسير القرطبي: ٤/ ٨٢.

وسمّاه الله له «يحيى» ﴿يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ اسْمُهُ يَحْيى﴾، وكان اسمًا موافقًا لمسمّاه: يحيا حياة حِسِّيَّة، فتتم به المنة، ويحيا حياة معنويَّة، وهي حياة القلب والروح، بالوحي والعِلْم والدين.

٢- تحقيق عين اليقين بعد عِلْم اليقين: لما طلب زكريا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ زيادة العِلْم ﴿قالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾، والوصول إلى عين اليقين بعد علم اليقين؛ أجابه الله إلى طلبه رحمة به.

٣- التوفيق إلى معرفة أحكام الله والحكم بها؛ حيث أنعم الله على يحي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وآتاه معرفة أحكام الله، والحكم بها وهو في حال صغره وصباه ﴿وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.

٤- تيسير الأمور وصلاح الأحوال: أعطى الله يحي عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رحمة ورأفة، تيسرت بها أموره، وصلحت بها أحواله، واستقامت بها أفعاله، ﴿وَحَناناً مِنْ لَدُنَّا وَزَكاةً وَكانَ تَقِيًّا﴾.

٥- التوفيق إلى الإحسان إلى الوالدين قولا وفِعْلا: لم يكن يحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عاقًّا، ولا مسيئًا إلى أبويه، بل كان محسنًا إليهما بالقول والفعل؛ ﴿وَبَرًّا بِوالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾.

٦- العناية بيحيى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في أوحش ما يمر به الإنسان: عناية الله بيحيى في الأطوار الثلاثة: طور الورود على الدنيا، وطور الارتحال عنها، وطور الورود على الآخرة، ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾.

٧- **التوفيق إلى الجمع بين حقوق الله وحقوق العباد**: لم يكن يحي عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ متجبرًا متكبرًا على عبادة الله، ولا متكبرًا على والديه، بل كان متواضعًا، متذللًا مطيعًا، أوَّابًا لله على الدوام، فجمع بين القيام بحق الله، وحق خلقه.

القصة الثانية: ميلاد عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ .

تمهيد:

هذه القصة تبرز قدرة الله التي تقول للشيء كن فيكون، تبرز أن كل شيء هيِّن عليه، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره، والله أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته، ورحمة لبني إسرائيل أولًا وللبشرية جميعًا، بإبراز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضاه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦
فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ
أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا
زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ
كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞۖ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا
مَّقۡضِيّٗا ٢١ ۞ فَحَمَلَتۡهُ فَٱنتَبَذَتۡ بِهِۦ مَكَانٗا قَصِيّٗا ٢٢ فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ
إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ قَالَتۡ يَٰلَيۡتَنِي مِتُّ قَبۡلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسۡيٗا مَّنسِيّٗا ٢٣ فَنَادَىٰهَا مِن
تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ
رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ
لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ

لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ
بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ
ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ
وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ
عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ
ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ
كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ
مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا ۖ لَٰكِنِ
ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[مريم: ١٦-٤٠].

التفسير الإجمالي:

واذكر أيها الرسول في القرآنِ المنزَّلِ عليك خبرَ مريمَ عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ إذ تنحّتْ عن أهلِها، وانفردتْ بمكانٍ على جهة الشرق منهم؛ فاتخذتْ لنفسِها من دون قومِها ساترًا يسترُها؛ حتى لا يروها حالَ عبادتِها لربِّها، فبعثْنا إليها جبريلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فتمثلَ لها في صورةِ إنسانٍ سَوِيِّ الخلقة، فظنّتْ أنه يريدُها بسوء، فلما رأتْه في صورةِ إنسانٍ سَوِيِّ الخَلْقِ يتّجه إليها قالت: إني أستجيرُ بالرحمنِ منك أن ينالَني منك سوءٌ يا هذا إن كنتَ تقيًّا تخافُ اللهَ. قال جبريلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أنا لستُ بشرًا، إنما أنا رسولٌ من ربِّكِ، أرسلَني إليكِ لأهبَ لك ولدًا طيّبًا طاهرًا. قالتْ مريمُ متعجِّبة: كيف يكون لي ولدٌ ولم يَقربْني زوجٌ ولا غيرُه، ولستُ زانيةً حتى يكونَ لي ولدٌ؟! قال لها جبريلُ: الأمرُ كما ذكرتِ من أنك

لم يمسسْكِ زوجٌ ولا غيرُه، ولم تكوني زانيةً، لكنّ ربَّكِ -سبحانه- قال: خَلْقُ ولدٍ من غيرِ أبٍ سهلٌ عليّ، وليكونَ الولدُ الموهوبُ لك علامةً للناس على قدرةِ الله، ورحمةً منا بهم لما ينالونه بسببه من الخير، وكان خَلْقُ ولدِك هذا قضاءً من الله مقدّرًا، مكتوبًا في اللوحِ المحفوظ. فحملتْ به بعد نفخِ الملك، فتنحّتْ به إلى مكانٍ بعيدٍ عن الناس. فضربَها المخاضُ، وألجأَها إلى ساقِ نخلةٍ، قالتْ مريمُ عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ: يا ليتَني متُّ قبل هذا اليوم، وكنتُ شيئًا لا يُذْكَر؛ حتى لا يُظَنَّ بي السوءُ. فناداها جبريلُ من أسفلِ الوادي بقولِه: لا تحزَني، قد جعل ربُّك تحتك جدولَ ماءٍ تشربين منه. وأمسكي بجذعِ النخلةِ وهُزّيه تُساقطْ عليك رطبًا طريًّا جُنيًّا من ساعته. فكلي من الرُّطَب، واشربي من الماء، وطيبي نفسًا بمولودِكِ ولا تحزَني، فإن رأيتِ من الناس أحدًا، فسألَكِ عن خبر المولود؛ فقولي له: إني أوجبتُ على نفسي لربي صمتًا عن الكلام، فلن أكلِّمَ اليومَ أحدًا من الناس. فجاءتْ مريمُ بابنِها إلى قومِها تحملُه، قال لها قومُها مستنكرين: يا مريمُ، لقد جئتِ أمرًا عظيمًا مُفترًى؛ حيث جئتِ بولدٍ من غير أب.

يا شبيهةَ هارونَ في العبادة -وَهُوَ رَجُلٌ صَالِحٌ- ما كان أبوك زانيًا، ولا كانتْ أمُّك زانيةً، فأنتِ من بيتٍ طاهرٍ معروفٍ بالصلاح، فكيف تأتين بولدٍ من غير أب؟!فأشارت إلى ابنِها عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو في المهدِ، فقال لها قومُها متعجِّبين: كيف نكلّمُ صبيًّا وهو في المهد؟! قال عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: إني عبدُ الله، أعطاني الإنجيلَ، وجعلني نبيًّا من أنبيائِه. وجعلني كثيرَ النفعِ للعباد أينما كنتُ، وأمرَني بأداءِ الصلاةِ وإعطاءِ الزكاةِ طيلةَ حياتي. وجعلني بَرًّا بأمّي، ولم يجعلْني متكبِّرًا عن طاعةِ ربي، ولا عاصيًا له. والأمانُ من الشيطانِ وأعوانِه عليّ يومَ

ميلادِي ويومَ موتي ويومَ بَعْثي حيًّا يومَ القيامة، فلم يتخبّطْني الشيطانُ في هذه المواقفِ الثلاثةِ المُوحِشة. ذلك الموصوفُ بتلك الصفاتِ هو عيسى ابنُ مريم، وهذا الكلامُ هو قولُ الحقِّ فيه، لا ما يقوله الضالّون الذين يشكّون في أمرِه ويختلفون. ما ينبغي للهِ أن يتخذَ من ولدٍ، تقدَّس عن ذلك وتنزّهَ، إذا أراد أمرًا، فإنما يَكفيه سبحانه أن يقول لذلك الأمر: (كنْ)، فيكونُ لا محالة، فمن كان كذلك فهو مُنَزَّهٌ عن الولد. وإنّ اللهَ -سبحانه- هو ربي وهو ربُّكم جميعًا، فأخلِصوا له العبادةَ وحده، هذا الذي ذكرتُ لكم هو الطريقُ المستقيمُ الموصلُ إلى مرضاةِ الله. فاختلفت طوائفُ اليهودِ والنصارى في شأنِ عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فقال عنه اليهودُ: هو ساحرٌ، وقال عنه بعضُ النصارى: هو ابنُ الله، فويلٌ للمختلفين في شأنه من شهودٍ يومَ القيامة العظيمَ بما فيه من مشاهدَ وحسابٍ وعقاب. ما أقبحَ ما يسمعون ويُبصرون يومَ القيامة، وما أشدَّه عليهم، وما أعجبَ ما ترى من أحوالهم، لكنِ الظالمون في الحياةِ الدنيا في ضلالٍ واضحٍ عن الصراط المستقيم، فلا يستعدّون للآخرةِ حتى تأتيَهم بغتةً وهم على ظلمهم. وأنذر أيها الرسولُ الناسَ يوم الندامة حين يندمُ المسيءُ على إساءتِه، والمحسنُ على عدمِ استكثارِه من الطاعة، إذ طُوِيتْ صحفُ العباد، وفُرِغ من حسابِهم، وصار كلٌّ إلى ما قدَّم، وهم في حياتهم الدنيا مُغْتَرُّون بها، لاهون عن الآخرة، وهم لا يصدِّقون بيوم القيامة. إنا نحن الباقون بعد فناءِ الخلائق، نرثُ الأرضَ، ونرث من عليها لفنائِهم وبقائنا بعدهم، ومُلْكِنا لهم، وتصرُّفِنا فيهم بما نشاءُ، وإلينا وحدنا يُرجَعون يوم القيامة للحساب والجزاء[1].

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٦ - ٣٠٨.

الأسباب الجالبة لرحمة الله في القصة:

١- العبادة؛ اتخذت مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ الحجاب؛ لتعتزل، وتنفرد بعبادة ربها، وتَقْنُت له في حالة الإخلاص والخضوع والذل لله تعالى، وذلك امتثال منها لقوله تعالى: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾ [آل عمران: ٤٣].

٢- الاعتصام بربها والاستعاذة به؛ فقالت له: {إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ} أي ألتجئ به وأعتصم برحمته أن تنالني بسوء {إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا} أي إن كنت تخاف الله وتعمل بتقواه؛ فاترك التعرض لي، فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية، والشباب، والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر، والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفَّة والبعد عن الشر وأسبابه، وهذه العفة -خصوصًا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع- من أفضل الأعمال؛ ولذلك أثنى الله عليها، فقال: {وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا} [التحريم: ١٢]، {وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ٩١].

٣- الاستسلام والإذعان لأمر الله تعالى بعد أن أخبرها جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أنه قضاء الله وقد أُبْرِم، (وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا).

٤- الأخذ بالأسباب؛ لما قال الله لها: (وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ)؛ فأذعنت ونفَّذَت.

٥- **التوسل بعفتها وطهارتها**؛ قالت: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.

مظاهر رحمة الله في القصة:

١) **الذكر الحسن**: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾، من أعظم فضائل مريم عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ أن تذكر في الكتاب العظيم، الذي يتلوه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، تذكر فيه بأحسن الذكر، وأفضل الثناء؛ جزاءً لعملها الفاضل، وسعيها الكامل؛ ليقتدي بها المؤمنون والمؤمنات على مدار التاريخ.

٢) **إرشادها إلى النخلة**؛ ليُطعِمَها منها الرطب الذي هو مَنْفَعَة للنفساء؛ فكانت رحمة بها وكرامة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ﴾.

٣) **الإعانة على الصبر والصدق**: حيث أعان الله مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ على الصبر والصدق في تلقي البلوى التي ابتلاها تعالى؛ ولذلك كانت في مقام الصديقية.

٤) **تأيدها بالمعجزات**: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾، لم تقع التسلية بالرطب والسري من حيث أنهما طعام وشراب، ولكن من حيث أنهما معجزتان تُرِيان الناس أنها من أهل العصمة والبعد عن الريبة، وأن مثلها مما قرفوها به بمعزل، وأن لها أمورًا إلهية خارجة عن العادات خارقة لما ألفوا واعتادوا.

٥) **أمرها الله بأن تنذر الصوم**: ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾؛ لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين، أحدهما:

أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم. وفيه أن السكوت عن السفيه واجب.

٦) **بشارة مريم العظيمة بالولد وزكائه ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾**، فإن الزكاء يستلزم تطهيره من الخصال الذميمة، واتصافه بالخصال الحميدة.

٧) **قوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةً مِنَّا﴾، أما رحمة الله بعيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لما خصَّه الله بوحيه ومَنَّ عليه بما مَنَّ به على أولي العزم؛ وأما رحمته بوالدته؛ فلِما حصل لها من الفخر، والثناء الحسن، والمنافع العظيمة، وأما رحمته بالناس؛ فإن أكبر نعمه عليهم أن بعث فيهم رسولًا يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة؛ فيؤمنون به ويطيعونه وتحصل لهم سعادة الدنيا والآخرة.

٨) **البركة التي جعلها الله في عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وهي: تعليم الخير والدعوة إليه، والنهي عن الشر، والدعوة إلى الله في أقواله وأفعاله، فكل من جالسه، أو اجتمع به، نالته بركته، وسعد به مصاحبه.

٩) **من فضل الله وكرمه على عيسى** عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن حصلت له السلامة يوم ولادته، ويوم موته، ويوم بعثه، من الشر والشيطان والعقوبة، وذلك يقتضي سلامته من الأهوال، ودار الفجار، وأنه من أهل دار السلام، فهذه معجزة عظيمة، وبرهان باهر، على أنه رسول الله، وعبدُ الله حقًّا.

١٠) **من مظاهر الرحمة في عيسى**؛ أن الله أرسله برحمة لبني إسرائيل؛ ليُحل لهم بعض الذي حُرِّمَ عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم وغيروا من دينهم، فهذه أعظم بركة تقارنه. ومن بركته أن جعل الله حلوله في المكان سببًا لخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها

وتوفيقهم إلى الخير، ولذلك كان إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون؛ انقلبوا صالحين، وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة، ولذلك ترى أكثر الحواريين كانوا من عامة الأمِّيِّين من صيادين وعشارين، فصاروا دعاة هدى، وفاضت ألسنتهم بالحكمة، وهو حيثما حلّ تحل معه البركة.

١١) خصَّ الله تعالى عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **بالبر، ﴿وَبَرًّا بِوالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾**؛ لأن بر الوالدين كان ضعيفًا في بني إسرائيل يومئذ، وبخاصة الوالدة؛ لأنها تستضعف، لأن فرط حنانها ومشقتها قد يجرِّئان الولد على التساهل في البر بها.

١٢) قوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ﴾ إلى آخره؛ تنويه بكرامته عند الله، أجراه على لسانه؛ ليعلموا أنه بمحل العناية من ربه.

١٣) مراعاة رحمة الله بالناس إذا تعارضت مع المصالح الخاصة، ففي قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾؛ توجيه بأن ما اشتكَتْهُ من توقع ضد قولها، وطعنهم في عرضها، ليس بأمر عظيم في جانب ما أراد الله من هدى الناس لرسالة عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وبأن الله تعالى لا يصرِفُه عن إنفاذ مراده ما عسى أن يَعْرِضَ من ضُرٍّ في ذلك لبعض عبيده؛ لأن مراعاة المصالح العامة تُقدَّم على مراعاة المصالح الخاصة.

....

القصة الثالثة: قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

تمهيد:

تعرض الآيات حلقة من قصة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ تكشف عما في عقيدة الشرك من نكارة وكذب وضلال، وتتجلى في القصة رحمة الله بإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وتعويضه عن أبيه وأهله المشركين ذرية صالحة تَنْسِلُ أمة كبيرة، فيها الأنبياء وفيها الصالحون.

والرحمة تذكر في هذه القصة؛ لأنها السمة البارزة في جو السورة؛ ولأنها هبة الله التي تُعَوِّضُ إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن أهله ودياره، وتؤنسه في وحدته واعتزاله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

التفسير الإجمالي:

واذكر أيها الرسول في القرآنِ المنزّلِ عليك خبرَ إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، إنه كان كثيرَ الصِّدقِ والتصديقِ بآيات الله؛ إذ قال لأبيه آزر: يا أبتِ؛ لِمَ تعبدُ من دون الله

صنمًا لا يَسمع دعاءَك إنْ دعوتَه، ولا يُبصر عبادتَك إن عبدتَه، ولا يكشفُ عنك ضرًّا، ولا يجلبُ لك نفعًا، يا أبتِ، إني قد جاءني من العِلمِ عن طريق الوحي ما لم يأتِك، فاتّبعْني أرشدْك إلى طريقٍ مستقيم، يا أبت، لا تعبدِ الشيطانَ بطاعتك له، إنّ الشيطانَ كان للرحمن عاصيًا، حيث أمرَه بالسجود لآدمَ فلم يسجد، يا أبت، إني أخافُ أن يصيبَك عذابٌ من الرحمن إن مِتَّ على كفرِك، فتكون قرينًا له في العذابِ لمُوالاتِك له، قال آزرُ لابنه إبراهيمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: أمُعرِضٌ أنت عن أصنامي التي أعبدُها يا إبراهيم؟! لئن لم تكفَّ عن سبِّ أصنامي لأرمينَّك بالحجارة، وفارقْني زمانًا طويلًا فلا تكلّمْني، ولا تجتمعْ معي، قال إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لأبيه: سلامٌ عليك مني، لا ينالُك ما تكرهُ مني، سأطلبُ لك المغفرةَ من ربي والهدايةَ، إنه سبحانه كان كثيرَ اللطف بي، وأفارقُكم وأفارقُ معبوداتِكم التي تعبدونها من دون الله، وأدعو ربّي وحده لا أشركُ به شيئًا، عسى أن لا يمنعَني إذا دعوتُه، فأكونَ بدعائه شَقيًّا، فلما تركَهم وترَكَ آلهتَهم التي يعبدونها من دون الله، عوّضْناه عن فَقْدِ أهلِه؛ فوهبْنا له ابنَه إسحاق، ووهبنا له حفيدَه يعقوبَ، وكلّ واحدٍ منهما جعلناه نبيًّا، وأعطيناهم من رحمتِنا مع النبوةِ خيرًا كثيرًا، وجعلنا لهم ثناءً حسنًا مستمرًّا على ألسنةِ العباد[1].

الأسباب الجالبة للرحمة في القصة:

١- الدعوة إلى الله؛ حيث دعا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الخلق إلى الله، وصبر على ما ناله من العذاب العظيم، فدعا القريب والبعيد، واجتهد في دعوة أبيه، مهما أمكنه؛ فتدرَّج معه بالأسهل فالأسهل، فأخبره بعلمه، وأن ذلك موجب لاتباعك إياي، وأنك إن أطعتني، اهتديت إلى صراط مستقيم، ثم نهاه عن

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٦-٣٠٨.

عبادة الشيطان، وأخبره بما فيها من المضارِّ، ثم حذَّره عقاب الله ونقمته إن أقام على حاله، وأنه يكون بذلك وليًّا للشيطان.

٢- الصبر في مقام الدعوة إلى الله، على ما ناله من أذى الخلق بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي.

٣- اعتزال الشرك وأهله ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ﴾؛ عندما أَيِسَ ممن دعاهم، فاتبعوا أهواءهم، فلم تنجع فيهم المواعظ، فأصروا في طغيانهم يعمهون.

٤- مفارقة إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لوطنه ومألفه وأهله وقومه؛ إرضاءً لله وإيثارًا لما عنده.

٥- اعتزاز إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بربوبية الله إياه ﴿وَأَدْعُوا رَبِّي﴾، والتشريف لنفسه بذلك.

مظاهر الرحمة في القصة:

١- ذكر الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ رحمة؛ لأن في ذكرهم إظهار الثناء على الله وعليهم، وبيان فضله وإحسانه إليهم، وفيه الحث على الإيمان بهم ومحبتهم، والاقتداء بهم؛ مما يكون سببًا في رحمة المتأسين بهم.

٢- جمع الله لإبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بين الصديقية والنبوة ﴿إِنَّهُ كانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾، فالصديق: كثير الصدق، فهو الصادق في أقواله وأفعاله وأحواله، المصدق بكل ما أمر بالتصديق به؛ وذلك يستلزم العلم العظيم الواصل إلى القلب، المؤثِّر فيه، الموجب لليقين، والعمل الصالح الكامل.

٣- وهب الله إبراهيم وبنيه عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ من رحمته العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والذرية الكثيرة المنتشرة، الذين قد كثر فيهم الأنبياء والصالحون، كما قال: ﴿وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنا﴾.

٤- الثناء الحسن ﴿وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾؛ لأن الله وعد كل محسن، أن ينشر له ثناء صادقًا بحسب إحسانه، وهؤلاء من أئمة المحسنين، فنشر الله الثناء الحسن الصادق غير الكاذب، العالي غير الخفي، فذكرهم ملء الخافقين، والثناء عليهم ومحبتهم، امتلأت بها القلوب، وفاضت بها الألسنة، فصاروا قدوة للمقتدين، وأئمة للمهتدين.

۞ القصة الرابعة: موسى وإسماعيل وإدريس عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ.

تمهيد:

ظلُّ الرحمة هو الذي يظلِّل جو السورة كله؛ فتذكر السورة رحمة الله بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في مساعدته بإرسال أخيه هارون معه حين طلب إلى الله أن يعينه به ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤].

كما تثبت السورة أن إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان عند ربه مرضيًّا، والرضى سمة من سمات هذه السورة البارزة في جوها وهي شبيهة بسمة الرحمة، وبينهما قرابة.

كما تصف السورة إدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بأنه كان صدِّيقًا نبيًّا، وتسجل له أن الله رفعه مكانًا عليًّا، فأعلى قدره ورفع ذكره، وهذا من مظاهر رحمته به؛ حتى يتأسى به المؤمنون؛ فتصيبهم رحمة الله تعالى.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥١﴾
وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ مِن رَّحۡمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيّٗا ﴿٥٣﴾
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ
بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴿٥٥﴾ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِدۡرِيسَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا
﴿٥٦﴾ وَرَفَعۡنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ
حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ
خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥١- ٥٨].

التفسير الإجمالي:

«واذكر -أيها الرسول- في القرآنِ المنزَّلِ عليك خبرَ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنه كان مختارًا مصطفًى، وكان رسولًا نبيًّا، وناديناه من جانبِ الجبل الأيمنِ بالنسبة لموقعِ موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقرّبناه مناجيًا؛ حيث أسمعَه اللهُ كلامَه، وأعطيناه من رحمتِنا وإنعامِنا عليه أخاه هارونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ نبيًّا؛ استجابةً لدعائه حين سأل ربَّه ذلك، واذكر -أيها الرسولُ- في القرآنِ المنزَّلِ عليك خبرَ إسماعيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنه كان صادقَ الوعد، لا يَعِدُ وعدًا إلا وفَّى به، وكان رسولًا نبيًّا، وكان يأمرُ أهلَه بإقامةِ الصلاة، وبإعطاءِ الزكاة، وكان عند ربِّه مرضيًّا.

واذكر -أيها الرسولُ- في القرآنِ المنزّلِ عليك خبرَ إدريس عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنه كان كثيرَ الصدقِ والتصديقِ بآيات ربه، وكان نبيًّا من أنبياء الله، ورفعْنا ذكرَه بما أعطيناه من النبوةِ، فكان عاليَ المنزلة، أولئك المذكورون في هذه السورةِ ابتداءً بزكريا، وختامًا بإدريسَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ هم الذين أنعمَ اللهُ عليهم بالنبوةِ من أبناءِ آدمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أبناءِ من حملنا في السفينةِ مع نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن

أبناءِ إبراهيمَ وأبناءِ يعقوبَ عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، وممن وفَّقنا للهداية إلى الإسلام، واصطفيناهم وجعلناهم أنبياءَ، كانوا إذا سمعوا آياتِ الله تُقرأُ سجدوا لله باكين من خشيته»[1].

الأسباب الجالبة للرحمة في القصص:

١- الإخلاص: كان موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مخلصًا لله تعالى، في جميع أعماله، وأقواله، ونيّاته؛ لذا استخلصه ربه لرسالته، وخص موسى بعنوان (المُخْلص) على الوجهين؛ لأن ذلك مزيته، فإنه أخلص في الدعوة إلى الله، فاستخفَّ بأعظم جبار وهو فرعون، وجادله مجادلة الأكفاءكما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾.

٢- النصح: من أكبر فضائل موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وإحسانه، ونصحه لأخيه هارون، أنه سأل ربه أن يشركه في أمره، وأن يجعله رسولًا مثله.

٣- صدق في الوعد: من شمائل إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنه صادق الوعد مع الله ومع العباد، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾.

٤- دعوة الأهل للإحسان للمعبود والإحسان إلى العبيد: كان إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مقيمًا لأمر الله على أهله، فيأمرهم بالصلاة المتضمنة للإخلاص للمعبود، وبالزكاة المتضمنة للإحسان إلى العبيد ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا﴾، فكمل نفسه، وكمل غيره، وخصوصًا أخص الناس عنده وهم أهله؛ لأنهم أحق بدعوته من غيرهم.

---

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم: ٣٠٦-٣٠٨.

٥- **التصديق التام**، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح.

٦- **الخضوع لآيات الله**، والخشوع لها، والبكاء عند سماعها، والإنابة والسجود لله تعالى.

مظاهر رحمة الله في القصص:

١- جمع الله لموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين الرسالة والنبوة، فالرسالة تقتضي تبليغ كلام المرسل، وتبليغ جميع ما جاء به من الشرع، دِقّهُ وَجِلّهُ، والنبوة تقتضي إيحاء الله إليه، وتخصيصه بإنزال الوحي إليه، فالنبوة بينه وبين ربه، والرسالة بينه وبين الخلق؛ وكانت رسالته رحمة على بني إسرائيل؛ حيث حرَّرهم من عبودية فرعون، ورحمة للأمة المحمدية باقتدائها بسيرة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في الدعوة إلى الله ومقاومة الطغاة.

٢- خص الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من أنواع الوحي، بأجل أنواعه وأفضلها؛ وهو: تكليمه تعالى وتقريبه مناجيًا لله تعالى، وبهذا اخْتُصّ من بين الأنبياء، بأنه كليم الرحمن.

٣- وهب الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من رحمته أخاه هارون نبيًّا؛ فساعده على أمره، وأعانه عليه.

٤- جمع الله لإسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين الرسالة والنبوة التي هي أكبر مِنَنِ الله على عبده، وأهلها من الطبقة العليا من الخلق؛ وبذلك تحقَّقت الرحمة به، وبأهله وبقومه؛ حيث أرشدهم إلى ما فيه نفعهم في الدنيا والآخرة، وقدَّم للأمة الإسلامية نموذجًا عظيمًا في دعوة أهل البيت وحملهم على الحق.

٥- ارتضى الله إسماعيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وجعله من خواص عباده وأوليائه المقربين، فرضي الله عنه، ورضي هو عن ربه.

٦- جمع الله لإدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بين الصدِّيقيَّة، الجامعة للتصديق التام، والعلم الكامل، واليقين الثابت، والعمل الصالح، وبين اصطفائه لوحيه، واختياره لرسالته.

٧- رفع الله لإدريس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذكره في العالمين، ومنزلته بين المقربين، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة.

٨- ذِكْر الله لهؤلاء الأنبياء والرسل؛ لبيان اجتهادهم في عبادتهم لربهم، ودعوتهم لأقوامهم وصبرهم على أذاهم؛ ليقتدي بهم الدعاة إلى الله، ولبيان نماذج من الذين أنعم الله عليهم، الذين ندعو في كل صلاة أن يهدينا طريقهم، بقولنا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

....

المطلب الثاني : أسماء الله الحسنى في السورة، ودلالتها على مقصد السورة :

تمهيد:

الإيمان بأسماء الله الحسنى، ومعرفتها يتضمّن أنواع التوحيد الثلاثة؛ توحيد الربوبيّة، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وهذه الأنواع هي رَوح الإيمان وأصله وغايته، فكلّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته؛ ازداد إيمانه، وقوي يقينه.

وقد اشتملت سورة مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ على التعريف بالمعبود تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بثلاثة أسماء، مرجع الأسماء الحسنى، والصفات العليا إليها، ومدارها عليها؛ وهي: (الله، والرَّب، والرَّحمنُ)، وبُنيت السورة على الألوهية، والربوبية، والرحمة، وآثارها على العباد مؤمنهم وكافرهم.

وقد تضمنت السورة أيضًا إثبات النبوات التي هي أعظم وأجل مظاهر رحمته، والتي بها حياة القلوب والأرواح من جهات عديدة:

١- من اسم «الرب». فلا يليق به أن يترك عباده سُدًى هَمَلًا لا يُعرِّفُهم ما ينفعهم في معاشهم، ومعادهم، وما يضرهم فيهما، فهذا هَضْمٌ للربوبية، ونسبة الرب -تعالى- إلى ما لا يليق به، وما قَدَرَه حق قدرِه مَن نسبه إليه، وقد ورد اسم الرب (٢٣) مرةً في سيقات مختلفة بدلالات مختلفة.

٢- من اسم «الله»، وهو المألوه المعبود، ولا سبيل للعباد إلى معرفة عبادته إلا من طريق رسله عليهم الصلاة والسلام، وقد ورد اسم الله (٩) مراتٍ في سياقات مختلفة بدلالات متنوعة.

٣- من اسمه «**الرحمن**»، فإن رحمته تمنع إهمال عباده، وعدم تعريفهم ما ينالون به غاية كمالهم.

فمن أعْطى اسم «**الرحمن**» حقَّه عرف أنه متضمن لإرسال الرسل، وإنزال الكتب، أعظم من تضمنه إنزال الغيث، وإنبات الكلأ، وإخراج الحب، فاقتضاء الرحمة لما تحصل به حياة القلوب والأرواح أعظم من اقتضائها لما تحصل به حياة الأبدان والأشباح، لكن المحجوبون إنما أدركوا من هذا الاسم حظّ البهائم والدواب. وأدرك منه أُولُو الألباب أمرًا وراء ذلك(١).

وقد ذكر اسم الرحمن (١٦) مرةً في السورة.

وقد ذكرت السورة جمعًا من الأنبياء والرسل الذين هم رحمة للعالمين؛ وهم: زكريا، ويحيى، وعيسى، وإبراهيم، وموسى، وهارون، وإسماعيل، وإدريس -عليهم الصلاة والسلام-.

وسوف أتناول هذه الأسماء في السطور التالية:

أولًا: الرحمن جَلَّ وَعَلَا:

الرحمن الرحيم: «اسمان دالان على أنه -تعالى- ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمَّت كل مخلوق، وكتب الرحمة الكاملة للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله، فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة المتصلة بالسعادة الأبدية، ومن عداهم محروم من هذه الرحمة الكاملة؛ لأنه الذي دفع هذه الرحمة، وأباها بتكذيبه للخبر، وتولِّيه عن الأمر، فلا يلومن إلا نفسه»(٢).

(١) مدارج السالكين، ١/ ٨، بتصرف. هذا الكلام عند حديث ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سورة الفاتحة، وبالتأمل في سورة مريم؛ نجد أنها اشتركت مع الفاتحة في هذه المزايا.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي: ص٢٠٠، ٢٠٣.

والله خلق الخلق برحمته، وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأمرهم ونهاهم وشرع لهم الشرائع برحمته، وأسبغ عليهم النعمة الظاهرة، والباطنة برحمته، ودبَّرهم أنواع التدبير وصرفهم بأنواع التصريف برحمته، وملأ الدنيا والآخرة من رحمته، فلا طابت الأمور، ولا تيسرت الأشياء، ولا حصلت المقاصد، وأنواع المطالب إلا برحمته، ورحمته فوق ذلك، وأجل وأعلى. وللمحسنين المتقين من رحمته النصيب الوافر والخير المتكاثر. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٦] (١).

تكرار اسم الرحمن في السورة:

تكرر اسم (الرحمن) ١٦ مرةً، والرحمة ٤ مراتٍ، وهذا الاسم يفيض بالرحمة ومعانيها في جو السورة وظلالها.

ومن نماذج ذكر اسم الرحمن في السورة ودلالته على مقصد السورة:

النموذج الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٨].

استعاذت مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ باسم الله الرحمن دون سواه؛ ليرحم ضعفها فينجيها من هذا الطارق الغريب عليها، والمعنى: إن كنتَ تتَّقي الله، فستنتهي بتعوُّذي منك(٢)؛ لأنها علمت أنه لا تؤثر الاستعاذة إلا في التقي، فالتقيّ ينتفض وجدانه عند ذكر الرحمن، ويرجع عن دَفْعَةِ الشهوة ونزغ الشيطان.

(١) المواهب الربانية من الآيات القرآنية (ص٦٤).
(٢) زاد المسير لابن الجوزي: ٣/ ١٢٤.

«واختارت عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ اسم: ﴿بِالرَّحْمَنِ﴾ [مريم: ١٨] ولم تقل: «بالله» أي: بالذي يرحمني فيحفظني منك[١]؛ ربي الذي رحمته عامة لجميع عباده في الدنيا والآخرة، وله بنا خصوصية في إسباغ الرحمة وإتمام النعمة؛ فجمعت بين الاعتصام بربها وبين تخويفه وترهيبه وأمره بلزوم التقوى، وهي في تلك الحالة الخالية والشباب والبعد عن الناس، وهو في ذلك الجمال الباهر والبشرية الكاملة السوية، ولم ينطق لها بسوء أو يتعرض لها، وإنما ذلك خوف منها، وهذا أبلغ ما يكون من العفة والبعد عن الشر وأسبابه، وهذه العفة -خصوصًا مع اجتماع الدواعي وعدم المانع- من أفضل الأعمال؛ ولذلك أثنى الله عليها فقال: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١]، وقال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]؛ فأعاضها الله بعفتها ولدًا من آيات الله، ورسولًا من رسله»[٢].

النموذج الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ [مريم: ٢٦].

خَصَّت مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ اسم الرحمن هنا؛ لما يتضمنه من الرحمة الواسعة التي تحفظها من أذى قومها، وتخرجها من حزنها، فقولها: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ أي: الذي عمت رحمته فأدخلني فيها على ضعفي، وخصني بما رأيت من الخوارق، «أمرها الله رحمة منه بها أن تنذر الصوم؛ لئلا تشرع مع البشر

(١) لطائف الإشارات: ٢/ ٤٢٣.

(٢) تفسير السعدي: ٤٩١.

المتهمين لها في الكلام لمعنيين؛ أحدهما: أن عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام بما يبرئ به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم. وفيه أن السكوت عن السفيه واجب»[(١)].

النموذج الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ [مريم: ٤٤].

جاء الاختيار لاسم الرحمن في هذا الموضع؛ تنبيهًا على أن الشيطان يأمر بما ينافي الرحمة، ولبيان شناعة عصيان مَن هو عظيم الرحمة الذي يمهل من عصاه ولا يهمله، قال البقاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ ﴾ [مريم: ٤٤] المنعم بجميع النعم القادر على سلبها، ولم يقل: للجبار؛ لئلا يتوهم أنه ما أملى لعاصيه مع جبروته إلا للعجز عنه[(٢)].

و قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي ذكر إضافة العصيان إلى اسم الرحمن؛ إشارة إلى أن المعاصي تمنع العبد من رحمة الله، وتغلق عليه أبوابها، كما أن الطاعة أكبر الأسباب لنيل رحمته»[(٣)].

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختير وصف الرحمن من بين صفات الله تعالى؛ تنبيهًا على أن عبادة الأصنام توجب غضب الله؛ فتُفضي إلى الحرمان من رحمته، فمن كان هذا حاله فهو جدير بأن لا يُتَّبع»[(٤)].

(١) تفسير الكشاف: ٣/ ١٤.
(٢) نظم الدرر: ١٢/ ٢٠٦.
(٣) تفسير السعدي: ٤٩٤.
(٤) التحرير والتنوير: ١٦/ ١١٧.

النموذج الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾ [مريم: ٤٥].

اختار إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في هذا المقام اسمَ الرحمن؛ ترحُّمًا بوالده، وترغيبًا له في نيل رحمة الرحمن الذي يقبل توبة عباده، وللإشارة إلى أن رحمة الله لا تمنع تعذيب من عصاه بعد الإعذار، ولبيان أن من صفته الرحمة الواسعة ألا يعذب أحدًا إلا لعظم جريرته، حتى لم يجد ذلك المعذَّب مدخلًا لنفسه إلى رحمة الرحمن لتنجيه من العذاب، «وفي قوله (إني أخاف)، نسب الخوف إلى نفسه دون أبيه كما يفعل الشفيق الخائف على من يشفق عليه.

وقال: (يمسَّك) فذكر لفظ المس الذي هو ألطف من غيره، ثم نكَّر العذاب، ثم ذكر الرحمن، ولم يقل الجبار ولا القهار، فأي خطاب ألطف وألين من هذا»[(١)]، وهذا منه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رحمة وشفقة على والده أن يناله عذاب الله.

وعبر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ «عن الجلالة بوصف الرحمن؛ للإشارة إلى أن حلول العذاب ممن شأنه أن يرحم إنما يكون؛ لفظاعة جرمه إلى حد أن يحرمه مِنْ رحمته مَنْ شأنه سعة الرحمة»[(٢)].

النموذج الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

(١) بدائع الفوائد: ٣/ ١٣٣.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ١١٨.

«في إضافة الآيات إلى اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؛ دلالة على أن آياته من رحمته بعباده وإحسانه إليهم؛ حيث هداهم بها إلى الحق، وبصَّرهم من العمى، وأنقذهم من الضلالة، وعلَّمهم من الجهالة»[1].

النموذج السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا﴾ [مريم: ٦١].

نسب تعالى هذا الوعد الأكيد إلى اسمه الرحمن؛ إشارة إلى أن وعده بذلك مظهر من مظاهر رحمته بهم؛ ليستعدوا لها بالإيمان والعمل الصالح، قال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والتعرض لعنوان الرحمة؛ للإيذان بأن وعده وإنجازه لكمال سعة رحمته»[2].

وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أضاف الجنة إلى اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؛ لأن فيها من الرحمة والإحسان، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وسماها تعالى رحمته، فقال: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١٠٧﴾ [آل عمران: ١٠٧]، وأيضًا ففي إضافتها إلى رحمته، ما يدل على استمرار سرورها، وأنها باقية ببقاء رحمته، التي هي أثرها وموجبها»[3].

النموذج السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا ٦٩﴾

(١) تفسير السعدي: ٤٩٦.

(٢) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٧٢.

(٣) تفسير السعدي: ٤٩٦.

[مريم: ٦٩].

غمرتهم بالشكر والإيمان، قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر صفة الرحمن هنا؛ لتفظيع عتوهم؛ لأن شديد الرحمة بالخلق حقيق بالشكر له والإحسان لا بالكفر به والطغيان»[(١)].

ذكر اسم الرحمن في قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ٨٨﴾؛ لقصد إغاظتهم بذكر اسم أنكروه[(٢)]؛ فحرموا من رحمته وإنعامه.

ثانيًا: الرب جَلَّ وَعَلَا:

الرب: هو المربي جميع عباده بالتدبير وأصناف النعم، «وأخص من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم، وبهذا كثر دعاؤهم له بهذا الاسم الجليل؛ لأنهم يطلبون منه هذه التربية الخاصة»[(٣)].

وهو الذي له جميع معاني الربوبية التي يستحق أن يُؤَلَّه لأجلها، وهي صفات الكمال كلها، والمحامد كلها له، والفضل كله، والإحسان كله، وإنه لا يشارك الله أحد في معنى من معاني الربوبية ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]، لا بشر ولا ملك، بل هم جميعًا عبيد مربوبون لربهم بكل أنواع الربوبية، فبربوبيته سبحانه يربي الجميع من ملائكة وأنبياء وغيرهم؛ خلقًا ورزقًا وتدبيرًا وإحياءً وإماتةً، وهم يشكرونه على ذلك بإخلاص العبادة كلها له وحده.

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٤٨.

(٢) المرجع السابق: ١٦/ ١٧٠.

(٣) تفسير السعدي: ٥/ ٦٢٠.

تكرار الاسم في السورة:

تكرر اسم (الرب) في السورة (٢٣) مرةً، وهو يأتي في سياق التربية، والإنعام والإحسان، والإفضال.

نماذج دلالة اسم (الرب) في السورة على مقصدها:

١- قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۝٢٤﴾ [مريم: ٢٤]، الذي يصل منه إليك كل ما ينفعك ويصلحك، ويرقيك في القرب منه، «والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميرها؛ لتشريفها وتأكيدِ التعليل وتكميلِ التسلية»[١].

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۝٢١﴾ [مريم: ٢١]، التعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميرها؛ لتشريفها وتسليتِها والإشعارِ بعِلة الحُكم؛ فإن هبةَ الغلامِ لها من أحكام تربيتها[٢]، وإحسانه إليها وفضله الكبير عليها.

٣- قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ [مريم: ٦]، مرضيًّا عندك قولًا وفعلًا، وتوسيطُ ربِّ بين مفعولي اجعَلْ؛ للمبالغة في الاعتناء بشأن ما يستدعيه[٣]، ولعلمه اليقيني أن ما يأتي من الرب فيه من الكمال الإنساني ما يليق بعطاء الكريم المنان.

٤- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤﴾ [مريم: ٤]، التعرض في الموضعين لوصفِ

(١) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٦١.

(٢) المرجع السابق: ٥/ ٢٦٠.

(٣) المرجع السابق: ٥/ ٢٥٥.

الربوبيةِ المُنبِئةِ عن إضافة ما فيه صلاحُ المربوبِ، مع الإضافة إلى ضميره عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، لا سيما توسيطُه بين كان وخبرها؛ لتحريك سلسلةِ الإجابةِ بالمبالغة في التضرّع؛ ولذلك قيل إذا أراد العبدُ أن يُستجابَ له دعاؤُه فليدعُ الله -تعالى- بما يناسبه من أسمائه وصفاتِه[١].

٥- قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ٨﴾ [مريم: ٨]، خاطب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ربه سبحانه، ولم يخاطب الملك المنادي؛ طرحًا للوسائط، ومبالغة في التضرع، وجِدًّا في التبتل[٢]، وأنسًا في خطاب الرب الحبيب لأوليائه، فالحبيب يحب التسرية بالحديث مع محبوبه.

٦- قوله تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم: ٤]، عبَّر عن الله بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه؛ للإشارة إلى انفراده من بينهم بعبادة الله -تعالى- فهو ربه وحده من بينهم، فالإضافة هنا تفيد معنى القصر الإضافي، مع ما تتضمنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إياه والتشريف لنفسه بذلك[٣].

ثالثًا: الله جَلَّ وَعَلَا:

الله عَزَّوَجَلَّ هو المألوه المعبود، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، وهذا

(١) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٥٤.

(٢) تفسير الآلوسي: ٢/ ١٤٣.

(٣) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٢٢.

الاسم ترجع إليه جميع الأسماء، فيُقال: الرحمن من أسماء الله، ولا يُقال: الله من أسماء الرحمن، وهكذا في جميع الأسماء، واسم الله -تعالى- هو الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى، والصفات العُلا[(١)].

تكرار الاسم في السورة:

تكرر اسم الله في السورة (٩) مراتٍ، وهو يرد في سياق التأليه.

من نماذج دلالة اسم (الله) في السورة على مقصد السورة:

١- النموذج الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۝٣٠﴾ [مريم: ٣٠].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكان أول ما نطق به الاعتراف بعبوديته لله تعالى وبربوبيته، ردًّا على من غلا من بعده في شأنه»[(٢)]، وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أول شيء تكلم به أن نزه جناب ربه تعالى، وبرأ الله عن الولد، وأثبت لنفسه العبودية لربه»[(٣)].

وهكذا يعلن عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عبوديته لله، فليس هو ابنه كما تدعي فرقة، وليس هو إلهًا كما تدعي فرقة، وليس هو ثالث ثلاثة هم إله واحد وهم ثلاثة كما تدعي فرقة، ويعلن أن الله جعله نبيًّا، لا ولدًا ولا شريكًا[(٤)].

(١) انظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/ ٢٤٩.
(٢) تفسير القرطبي، للقرطبي: ١١/ ١٠٢.
(٣) تفسير ابن كثير، لابن كثير: ٥/ ٢٢٨.
(٤) في ظلال القرآن، لسيد قطب: ٤/ ٢٣٠٨.

دلالة اسم (الله) في الآية على مقصد السورة:

أنطق الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أول ما نطق بذلك؛ ليبطل قول من ادّعى فيه الربوبية، رحمة بقومه حتى لا يقعوا في الضلال، ويحرموا من رحمة الله الخاصة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة؛ لذا قدَّم عَلَيْهِ السَّلَامُ إقراره بالعبودية بإلهام الله إياه؛ لعِلْم الله بما سوف يتقوَّله الغالون فيه مستقبلًا.

٢- النموذج الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٣٦﴾ [مريم:٣٦].

أي: ومما أمر عيسى به قومه وهو في مَهْدِهِ، أن أخبرهم إذ ذاك أن الله ربهم وربه، وأمرهم بعبادته[١]، وفي هذا الإقرار بتوحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، والاستدلال بالأول على الثاني[٢].

دلالة اسم (الله) في الآية على مقصد السورة:

عرَّفهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ بطريق رحمة الله؛ وهي العبودية عن طريق ربوبيته سبحانه، فالعبودية سبيل لتحصيل رحمة الله في الدنيا بإنعامه وإحسانه على عباده المؤمنين، وفي الآخرة بدخول رحمته؛ وهي جنته التي أعدها لعباده المؤمنين.

٣- النموذج الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ [مريم: ٥٨].

(١) تفسير ابن كثير، لابن كثير: ٥/ ٢٢٨.

(٢) تفسير السعدي، للسعدي: ٤٩٣.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد، الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه، فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريّة آدم، ومن ذرّية من حملنا مع نوح في الفُلك، ومن ذرّية إبراهيم خليل الرحمن، ومن ذرّية إسرائيل، وممن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته، وممن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا، فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس، والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم، والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل، والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم، ولذلك فرَّق -تعالى ذكره- أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم؛ لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة، وهو إدريس، وإدريس جدُّ نوح»[(١)].

دلالة اسم(الله) في الآية على مقصد السورة:

معلوم أن الرحمة إنعام من الله جَلَّ وَعَلَا على عباده، فذكر سبحانه في هذه السورة الذين أنعم الله عليهم نعمة لا تلحق، ومنة لا تسبق؛ حيث أنعم عليهم بنعمة الهداية إلى الإيمان بالله والعمل بطاعته، وهذه النعمة رحمة خاصة بهم، ونعمة الاصطفاء بالرسالة والوحي، وهي نعمة خاصة بهم، ورحمة بأقوامهم؛ لأنهم بينوا لهم الطريق الموصِلَة إلى رحمة الله في الدنيا، ورحمة الله في الآخرة؛ وهي إدخال المؤمنين منهم الجنة، ورحمة بالأمة المحمدية؛ حيث أمرنا الله أن نتأسى بهم، وندعو الله أن يوفقنا إلى طريقهم التي سلكوها؛ وهو الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم عليهم.

(١) تفسير الطبري، لأبي جعفر الطبري، ت. شاكر: ١٨/ ٢١٤.

«وتلك وإن كانت نعمًا وهداية واجتباء، فقد زادت هذه الآية بإسناد تلك العطايا إلى الله تعالى؛ تشريفًا لها، فكان ذلك التشريف هو الجزاء عليها، إذ لا أزيد من المجازى عليه إلا تشريفه»[1].

فتأمل براعة النَّظْم، وكيف أن اسم (الله) في هذه الآية دل على مقصدها؛ وهو شمول رحمته سبحانه لعباده، وخَصَّ هنا النبيين؛ لأنهم رحمة على الخلق كما قال تعالى في حق نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

النموذج الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾ [مريم: ٧٦]، لما ذكر عَزَّوَجَلَّ ضلالة الكفَرَة، وارتباكهم في الافتخار بنعم الدنيا، وعماهم عن الطريق المستقيم؛ عقَّب ذلك بذكر نعمته على المؤمنين في أنهم يزيدهم هُدًى في الارتباط إلى الأعمال الصالحة، والمعرفة بالدلائل الواضحة وزيادة العلم دأبًا[2].

دلالة اسم (الله) في الآية على مقصد السورة:

ذكر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أنه من فضله ورحمته أنه يزيد المهتدين هداية، والتي تشمل توفيقهم إلى العِلْم النافع، والعمل الصالح. فكل من سلك طريقًا في العلم والإيمان والعمل الصالح؛ زاده الله منه، وسهَّله عليه، ويسَّره له، ووهب له أمورًا أُخَرَ لا تدخل تحت كسبه.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ١٣٣.

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤/ ٣٠.

المطلب الثالث: الفرائد في السورة ودلالتها على مقصد السورة.

اتسمت الفريدة القرآنية باتساقها الكامل مع المعنى المُـراد منها في السياق القرآني بما لا تغني عنها لفظة أخرى، والمتأمل في الفرائد الواردة في سورة مريم يلحظ اتساق الفرائد فيها مع معنى الرحمة بصورة دقيقة ورائقة.

وفي هذا المطلب نوضِّح دلالة الفريدة القرآنية في السورة لمقصدها، فسبحان من اتسقت مباني كلامه، وانتظمت معانيه بصورة معجزة.

تعريف الفرائد في اللغة والاصطلاح:

لغة: فرد: الفاء والراء والدال أصل صحيح يدل على وحدة... والفريد: الدر إذا نظم وفصل بينه بغيره[1].

والفريد، بغير هاء، الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، والفريدة وهي الشذر من فضة كاللؤلؤة[2].

اصطلاحًا: «إتيان المتكلم بلفظة تتنزل من كلامه منزلة الفريدة من حَبِّ العِقْدِ، تدل على عِظَمِ فصاحته، وقوَّة عارضته، وشدة عربيته؛ حتى إن هذه اللفظة لو سقطت من الكلام لعَزَّ على الفصحاء غرامتها»[3]؛ أي خسارتها وفقدانها.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٤/ ٥٠٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٣٣٢.

(٣) تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع، تحقيق د. حفني شرف ص٥٧٨، ٥٧٦، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٨٣م.

ومن التعريف اللغوي والاصطلاحي:

نستخلص أن الفريدة: هي الشيء النفيس الذي لا نظير له، سواء أكان ماديًّا كالذهب والدر، أو معنويًّا كالكلام الفريد المفصَّل.

وإلى الحديث عن الفرائد ودلالتها على مقصد السورة:

١) الْمَخَاضُ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلۡمَخَاضُ إِلَىٰ جِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ﴿٢٣﴾﴾ [مريم: ٢٣].

معنى المخاض:

مخض:

الميم والخاء والضاد: أصل صحيح يدل على اضطراب شيء في وعاء مائع، والماخض: الحامل إذا ضربها الطَّلْق، وهذا أيضًا على معنى التشبيه؛ كأن الذي في جوفها شيء مائع يتمخض[(١)].

والمخاض: «الطَّلْقُ وشدة الولادة وأوجاعها»[(٢)].

دلالة الفريدة على مقصد السورة:

عبَّر ربُّنا بهذا اللفظ الذي لم يغنِ غيرُه غناءه؛ لأنه المناسب والموائم لحركة الطفل من خوض ودوران ولفٍّ من أجل الخروج من بطن أمه، وهذا يبدأ عندما تنتهي مدة أجله داخل الرحم.

(١) مقاييس اللغة لابن فارس: ٥/ ٣٠٤.

(٢) المحرر الوجيز: ٤/ ١٠.

وكان المخاضُ رحمة من الله لمريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ؛ حيث اضطرها وألجأها المخاض بقوَّته وسيطرته عليها إلى جذع النخلة؛ لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة، ولعله سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ ألهمها ذلك؛ ليريها من آياته ما يسكِّن روعتها، فتطعم منه الرطب الذي هو خُرْسَةُ النفساء أي طعامها، وغاية في نفعها.

٢) حَتْمًا:

قَالَ تعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ [مريم: ٧١].

الحتم: مصدر حتم الأمر إذا أوجبه، فسمى به الموجب، أي: كان ورودهم واجبًا على الله، أوجبه على نفسه وقضى به، وعزم على أن لا يكون غيره(١).

دلالة الفريدة على مقصد السورة:

في الآية إدماج ببشارة المتقين الذين وسعتهم رحمة الله، في أثناء وعيد المشركين الذين حُرِموا منها بسبب شركهم، قال ابن عاشور رَحِمَهُٱللَّهُ: «المعنى: وما منكم أحد ممن نزع من كل شيعة وغيره إلا وارد جهنم، حتمًا قضاه الله، فلا مبدل لكلماته، أي فلا تحسبوا أن تنفعكم شفاعتهم، أو تمنعكم عزة شيعكم، أو تلقون التبعة على سادتكم وعظماء أهل ضلالكم، أو يكونون فداء عنكم من النار.

وليس الخطاب في قوله﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ٧١﴾ [مريم: ٧١] لجميع الناس مؤمنهم وكافرهم على معنى ابتداء كلام، بحيث يقتضي أن المؤمنين

(١) تفسير الكشاف: ٣/ ٣٥.

يردون النار مع الكافرين، ثم ينجون من عذابها؛ لأن هذا معنى ثقيل ينبو عنه السياق، إذ لا مناسبة بينه وبين سياق الآيات السابقة؛ ولأن فضل الله على المؤمنين بالجنة، وتشريفهم بالمنازل الرفيعة ينافي أن يسوقهم مع المشركين مساقًا واحدًا، كيف وقد صدر الكلام بقوله:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۝٦٨﴾ [مريم: ٦٨]، وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، وهو صريح في اختلاف حشر الفريقين[١].

٣) ضِدًّا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۝٨٢﴾ [مريم: ٨٢].

الضِّدُّ: العون. يقال من أضدادكم: أي أعوانكم، وكأن العون سُمّي ضدًّا؛ لأنه يضاد عدوك، وينافيه بإعانته لك عليه[٢].

أي سيكفر المشركون بعبادة الأصنام، ويدخلون في الإسلام، ويكونون ضدًّا على الأصنام، يهدمون هياكلها ويلعنونها[٣].

دلالة الفريدة على مقصد السورة:

١- فيها بشارة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد المتقين، وخير من وسعته رحمة ربه؛ بأنَّ دينه سيظهر على دين الكفر.

---

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ١٤٩، ١٥١.

(٢) تفسير الكشاف، للزمخشري: ٣/ ٤١.

(٣) التحرير والتنوير، لابن عاشور: ١٦/ ١٦٤.

٢- لما تعلق المشركون بغير الله تعالى؛ وكَلَهُمُ الله إلى ما تعلَّقوا به، وخذلهم من جهة ما تعلقوا به، وفاتهم تحصيل مقصودهم من رحمة الله عَزَّوَجَلَّ بتعلقهم بغيره، والتفاتهم إلى سواه، فلا على نصيبهم من رحمة الله حصلوا، ولا إلى ما أمَّلوه ممن تعلقوا به وصلوا.

٤) وَفْدًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥].

وفد:

يقال: وَفَدَ القومُ تَفِدُ وِفَادَةً، وهم وَفْدٌ ووُفُودٌ، وهم الذين يقدمون على الملوك مستنجزين الحوائج[١].

دلالة الفريدة على مقصد السورة:

كرامة المتقين عند وفودهم على الرحمن يوم القيامة، وخذلان المجرمين وحرمانهم من رحمة الله.

يخبر - تعالى - عن تفاوت الفريقين؛ المتقين، والمجرمين، وأن المتقين له - باتقاء الشرك والبدع والمعاصي - يحشرهم إلى موقف القيامة مُكرَمين، مُبجَّلين، مُعظَّمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنان، وفودًا عليه، والوافد لا بد أن يكون في قلبه من الرجاء، وحسن الظن بالوافد عليه ما هو معلوم، فالمتقون يفِدون على الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدموه من العمل بتقواه، واتباع

(١) مفردات غريب القرآن للأصفهاني: ٨٧٧.

مراضيه، وإن الله قد عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله، فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله.

وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم وردًا، أي: عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات؛ سَوْقُهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة؛ وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم[١].

٥) إدًّا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ٨٩﴾ [مريم: ٨٩]، أي: أمرًا منكرًا يقع فيه جلبة[٢].

والإدُّ بالكسر والفتح: العظيمُ المنكر، والإدّةُ: الشدةُ، وأدَني الأمرُ وآدَني: أثقلني وعظُم عليّ، أي فعلتم أمرًا منكرًا شديدًا لا يقادَر قدره[٣].

دلالة الفريدة على مقصد السورة:

في الفريدة من التشنيع والتفظيع؛ لما افتروا على الله الكذب بقولهم﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ٨٨﴾[مريم: ٨٨]، وهذا من أسباب حرمانهم من رحمة الرحمن التي وسِعَتْ رحمته كل شيء.

---

(١) تفسير السعدي: ٥٠٠.

(٢) مفردات غريب القرآن: ٦٩.

(٣) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٨٢.

٦) رِكْزًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٨﴾ [مريم: ٩٨].

الرِّكْزُ: الصَّوْتُ الخَفِيُّ.

وهو كناية عن اضمحلالهم، كنّى باضمحلال لوازم الوجود عن اضمحلال وجودهم[١].

لما ذكروا بالعناد والمكابرة، أتبع بالتعريض بتهديدهم على ذلك؛ بتذكيرهم بالأمم التي استأصلها الله لجبروتها وتعنتها؛ لتكون لهم قياسًا ومثلًا؛ لأن في التعريض بالوعيد نذارة لهم، وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم[٢].

تصوير سيد قطب رَحِمَهُ اللَّهُ للهلاك:

«وهو مشهد يبدؤك بالرجّة المدمِّرة، ثم يغمرك بالصمت العميق. وكأنما يأخذ بك إلى وادي الرّدى، ويقفك على مصارع القرون، وفي ذلك الوادي الذي لا يكاد يحدُّه البصر، يسبح خيالك مع الشخوص التي كانت تدب وتتحرك، والحياة التي كانت تنبض وتمرح. والأماني والمشاعر التي كانت تحيا وتتطلع. . ثم إذا الصمت يخيم، والموت يجثُمُ، وإذا الجُثَثُ والأشلاء والبِلى والدّمار، لا نأمة[٣]، لا حس، لا حركة، لا صوت. . ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ؟﴾ انظر وتلفَّت ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ تسمَّع وأنصت.

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٧٧.

(٢) المرجع السابق.

(٣) نأم: النون والهمزة والميم أصيل يدل على صوت (مقاييس اللغة: ٥/ ٣٧٧).

ألا إنه السكون العميق والصمت الرهيب. وما من أحد إلا الواحد الحي الذي لا يموت»[١].

٧) اشْتَعَلَ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾﴾ [مريم: ٤].

شعل: الشَّعْلُ: التهاب النّار، يُقالُ: شُعْلَةٌ من النّار، وقد أَشْعَلْتُهَا، والشَّعِيلَةُ: الفتيلة إذا كانت مُشْتَعِلَةً، وقيل:

بياض يَشْتَعِلُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]؛ تشبيهًا بِالاشْتِعَالِ من حيث اللّونُ[٢].

شبه الشيب بشُوُاظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشَّعر، وفشوّه فيه، وأخذه منه كل مأخذ، باشتعال النار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الشعر ومنبته وهو الرأس. وأخرج الشيب مميزًا ولم يُضِف الرأس: اكتفاء بعلم المخاطب أنه رأس زكريا[٣].

«ويشكو إليه اشتعال الرأس شيبًا، والتعبير المصور يجعل الشيب كأنه نار تشتعل، ويجعل الرأس كله كأنما تشمله هذه النار المشتعلة، فلا يبقى في الرأس المشتعل سواد. ووَهَنُ العَظْمِ، واشتعال الرأس شيبًا، كلاهما كناية عن

---

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٢٢.

(٢) مفردات ألفاظ القرآن: ٤٥٧.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٣/ ٤.

الشيخوخة، وضعفها الذي يعانيه زكريا ويشكوه إلى ربه، وهو يعرض عليه حاله ورجاءه»[(١)].

وشبَّه عموم الشيب شعرَ رأسِه أو غلبته عليه باشتعال النار في الفحم بجامع انتشار شيء لامعٍ في جسم أسود، تشبيهًا مُرَكَّبًا تمثيليًّا قابلًا لاعتبار التفريق في التشبيه، وهو أبدع أنواع المُرَكَّبِ. فشبَّه الشَّعْر الأسود بفحم، والشَّعْرَ الأبيض بنار على طريق التمثيلية المكنية، ورمز إلى الأمرين بِفِعْل اشتعل.

والخبران من قوله: ﴿وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا﴾ مستعملان مجازًا في لازم الإخبار، وهو الاسترحام لحاله»[(٢)].

دلالة الفريدة على مقصد السورة:

أخبر بحاله؛ طلبًا لرحمة ربه سبحانه، ووَصَفَ من حاله ما تشتد معه الحاجة إلى الولد حالًا ومآلًا، فكان اشتعال الرأس بالشيب حالًا مقتضيًا للاستعانة بالولد.

(١) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٠٢.

(٢) التحرير والتنوير: ١٦/ ٦٤.

المطلب الرابع : دلالة الآيات الكونية على مقصد السورة :

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٣].

تأمَّل انتفاضة الكون وغضبه وغيرته من المساس بقداسة الذات العلية، وما ذاك إلا لتضمنه شتم الرب تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والتنقص به، ونسبة ما يمنع كمال ربوبيته وقدرته وغناه إليه.

وتكرير اسم الرحمن في هذه الآيات أربع مرات؛ إيماء إلى أن وصف الرحمن الثابت لله، والذي لا ينكر المشركون ثبوت حقيقته لله، وإن أنكروا لفظه، ينافي ادعاء الولد له؛ لأن الرحمن وصفٌ يدل على عموم الرحمة وتكثُّرِها، ومعنى ذلك: أنها شاملة لكل موجود، فذلك يقتضي أن كل موجود مفتقر إلى رحمة الله تعالى، ولا يتقوم ذلك إلا بتحقق العبودية فيه؛ لأنه لو كان بعض الموجودات ابنًا لله تعالى لاستغنى عن رحمته؛ لأنه يكون بالبنوة مساويًا له في الإلهية المقتضية الغنى المطلق، ولأن اتخاذ الابن يتطلب به متخذه بر الابن به ورحمته له، وذلك ينافي كون الله مفيض كل رحمة.

فذكر هذا الوصف عند قوله: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، وقوله: ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾؛ تسجيلًا لغباوتهم، وذكَره عند قوله: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾؛ إيماء إلى دليل عدم لياقة اتخاذ الابن بالله، وذكره عند قوله:

﴿إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا﴾؛ استدلال على احتياج جميع الموجودات إليه، وإقرارها له بملكه إياها[(١)].

موضع الدلالة في الآيات:

١- التعبير باسم الرحمن في هذه الآيات إشارة إلى صبره تعالى على أذاهم وإمهاله لهم؛ رحمة بهم، لعلهم يرجعون ويتوبون عن هذا القول الشنيع. روى البخاري بسنده عن أبي موسى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «ليس أحد، أو: ليس شيء أصبر على أذى سمعه من الله، إنهم ليدعون له ولدًا، وإنه ليعافيهم ويرزقهم»[(٢)].

أن السموات والأرض تعبد ربها، وتسبح له بما يليق به، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤٤﴾ [الإسراء: ٤٤]؛ ولذلك لما سمعت بمقولة الكفار في حق معبودهم؛ انتفضت انتفاضة الغاضب؛ غيرةً عليه سبحانه، وكأنها تقول أَمَرنا بتسبيحه فسبَّحانه حق التسبيح، وأمرت أنت بعبادته؛ فأعرضت استكبارًا، فلا تنتظر أن يعمَّك برحمته الواسعة، وإن شملتك برزقه ومعافته إياك، وإمهاله لك.

....

(١) التحرير والتنوير: ١٦/ ١٧٣.

(٢) رواه البخاري في صحيحه كتاب الأدب: باب الصبر على الأذى، (٦٠٩٩).

المطلب الخامس : دلالة سنة الله في ثواب المؤمنين وجزاء المجرمين على مقصد السورة :

أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه سيجعل للمؤمنين محبة منه تعالى، ومحبة في قلوب عباده المؤمنين؛ فيحب بعضهم بعضًا، فيتراحمون، ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض من المحبة كرامة منه ورحمة بهم؛ لتفردهم في عبادته سبحانه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾ ﴾ [مريم: ٩٦]، والمعنى: سيُحْدِثُ لهم في القلوب مودَّة، ويزرعها لهم فيها، من غير تودُّدٍ منهم، ولا تعرُّضٍ للأسباب التي توجب الودَّ ويكتسب بها الناس مودات القلوب، من قرابة أو صداقة أو اصطناع بمَبَرَّةٍ أو غير ذلك، وإنما هو اختراع منه ابتداء اختصاصًا منه لأوليائه بكرامة خاصة، كما قذف في قلوب أعدائهم الرعب والهيبة إعظامًا لهم وإجلالًا لمكانهم(١).

وللتعبير بالود في هذا الجو نداوة رخيَّة تمس القلوب، وروح رضى يلمس النفوس، وهو ود يشيع في الملأ الأعلى، ثم يفيض على الأرض والناس؛ فيمتلىء به الكون كله ويفيض(٢).

وفي هذا المعنى روى مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « **إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ إِنِّى أُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ – قَالَ – فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِى فِى السَّمَاءِ فَيَقُولُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ – قَالَ – ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِى الأَرْضِ** »(٣).

---

(١) تفسير الكشاف للزمخشري: ٣/ ٤٧.

(٢) في ظلال القرآن: ٤/ ٢٣٢١.

(٣) رواه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب: إذا أحب الله عبدًا حببه إلى عباده، (٢٦٣٧).

وأخبر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أنه أهلك كثيرًا من المجرمين الذين أعرضوا عن طريق الحق، وآذوا أهل الحق بصنوف الإيذاء؛ ليشفي قلوب قوم مؤمنين، ويذهب غَيْظَ قلوبهم، وتطهيرًا للأرض منهم ومن خبثهم وفسادهم؛ رحمةً بجميع المخلوقات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزَۢا ۝٩٨﴾ [مريم: ٩٨].

المعنى أهلكناهم بالكلية، واستأصلناهم؛ بحيث لا يُرى منهم أحدٌ، ولا يسمع منهم صوتٌ خفيّ(١)، ولم يبق منهم عين ولا أثر، بل بقيت أخبارهم عبرة للمعتبرين، وأسمارهم عِظَةٌ للمتعظين، ونذارة للمجرمين في كل عصر وحين، وبشارة للمؤمنين باقتراب إراحتهم من ضرهم.

....

(١) تفسير أبي السعود: ٥/ ٢٨٤.

۞ المطلب السادس: دلالة سنة الله في إمهال المجرمين على مقصد السورة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ٨٤﴾ [مريم: ٨٤].

أي: لا تعجل يا محمد على هؤلاء في وقوع العذاب بهم، إنما نُؤخِّرُهم لأجل معدود مضبوط، وهم صائرون لا محالة إلى عذاب الله ونكاله[١]، لا يتقدَّمون عنه ولا يتأخَّرون، نُمْهِلُهُمْ ونحلم عليهم مدة؛ ليراجعوا أمر الله، فإذا لم ينجع فيهم ذلك؛ أخذناهم أخذ عزيز مقتدر[٢]؛ فلا يضيق صدرُك بهم فإنهم مُمهَلون إلى أجل قريب، وكل شيء من أعمالهم محسوب عليهم ومعدود.

وهذا الإمهال رحمة منه بهم؛ لأن رحمته سبقت غضبه.

.....:::::::::.....

(١) تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٦٢

(٢) تفسير السعدي: ٥٠٠.

المطلب السابع: دلالة مشاهد القيامة على مقصد السورة (كرامة المؤمنين وإهانة الكافرين):

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾﴾ [مريم: ٨٥-٨٧].

يخبر - تعالى - عن تفاوت الفريقين؛ المتَّقينَ، والمجرمين، وأن المتقين له - باتقاء الشرك والبدع والمعاصي - يحشرهم إلى موقف القيامة مكرَّمين، مبجَّلين معظَّمين، وأن مآلهم الرحمن، وقصدهم المنّان، وفودًا إليه، فالمتقون يفدون إلى الرحمن، راجين منه رحمته وعميم إحسانه، والفوز بعطاياه في دار رضوانه، وذلك بسبب ما قدَّموه من العمل بتقواه، واتباع مراضيه، وأن الله عهد إليهم بذلك الثواب على ألسنة رسله، فتوجهوا إلى ربهم مطمئنين به، واثقين بفضله.

وأما المجرمون، فإنهم يساقون إلى جهنم عطاشًا، وهذا أبشع ما يكون من الحالات، سوقهم على وجه الذل والصغار إلى أعظم سجن وأفظع عقوبة؛ وهو جهنم، في حال ظمئهم ونصبهم، يستغيثون فلا يغاثون، ويدعون فلا يُستجاب لهم، ويستشفعون فلا يشفع لهم[(١)].

عن عليّ، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾، قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم، ولا يساقون سوقًا، ولكنهم يؤتون بِنُوقٍ لم

(١) تفسير السعدي: ٥٠٠، باختصار يسير.

يرُ الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة[1].

وذِكْر المتقين بلفظ التبجيل، وهو أنهم يجمعون إلى ربهم الذي غمرهم برحمته، وخصهم برضوانه وكرامته، كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم[2].

أما الذين حُرِموا رحمته في الآخرة بإعراضهم عن طريق العبودية في الدنيا؛ فيساقون إلى جنهم عطاشًا، عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾، يقول: عطاشًا.

ويحرمون من الشفاعة؛ لأنهم لم يأتوا الله بإيمان، أما المؤمنون فيشفعون في بعضهم بعضًا، عن ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قوله تعالى: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾، قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء[3].

فتأمَّل رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وكرامته وحسن الاستقبال لأهل الإيمان، أما المجرمون فمسوقون إلى جهنم وِردًا كما تُساقُ القطعان.

وبهذا أكون قد انتهيت من البحث.

أَسْأَلُ اللهَ الْقَبُولَ الْحَسَنَ.

....

(١) تفسير الطبري: ١٨/ ٢٥٤.

(٢) تفسير الكشاف: ٣/ ٤٢.

(٣) المرجع السابق: ١٨/ ٢٥٦.

الخَاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد. .

فبعد هذا التطواف والبحث في موضوع (أفانين السورة القرآنية في دلالتها على مقصدها)؛ نخرج بالنتائج الآتية:

١- إن مقصد السورة، هو مغزى السورة الذي ترجع إليه معاني السورة ومضمونها.

٢- تعدد طرق الكشف عن مقصد السورة؛ والتي من أهمها: اسم السورة، فضائل السورة، التأمل في أوائل السورة وأواخرها، إمعان النظر في الكلمات المكرَّرة، النظرة الشاملة للسورة من أولها إلى آخرها.

٣- تتنوع أفانين السورة في دلالتها على المقصد؛ والتي منها: القصص، أسماء الله الحسنى، الفرائد القرآنية، الآيات الكونية، سنن الله في الأنفس، مشاهد القيامة، وغير ذلك مما تتميَّز به كل سورة.

٤- ظهر من خلال التأمل والتدبر في سورة مريم أن لها أفانين اختصت بها تدل على مقصدها.

٥- اتضح أن كل كلمة، وكل جملة، وكل قصة، وكل فريدة، وكل سُنَّة كونية، وكل اسم من أسماء الله الحسنى في السورة له دلالة على مقصدها.

التوصيات :

أوصي الباحثين بما يلي:

١) ضرورة الاهتمام بالبحث في أفانين السور القرآنية ودلالتها في تحقيق مقاصدها؛ لأن وراء ذلك عِلْمٌ غزير يجب أن يُبحَثَ ويُنْشَرَ.

٢) البحث في أفانين القرآن في تحقيق مقاصده.

.....:::::::::::.....

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، د. ط، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، المحقق: صدقي محمد جميل، د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ.

٣. بدائع الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، د. ط، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، د. ت.

٤. البرهان في تناسب سور القرآن، الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، تحقيق: محمد شعباني، د.ط، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة الدَّيْنَوَرِيّ، أبو محمد عبد الله بن مسلم، المحقق: إبراهيم شمس الدين، د. ط، بيروت - لبنان، دار الكتب العلمية، د. ت.

٦. تحرير التحبير، ابن أبي الأصبع المصري، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر، تحقيق: د. حفني شرف، د. ط، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٨٣م.

٧. التحرير والتنوير، «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، د. ط، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

٨. تفسير أبي السعود «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم»، أبو السعود العمادي، محمد بن محمد بن مصطفى، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت.

٩. تفسير أسماء الله الحسنى، السعدي، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد، المحقق: عبيد بن علي العبيد، د. ط، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية، العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ.

١٠. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

١١. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.

١٢. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر، المحقق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

١٣. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وسننه وأيامه = صحيح البخاري، البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢هـ.

١٤. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، تحقيق: أحمد

البردوني وإبراهيم أطفيش، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، المحقق: علي عبد الباري عطية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٦. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

١٧. سنن أبي داود، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، د. ط، بيروت، د. ن، د. ت.

١٨. سنن الترمذي، الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الطبعة الثانية، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

١٩. عِلْمُ مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، المطيري، عبد المحسن بن زبن المطيري، د. ط، الكويت، جامعة الكويت، د. ت.

٢٠. في ظلال القرآن، قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي، ط (١٧)، بيروت - القاهرة، دار الشروق، ١٤١٢هـ.

٢١. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٢٢. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، أبو البقاء الحنفي، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، د. ط، بيروت، مؤسسة الرسالة، د. ت.

٢٣. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٤١٤هـ.

٢٤. لطائف الإشارات = تفسير القشيري، القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، المحقق: إبراهيم البسيوني، الطبعة الثالثة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت.

٢٥. مباحث في إعجاز القرآن، مسلم، مصطفى، الطبعة الثالثة، دمشق، دار القلم، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٢٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الطبعة الاولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٢هـ.

٢٧. المختصر في تفسير القرآن الكريم، جماعة من علماء التفسير، الطبعة الثالثة، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ١٤٣٦هـ.

٢٨. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٩. المدخل إلى التفسير الموضوعي، سعيد، عبد الستار فتح الله، الطبعة الثانية، القاهرة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د. ت.

٣٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٣١. مَصَاعِدُ النَّظَرِ للإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ، ويُسَمَّى: «المَقْصِدُ الأَسْمَى في مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَّ»، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة المعارف، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

٣٢. معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار عبد الحميد، بمساعدة فريق عمل، الطبعة الأولى، بيروت، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

٣٣. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبد السلام محمد هارون، د. ط، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٣٤. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الطبعة الأولى، بيروت، دار القلم، ١٤١٢هـ.

٣٥. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، السعودية، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

٣٦. المواهب الربانية من الآيات القرآنية، السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، جمعها: عبد الرحمن سمير الماضي، د. ط، د. ن، د. ت.

٣٧. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن الكريم، دراز، محمد بن عبد الله دراز، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدَّم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، د. ط، بيروت، دار القلم للنشر والتوزيع، طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر، د. ط، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي، د. ت.

المحتوى

مجلة تدبر



البحث الثالث

التَّدبُّر في رَسَائِلِ النُّورِ للنَّوْرَسِيّ

د. هَاشِمُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ أَحْمَدَ الأَهْدَل

رئيس قسم الشريعة بكلية الحرم المكي
بمكة المكرمة

- رئيس قسم الشريعة بكلية الحرم المكي الشريف بمكة المكرمة
- حصل على درجة الماجستير من كلية التربية بجامعة أم القرى بأطروحته: (التربية الذاتية في الكتاب والسنة).
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية العلوم الاجتماعية بجامعة أم القرى بأطروحته: (أصول التربية الحضارية في الإسلام).

النتاج العلمي:

تعليم تدبر القرآن - أساليب عملية ومراحل منهجية - معالم تربوية وتعليمية في المصحف الشريف- استماع القرآن الكريم، معلمات القرآن والتحضير المنزلي للدرس القرآني - تعليم القرآن في الهند- تعزيز الأمن الفكري - معلم القرآن والأسس النفسية في منهج التدبر.

البريد الإلكتروني: Haahdal@hotmail.com

مجلة تدبر

مستخلص البحث

- التدبر من النصيحة لكتاب الله، والقيام بحق من حقوق القرآن، وقراءة آية بتدبر خير من قراءة آيات بلا تدبر، ولا يقتصر مفهوم التدبر على مجرد التلاوة، بل إنه يشمل تفهم الكلمات والعبارات والمعاني، ومباشرة الأعمال وتنفيذها، ومن التدبر الوقوف على الآيات والتفكر فيها.

- من أهمية التدبر أنه اقتداءٌ واتساءٌ بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي كانت سيرته مليئة بالمواقف التي تبين حسن تدبره لكتاب الله.

- وفي رسائل النور، يصرح الأستاذ النورسي بمفهوم التدبر، ويبين أنه ضروري لبني الإنسان، ويؤكد على أن طريق القرآن الكريم هو أقصر وأقرب وأشمل طريق إلى الله، وإلى معرفته.

- وتنوعت مجالات التدبر في رسائل النور للنورسي، وهي تنطلق من اعتقاد مؤلف الرسائل أن القرآن جامع لأشتات العلوم.

- وتدعو رسائل النور المسلمين إلى تدبر القرآن، وتحث المستفيدين من رسائل النور إلى أن يرجعوا إلى القرآن ويتدبروه، ويتفكروا في إرشاداته ودلالاته.

- من مجالات التدبر في رسائل النور مناقشة وحدانية الله وإفراده بالعبادة، والرد على الملحدين، وما يتعلق بالرسالة الإسلامية والنبي الخاتم، والإشارة إلى علاج القرآن لكل الأمراض والشبهات، وإزالة الأوهام والأفكار السلبية.

۞ كما تحوي رسائل النور الكثير من الأساليب التي تشير إلى كيفية التدبر، وتعين عليه، ومن هذه الأساليب تكرار تلاوة الآيات، والعناية بمقاصد القرآن، وحسن الاستماع للقرآن، والاستفادة من منهج السلف الصالح.

۞ ورغم كثرة الجوانب الجيدة عن التدبر في رسائل النور، إلا إنها لا تخلو من الملاحظات التدبرية التي تحتاج إلى مراجعة وتنبيه، وعلى قراء رسائل النور أن يتنبهوا لتلك الملاحظات والمؤاخذات، التي تخالف ما اتفق عليه علماء التفسير والاستنباط، وصولاً للحق وحمايةً أن يقال في كلام الله ما ليس بحق.

الكلمات المفتاحية:

القرآن – التدبر – النورسي – مجالات التدبر – أساليب التدبر – رسائل النور.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

للدعاة والمصلحين دور بارز في نهضة أبناء الأمة، وإرجاعهم إلى دينهم، كلما حادوا عن المنهج الحق، وتنكبوا الجادة. والعودة الحقيقية تكون بالرجوع إلى المصدرين الأصيلين؛ الكتاب والسنة. والدعاة الناصحون يوجهون الشعوب والمجتمعات للحفاظ على هويتهم، والتمسك بمنهجهم، ويسعون لنشره في العالمين، وهم بذلك يرفعون راية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتحقيق الخيرية للأمة، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ومن رحمة الله بالأمة أن يهيئ لها من الدعاة والمصلحين، من يعيدها لدينها، رجوعًا للقرآن وتمسكًا بسنة الحبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهؤلاء الدعاة والأئمة، ينيرون الدرب للحائرين، ويبصرون الشعوب حين تضل الطريق، ويجاهدون في سبيل ذلك بأموالهم وأنفسهم، وبألسنتهم وأقلامهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٤١]. يقول القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَالصَّحِيحُ فِي مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ النَّاسَ أُمِرُوا جُمْلَةً أَيِ انْفِرُوا خَفَّتْ عَلَيْكُمُ الْحَرَكَةُ أَوْ ثَقُلَتْ»(١).

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج١٠ ص٢٢١.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَوْلُهُ تَعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾ قالَ القاضِي أَبُو يَعْلى: أَوْجَبَ الجِهادَ بِالمالِ والنَّفْسِ جَمِيعًا، فَمَن كانَ لَهُ مالٌ وهو مَرِيضٌ أَوْ مُقْعَدٌ أَوْ ضَعِيفٌ لا يَصْلُحُ لَلْقِتالِ، فَعَلَيْهِ الجِهادُ بِمالِهِ، بِأَنْ يُعْطِيَهُ غَيْرَهُ فَيَغْزُو بِهِ، كَما يَلْزَمُهُ الجِهادُ بِنَفْسِهِ إذا كانَ قَوِيًّا. وإِنْ كانَ لَهُ مالٌ وقُوَّةٌ، فَعَلَيْهِ الجِهادُ بِالنَّفْسِ والمالِ. ومَن كانَ مُعْدَمًا عاجِزًا، فَعَلَيْهِ الجِهادُ بِالنُّصْحِ لِلَّهِ ورَسُولِهِ، لِقَوْلِهِ تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة:٩١]»[١].

ولقد تفضَّل المولى على الأمة، بظهور الإصلاح الديني، أو ما يُسمَّى بالمصطلح النبوي: التجديد في الدين، حيث يبعث الله الدعاة والأئمة والمصلحين على رأس كل قرن من الزمان، يُجدِّدون أمور الدين، ويعيدون الناس إلى المنهج، وتكون لهم آثار دعوية إيجابية في مجتمعاتهم. وقد يكون التجديد في مجال فأكثر، وقد يتعدد في البلدان، بل قد يكون في البلد الواحد أكثر من مُجدِّد.

واستمر العلماء والدعاة منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحاضر، وهم يؤكدون على الالتزام بالقرآن الكريم، علماً وعملاً، ودعوةً ومنهجًا، وألفوا في ذلك المصنفات والكتب، وظهروا في مختلف البلدان.

ويُعد عالم التُّرك سعيد النورسي، من هؤلاء الدعاة الذين جاهدوا بأقلامهم، واعتنَوا بالقرآن الكريم، ومارسوا الدعوة الإصلاحية من خلال

(١) زاد المسير في علم التفسير، ج٣ ص٤٤٣.

القرآن، وكتبوا - خصوصـًا - في رسالة القرآن، وكان ثمرة هذا الاهتمام أن أَلَّف مجموعة رسائل النور، التي يمكن اعتبارها كتبًا تطبيقيةً لتدبر القرآن.

ومن خلال التأمل في تلك الرسائل، يجد الباحث أن الأستاذ النورسي قد تأثر بالقرآن روحًا، وعقلًا، وكان القرآن مصدره الأصيل في ذلك، وتدور كلماته وألفاظه حول معاني القرآن، ويرى أن العلاج في العمل بالقرآن، ومن أقواله: «عصر مريض، وعنصر سقيم، وعضو عليل، وَصْفَتُه الطِّبية هي اتباع القرآن»(١).

ويبدو أن الفترة التي سبقت كتابة رسائل النور، برزت الحضارة الغربية، والتيارات الفكرية، والمذاهب الإلحادية، وابتعد كثير من المسلمين عن القرآن، وعن قيمه الحضارية، وفي ذلك الوقت كان الهجوم على الشعائر الدينية أكثر من ذي قبل، وقد استعمل الداعية سعيد النورسي فكره وتدبره للقرآن لإبراز الإسلام ومبادئه، وبيان حقائق القرآن، وعلاقة العلم بالإيمان، وضرورة الرجوع للقرآن، وإثبات معجزات الأنبياء، وكمال النبوة في بعثة سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «فقام لأجل ذلك يحدد طريقة مواجهة تلك الأحداث وأسلوبها، دفاعًا عن القرآن، وحمايةً لنور الإيمان، ولِيتجلَّى بذلك الربط البديع للفقه بقضايا العصر ومشكلاته، وتنزيل النص، بحكمة، على أرض الواقع»(٢)، وكان يعتبر رسائل النور أنها «تفسير قَيِّم، وحقيقيّ للقرآن الكريم»(٣).

---

(١) سيرة ذاتية، ج١ ص٤٨٢.

(٢) إعجاز القرآن، ص١٧.

(٣) سيرة ذاتية، ج١ ص٤٨٢.

وسنحاول في هذا البحث النظر في رسائل النور، لاستخراج دلالات تدبر القرآن الكريم، وبيان دعوة النورسي للرجوع للقرآن، لحل المشكلات وتخطي الصعوبات، والتأكيد على أن يستفيد المسلم من إضاءات القرآن في حياته العلمية والعملية. ولا بد أن نبين في هذه المقدمة أن الأستاذ النورسي كان على الطريقة الصوفية الماتريدية، التي كانت سائدة أيام الخلافة العثمانية، لكن البحث سيتجاوز الاستنباطات العقدية المخالفة لمنهج السلف، فلها مجال آخر، وسيركز على مجال تدبر القرآن، فيما لا يخرج عن مفاهيم أهل السنة والجماعة.

أهمية الدراسة:

- تعلق موضوع الدراسة بالقرآن الكريم، وشرف الموضوع من شرف العلم الذي يدرسه.
- انتشار رسائل النور للنورسي في شتى بقاع الأرض، وتأثر كثير من المسلمين بها.
- العودة بالأمة إلى منهج تدارس القرآن وتدبره، من أجل العمل به.

أهداف الدراسة:

- حث طلاب مدرسة النور على الإفادة من منهج النورسي في تدبر القرآن.
- بيان علاقة رسائل النور بتدبر القرآن.
- إبراز الدعوة لتدبر القرآن في رسائل النور.

- عرض لبعض مجالات التدبر في رسائل النور.
- استخراج بعض أساليب التدبر في رسائل النور.

منهج الدراسة:

يستخدم البحث المنهج الاستنباطي لاستخراج دلالات تدبر القرآن في رسائل النور، ويرجع إلى المنهج الوصفي لعرض أدبيات مفهوم تدبر القرآن.

مباحث الدراسة:

المبحث الأول: مفهوم تدبر القرآن وأهميته وتطبيقاته في حياة المصلحين.

المبحث الثاني: رسائل النور وعلاقتها بالقرآن الكريم.

المبحث الثالث: الدعوة للتدبر في رسائل النور.

المبحث الرابع: مجالات التدبر في رسائل النور

المبحث الخامس: أساليب التدبر في رسائل النور.

النتائج والتوصيات.

مجلة تدبر

المبحث الأول:
مفهوم تدبر القرآن وأهميته وتطبيقاته في حياة المصلحين

مفهوم التدبر:

التدبر كلمة جذرها الدال والباء والراء، وفي لغة العرب: «دبّر الأمر وتدبره، أي نظر في عاقبته، وعُرف الأمر تدبرًا أي بآخره، فتدبر الكلام أي النظر في أوله وآخره، ثم إعادة النظر مرة بعد مرة، والتدبر في الأمر: التفكر فيه»[1]. وبدراسة دلالة المادة (دبر) يمكن جمعها في سمات محددة هي: «النظر في المقاصد والغايات، والتدرج والحدوث والتجدد، وبذل الجهد، والصبر والتحمل»[2].

والتدبر وتفهم المعاني فرع من تعلم القرآن، وهو ليس التلاوة أو الحفظ، وقد أشار إليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما رواه عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ، فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الْإِبِلِ»[3].

---

(١) لسان العرب، ج٤ ص٢٦٨.

(٢) مفهوم التدبر، ص٣٤.

(٣) رواه مسلم، في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن في الصلاة وتعلمه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وتدبر الكلام أن ينظر في أوله وآخره، ثم يعيد النظر مرة بعد مرة، ولهذا جاء على بناء التفعُّل، كالتجرُّع و التفهُّم والتبيُّن»[١].

وعُرِّف التدبر بأنه: «التفكر الشامل، الواصل إلى أواخر دلالات الكلم، ومراميه البعيدة»[٢]. وبين بعض الباحثين أن: «كلمة التدبر لآي الله في القرآن تدور حول معانٍ منها: التأمل، التفكر، الاعتبار، التعقل، الامتثال، التفهم»[٣].

وبين ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن تدبر القرآن: «هو تحديق ناظر القلب إلى معانيه، وجمع الفكر على تدبره وتعقله، وهو المقصود بإنزاله، لا مجرد تلاوته بلا فهم ولا تدبر»[٤].

ولا يقتصر مفهوم التدبر على مجرد التلاوة، بل إنه يشمل تفهم المعاني، ومباشرة الأعمال، قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تدبر آيات هذا القرآن العظيم: أي تصفحها، وتفهمها، وإدراك معانيها، والعمل بها»[٥].

وعُرِّف تدبر القرآن بأنه: «تفهم معاني ألفاظه، والتفكر فيما تدل عليه آياته مطابقة، وما دخل في ضمنها، وما لا تتم تلك المعاني إلا به، مما لم يُعرِّج اللفظ على ذكره من الإشارات والتنبيهات، وانتفاع القلب بذلك، بخشوعه عند مواعظه، وخضوعه لأوامره، وأخذ العبرة منه»[٦].

---

(١) مفتاح دار السعادة، ج١ ص١٨٣.

(٢) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله، ص١٠.

(٣) التكوين العقدي لشخصية المسلم، ص٦.

(٤) مدارج السالكين، ج١ ص٤٥١.

(٥) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج٧ص٤٢٩.

(٦) تدبر القرآن، السنيدي، ص١١.

أهمية التدبر:

إن مقصود تنزل هذا القرآن المبارك هو التدبر، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩]. وجاء السياق القرآني بالحث على التدبر والترغيب فيه، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ﴾ المؤمنون: ٦٨. كما جاء الحث عليه في قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

وجاء الترهيب من ترك تدبر الآيات، والإعراض عنها، وعدم التأثر بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، وبين القرآن أن ذلك من صفات المتكبرين، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧﴾ [لقمان: ٧]، يقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا: أي أدبر إدبارَ مستكبرٍ عنها، رادٍ لها، ولم تدخل قلبه، ولا أثّرت فيه، بل أدبر عنها»[(١)].

والتدبر من النصيحة لكتاب الله، والقيام بحق من حقوق القرآن، يقول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: **«الدِّينُ النَّصِيحَةُ»** قُلْنَا لِمَنْ؟ قَالَ: **«لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ»**[(٢)].

ومن أهمية التدبر أنه اقتداءٌ واتساءٌ بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، الذي كانت سيرته مليئة بالمواقف التي تبين حسن تدبره لكتاب الله، فكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقرأ قراءةً مُتَرَسِّلةً كأنه يفسرها للسامعين، وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ يقوم الليل متدبرًا

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص٧٦٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة. .

بآية واحدة، وكان يتلو القرآن في الصلاة، أو مِن على المنبر، فيتأثر وتدمع عينه، وكان صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستمع إلى قراءة أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ويثني عليها، وربما بكى أثناء استماعه»[١].

والتدبر الصحيح للقرآن يدفع لليقين بأخباره، والتصديق بقصصه، والعمل بأحكامه، ومن أبرز أهدافه أنه يدفع صاحبه للعمل الفوري بالآيات، بدون تردد ولا تلكؤ، يقول السيوطي رَحِمَهُ اللَّهُ : « وَتُسَنُّ الْقِرَاءَةُ بِالتَّدَبُّرِ وَالتَّفَهُّمِ، فَهُوَ الْمَقْصُودُ الْأَعْظَمُ، وَالْمَطْلُوبُ الْأَهَمُّ، وَبِهِ تَنْشَرِحُ الصُّدُورُ، وَتَسْتَنِيرُ الْقُلُوبُ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، وقال : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ وَصِفَةُ ذَلِكَ أَنْ يَشْغَلَ قَلْبَهُ بِالتَّفْكِيرِ فِي مَعْنَى مَا يَلْفِظُ بِهِ، فَيَعْرِفُ مَعْنَى كُلِّ آيَةٍ، وَيَتَأَمَّلُ الْأَوَامِرَ وَالنَّوَاهِيَ، وَيَعْتَقِدُ قَبُولَ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا قَصَّرَ عَنْهُ فِيمَا مَضَى؛ اعْتَذَرَ وَاسْتَغْفَرَ، وَإِذَا مَرَّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ اسْتَبْشَرَ وَسَأَلَ، أَوْ عَذَابٍ أَشْفَقَ وَتَعَوَّذَ، أَوْ تَنْزِيهٍ نَزَّهَ وَعَظَّمَ، أَوْ دُعَاءٍ تَضَرَّعَ وَطَلَبَ» .[٢].

ومن ثمرات التدبر ونتائجه: «يورث اليقين، ويزيد الإيمان، وهو سبيل إلى الاعتبار والاتعاظ بأمثاله وقصصه، ويحمل على محاسبة النفس ومراجعتها، وهو الطريق إلى معرفة محابِّ الله ومساخطه، وأوصاف أوليائه وصفات أعدائه، وهو أقوى الأسباب لترقيق القلب وتليينه»[٣].

---

(١) تعليم تدبر القرآن الكريم، ص١٣٠ (بتصرف).

(٢) الإتقان في علوم القرآن، ج١ ص١٢٧.

(٣) الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، ص٢٥.

تطبيقات التدبر في حياة المصلحين:

اهتم المصلحون والدعاة منذ فجر الإسلام بالقرآن الكريم، تعلُّمًا وتعليمًا، وتفهُّمًا وتفهيمًا، واعتنوا -خصوصًا- بالتدبر لأنه مقدمة للعمل بالقرآن، وجعْلَه منهج حياة في سلوكهم، وتنوعت دعواتهم بالتصريح المباشر وغير المباشر، أو بذكر آثاره وثماره، ودلَّت أقوالهم وأحوالهم على عظيم أثر التدبر على سلوكهم وحياتهم. وكان في مقدمة هؤلاء الدعاة، صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ورَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين. عن عبدالله بن عروة بن الزبير، قال: قلت لجدتي أسماء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كيف كان يصنع أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا قرأوا القرآن؟ قالت: «**كانوا كما نعتهم الله تعالى، تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم**»[(١)].

وأورد شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ [(٢)] الحديث السابق عند قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر:٢٣].

وكان صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتأثرون جداً بتدبرهم للآيات التي يقرأونها أو يسمعونها، يقول الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكان حالهم، يعني رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، عند المواعظ: الفهم عن الله، والبكاء خوفاً من الله، ولذلك وصف الله أحوال أهل المعرفة عند

(١) الزهد لابن المبارك، برقم١٠١٦.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ص٤٦١.

سماع ذكر الله وتلاوة كتابه، فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة:٨٣]، فهذا وصف حالهم، وحكاية مقالهم، فمن كان مستنًا فليستن بمن قد مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة»[١].

ومما ورد عن صديق هذه الأمة، أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في تأثره لسماع القرآن، وتفاعله مع آياته، وتدبره لما يسمع، أنه: «لما قدم أهل اليمن زمن أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وسمعوا القرآن، جعلوا يبكون، قال أبوبكر: **(هكذا كنا)**»[٢]. ومن أخبار عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تدبره للقرآن، وتأثره به، أنه «كان يمر بالآية في ورده، فتخنقه، فيبكي حتى يسقط، ثم يلزم بيته حتى يعاد، يحسبونه مريضًا»[٣].

وكان الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ، يحثون طلابهم على التدبر، ويبينون أهميته في قراءة القرآن، ويعتبرونها من أسس القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، يقول علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **(ألا لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر)**[٤].

ومن تدبرهم، التأني والترسل، وعدم السرعة في قراءة الآيات، وعدم تجاوز السورة إلى غيرها، حتى تنال حظها من الترتيل والتفهم والتفكر،

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، ج٧ص٣٦٦.

(٢) حلية الأولياء، ج١ص٢٤٤.

(٣) حلية الأولياء، ج٥ص٥١.

(٤) جامع بيان العلم، ج٢ص٨١١.

يقول حَبْر الأمة وترجمان القرآن، عبدالله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: (**لأن أقرأ البقرة فأرتلها وأتدبرها أحب إليّ من أن أقرأ هَذْرَمة**[1])[2].

وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: (**لا تنثروه نثر الدَّقل**[3]**، ولا تَهُذُّوه هذَّ الشِّعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن هَمُّ أحدكم آخر السورة**)[4].

ومن أكثر الصحابة علماً وفهماً لمعاني القرآن: الصحابي القارئ عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، والذي تعلم القرآن وعلمه، وبذل جهدًا كبيرًا لتحصيل هذه المعرفة القرآنية، وأخذ كثيرًا من سوره وآياته عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مباشرةً، يقول عن نفسه: «**والله الذي لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت، ولا آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أُنزِلت، ولو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل؛ لركبت إليه**»[5].

وحدَّث بعض علماء التابعين رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، الذي كان يرى حال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا مع القرآن، ومدى تأثره به، يقول أبو ذئب عن صالح: «كنت جارًا لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وكان يتهجَّد من الليل فيقرأ الآية ثم يسكت قدر ما حدثتك، وذاك طويل، ثم يقرأ، قلت: لأي شيء فعل ذلك؟ قال: من أجل التأويل يتفكر فيه»[6].

---

(١) الهذرمة: السرعة في القراءة والكلام والمشي، انظر لسان العرب، حرف الهاء.

(٢) فضائل القرآن لابن ضريس، رقم٣٢.

(٣) الدقل: رَدِيء التمر ويابسه، انظر لسان العرب، حرف الدال.

(٤) أخلاق أهل القرآن، ص١١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب من فضائل عبدالله بن مسعود وأمه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

(٦) مختصر قيام الليل، ص١٤٩.

وكان للسلف -عمومًا-، وللصحابة -خصوصًا- اهتمام بكتاب الله الكريم، «ومن قراء الصحابة الذين كانت لهم عناية بتلاوة القرآن، وترتيله، وحفظه، مع العلم بمعانيه وأحكامه، أبو المنذر أبي بن كعب الخزرجي الأنصاري، كان سيد القراء، أثنى عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث عدَّه من القراء الأربعة الذين تؤخذ عنهم القراءة»[1].

واعتبر الدعاة الأوائل، من سلف الأمة وعلمائها، أن قراءة آيات قليلة، وسور قصيرة، بتدبر وتأنٍّ وتمهل، أولى من قراءة الآيات الكثيرة بدون التفكر والتأمل، يقول محمد بن كعب القرظي:"لأن أقرأ في ليلتي حتى أصبح: {إذا زلزلت} و{القارعة}، لا أزيد عليهما، أرددهما وأتفكر فيهما، أحب إليَّ من أن أهُذَّ القرآن ليليتي هذًّا، أو قال:أنثره نثرًا»[2].

واعتبر الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ أن قراءة القرآن الخالية من التدبر، تحرم القارئ من التلذذ بجمال القرآن وعجائبه، يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله، كيف يَلْتَذُّ بقراءته»[3].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: « فليس للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر، وتُثَبِّت قواعد الإيمان في قلبه»[4].

(١) منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم، ص٦٦.
(٢) الزهد، لابن المبارك، ص٢٨٧.
(٣) البرهان في علوم القرآن، ج٢ص ١٧١.
(٤) مدارج السالكين، ج١ص ٤٥١.

ويقول أبوبكر بن الآجُرِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الله عَزَّوَجَلَّ حثَّ خلقه على أن يتدبروا القرآن، فقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾ [محمد: ٢٤]، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ [النساء: ٨٢]، ألا ترون -رحمكم الله- إلى مولاكم الكريم، كيف يحث خلقه على أن يتدبروا كلامه، ومن تدبر كلامه عرف الرب عَزَّوَجَلَّ، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضُّله على المؤمنين...»(١).

ومن دعوة الأوائل للتدبر، ما كانوا يفعلونه ويحثون عليه من ترديد آية واحدة فقط، في الصلاة وفي خارجها، يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح»(٢). ويقول ابن قدامة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام البشر، وأن يستحضر عظمة المتكلم سبحانه، ويتدبر كلامه، فإن التدبر هو المقصود من القراءة، وإن لم يحصل التدبر إلا بترديد الآية؛ فليرددها»(٣).

وجاء في سيرة الإمام المقرئ يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ (ت١٠٣) رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أنه كان حسن الصوت بالقرآن، والتغني بالقراءة يساعد على التدبر، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقراءته يلفت الأنظار والأسماع إليه، يقول الأعمش: «كان يَحْيَى بْنِ وَثَّابٍ من أحسن الناس قراءة، ربما اشتهيت أن أُقَبِّل رأسه من حُسن قراءته، وكان إذا قرأ لا تسمع في المسجد حركة، كأنْ ليس في المسجد أحد»(٤).

(١) أخلاق أهل القرآن، ص٢.
(٢) التبيان في آداب حملة القرآن، ص٨٣.
(٣) مختصر منهاج القاصدين، ص٥٧.
(٤) سير أعلام النبلاء، ج٤ ص٣٨١.

المبحث الثاني :
رسائل النور وعلاقتها بالقرآن الكريم والتدبر

قبل أن نتحدث عن التدبر في رسائل النور، نلقي الضوء على مؤلف هذه الرسائل، ونبين جانبًا من علاقة هذه الرسائل بالقرآن الكريم. والمؤلف هو بديع الزمان سعيد النورسي الذي: «انتشرت دعوته في أنحاء العالم برسائله المسماة برسائل النور، والبالغة أكثر من مائة وثلاثين رسالة، وبجماعته طلاب النور، الذين يتدارسون هذه الرسائل، وينشرونها في آفاق الأرض فتُقرأ في تركيا، في مدنها كلها بل في أقضيتها وقُراها، كما تُقرأ في أنحاء شتى من العالم الإسلامي والإنساني»[١].

وذكر النورسي أن رسائله تعتمد على التفاسير المتداولة التي خلفها العلماء الأوائل، يقول في رسائله: «التفسير نوعان، الأول: التفاسير المعروفة، التي تبين وتوضح وتثبت معاني عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته. القسم الثاني من التفسير: هو إيضاح وبيان وإثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم، إثباتًا مدعمًا بالحجج الرصينة، والبراهين الواضحة، ولهذا القسم أهمية كبيرة جداً. أما التفاسير المعروفة والمتداولة، فإنها تتناول هذا النوع الأخير من التفسير تناولًا مجملًا أحيانـًا، إلا أن رسائل النور اتخذت هذا القسم أساسًا لها مباشرة، فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم، بحيث تُلزِم أعتى الفلاسفة وتسكتهم»[٢].

(١) سيرة ذاتية، ج٩ص٥.

(٢) سيرة ذاتية، ج٩ص٤٨٢.

من مؤلفات النورسي: المثنوي العربي النوري، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، الكلمات، اللمعات، الشعاعات، المكتوبات، المحاكمات، سيرة ذاتية، قطوف من أزاهير النور، (من كليات رسائل النور)، الآية الكبرى، الملاحق، صيقل الإسلام، ومؤلفات عديدة أخرى.

ترجم إحسان الصالحي رسائل النور إلى العربية، وسجل فيها استلهامات النورسي الإيمانية من معاني القرآن الكريم، وإظهار مقاصده في النفوس والعقول والأرواح، وخاصةً أمام تخطيط المنظمات الإلحادية السرية، التي كانت تستهدف إزالة الشعائر الإسلامية ورفعها الواحدة تلو الأخرى[1].

وقال الأستاذ النورسي عن ظروف تأليف هذه الرسائل: «لقد تحقق لدي يقينًا أن أكثر أحداث حياتي، قد جرت خارجة عن طوق اقتداري وشعوري وتدبيري إذ أُعطي لها سَيْرٌ مُعَيَّنٌ، ووُجّهت وجهةً غريبةً لتنتج هذه الأنواع من الرسائل التي تخدم القرآن الحكيم. بل كأن حياتي العلمية جميعها بمثابة مقدمات تمهيدية لبيان إعجاز القرآن ب»الكلمات«، حتى إنه في غضون هذه السنوات السبع من حياة النفي والاغتراب وعزلي عن الناس -دون سبب أو مبرر، وبما يخالف رغبتي- أمضي أيام حياتي في قرية نائية خلافًا لمشربي، وعازفًا عن كثير من الروابط الاجتماعية التي أَلِفتُها سابقًا. كل ذلك ولَّد لي قناعة تامة لا يداخلها شك من أنه تهيئة وتحضير لي للقيام بخدمة القرآن وحده، خدمة صافية لا شائبة فيها، بل إنني على قناعة تامة من أن المضايقات التي يضايقونني في أغلب الأوقات، والعنت الذي أرزح تحته ظلمًا، إنما هو لدفعي

(١) سيرة ذاتية، ج٩ص٦ (بتصرف).

– بيد عناية خفية رحيمة – إلى حصر النظر في أسرار القرآن دون سواه، وعدم تشتيت النظر وصرفه هنا وهناك. وعلى الرغم من أنني كنت مغرمًا بالمطالعة، فقد وهبت لروحي مجانبةً وإعراضًا عن أي كتاب آخر سوى القرآن الكريم. فأدركت أن الذي دفعني إلى ترك المطالعة –التي كانت تسليتي الوحيدة في مثل هذه الغربة– ليس إلا كون الآيات القرآنية وحدها أستاذًا مطلقًا لي»[(١)].

وقد بالغ بعض طلابه في مدحه والثناء عليه، يقول أحدهم: «إنَّ لأستاذنا ما لا يُعد ولا يُحصى من خوارق الأحوال، وفي مقدمتها رسائل النور، نعم إننا نعترف أن أستاذنا كان يقرأ خواطر قلوبنا، أدق وأكثر منا، وكثيرًا ما كان ينبهنا إليه، ثم ننتبه، نسأل الله أن يحضرنا مع أستاذنا بديع الزمان وكنز العلوم والعرفان، وعلامة العصر الذي نشر حقائق الإيمان والقرآن»[(٢)].

عقيدة الأستاذ النورسي:

أَسَّسَ أتباع بديع الزمان النورسي جماعة النورسية، وهي جماعة دينية إسلامية تنتسب لأهل السنة، وهي أقرب في تكوينها إلى الطرق الصوفية منها إلى الحركات المنظمة، «ركز مؤسسها على الدعوة إلى حقائق الإيمان، والعمل على تهذيب النفوس؛ مُحْدِثًا تيارًا إسلاميًا، في محاولة منه للوقوف أمام المد العلماني الماسوني الكمالي، الذي اجتاح تركيا عقب سقوط الخلافة العثمانية، واستيلاء كمال أتاتورك على دفة الحكم فيها. وهذه الجماعة لم تُعن بنشر عقيدة السلف والتوحيد الخالص بين أتباعها وبين عوام المسلمين ممن

(١) الكلمات، ج١ ص٤٨٤.

(٢) سيرة ذاتية، ج٩، مقدمة الكتاب.

يحتاجون إلى تصحيح عقائدهم قبل شغلهم بأمور أخرى، بل تبنت عقيدة الماتريدية التي كانت تُدعَم من قبل الدولة العثمانية، فلم تحاول التخلص من هذه العقيدة البدعية، وسلكت الجماعة طريق التربية، وعملت على حفظ الإيمان في النفوس، وعليه فإنها تُشَبّه بالطرق الصوفية من بعض الوجوه»[١].

والماتريدية:»من الطوائف التي في أقوالها حق وباطل ومخالفة للسنة، ومعلوم أن هذه الطوائف تتفاوت في مدى القرب والبعد من الحق، فإن كل من كان أقرب إلى السنة كان أقرب إلى الحق والصواب. فمنهم من يكون قد خالف السنة في أصول عظيمة، ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة»[٢].

رسائل النور والتفسير الإشاري:

للعقيدة الصوفية أثر قوي في تفسير القرآن وتدبره، وقد أكد الباحث سلوك النورسي الطريقة الصوفية، وهذه الطريقة لها أسلوبها ومنهجها في تأملاتها القرآنية، وتتصف بسلوك المنهج الإشاري في فهم القرآن الكريم، وقد يفسر أتباعها القرآن بمعاني تخالف منهج السلف، وقد يوردون شرحًا لكلمات القرآن بألفاظ ليست من معهود لغة العرب، وإن كانت المعاني المذكورة صحيحة في الغالب، يقول الزرقاني: «تكلم السادة الصوفية على المعاني الباطنة، وغالب ما تكلموا فيه من إرجاع المعاني في الآيات إلى التوحيد الصِّرف، والتعظيمات الإلهية، والنعوت الربانية»[٣].

---

(١) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، ج١ ص٣٢٨- ٣٣٣، (بتصرف).

(٢) الماتريدية، ص٥١٠.

(٣) الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ج٧ ص٣٦٣.

والتفسير الإشاري: «هو تأويل القرآن بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك والتصوف، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضًا، وقد اختلف العلماء في التفسير المذكور، فمنهم من أجازه ومنهم من منعه»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ﴾ [البقرة:١٧]، يقول النورسي: «وأما ﴿أَضَآءَتۡ﴾ فإشارةٌ إلى أن الإيقاد للاستنارة لا للاصطلاء، وفيه رمز إلى شدة الدهشة، وأما ﴿مَا حَوۡلَهُۥ﴾ فإشارةٌ إلى إحاطة الدهشة من الجهات الأربع، وإلى لزوم التحفظ بالإضاءة عن هجوم الضرر عن الجهات الست»[2].

ومن أمثلة تفسير النورسي للآيات، ويبين تأثره بالفكر الصوفي، ما ذكره في «المكتوب الأول» باسمه سبحانه ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ جواب مختصر عن أربعة أسئلة: السؤال الأول: هل سيدنا الخضر عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على قيد الحياة؟ فإن كان على قيد الحياة، فَلِمَ يعترض على حياته عدد من العلماء الأجلاء؟ الجواب: إنه على قيد الحياة، إلا إن للحياة خمس مراتب، وهو في المرتبة الثانية منها، ولهذا شك عدد من العلماء في حياته. الطبقة الأولى: هي حياتنا نحن، التي هي مقيدة بكثير من القيود. الطبقة الثانية من الحياة: هي طبقة حياة سيدنا الخضر وسيدنا إلياس عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، والتي فيها شيء من التحرر من القيود، أي يمكنهما أن يكونا في أماكن كثيرة في وقت واحد، ... ويروي أهل الكشف والشهود من الأولياء بالتواتر حوادث واقعة عن هذه

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن، ج٢ ص٧٨.
(٢) إشارات الإعجاز، ج٥ ص١٢٧.

الطبقة، فهذه الروايات تثبت وجود هذه الطبقة من الحياة وتنورها، حتى إن في مقامات الولاية مقامًا يُعبر عنه بمقام الخضر، ...إلخ»[١].

ويعتمد كثير من الصوفية على مفهوم الظاهر والباطن للآيات القرآنية، وهو ما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في حديث مرسل قوله: **(لكل آية ظهر وبطن، ولكل حرف حد، ولكل حد مُطَّلَع)**[٢]، وبين العلماء المقصود بالظاهر والباطن على أوجه، وذكر السيوطي[٣] عددًا منها:

أ - أنك إذا بحثت عن باطنها، وقِسْته على ظاهرها، وقفت على معناها.

ب - أنه ما من آية إلا عمل بها قوم، ولها قوم سيعملون بها.

ج - أن ظاهرها لفظها، وباطنها تأويلها.

د - الظاهر التلاوة، والباطن الفهم.

هـ - أن ظهرها ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي اطلع عليها أرباب الحقائق.

والحد: المنتهى فيما أراد الله من معناه، وقيل: أحكام الحلال والحرام، أما المطلع: الإشراف على الوعد والوعيد، وقيل: لكل غامض من المعاني والأحكام مُطلع يُتَوصل بها إلى معرفته، ويوقف على المراد به.

---

(١) المكتوبات، ج٢ص ٥و٦ (بتصرف). ويلاحظ أن هذا النموذج حافل بالعبارات والمصطلحات الصوفية، وما لا دليل عليه من كتاب أو سنة، والله أعلم.

(٢) رواه أبو عبيدة في فضائل القرآن، ج١ ص٢٧٧ برقم٨٢، وهو حديث مرسل، إسناده صحيح إلى الحسن.

(٣) الإتقان في علوم القرآن، ج٦ ص٢٣١١ إلى ٢٣١٣ (بتصرف).

ولا شك أن هذه الأوجه تؤكد ضرورة معرفة المعنى الصحيح للكلمات القرآنية، والاعتماد على طرق التفسير عند السلف، بدءًا من تفسير القرآن بالقرآن، وسنة الرسول صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وأقوال الصحابة والتابعين، ولغة العرب، كما هو دأب المفسرين المقبولين، ومن سار على هديهم، ولكن يلاحظ أن رسائل النور تخلو غالبًا من هذه الطرق التفسيرية المعتبرة، والواجب ألا يَغْفل عن هذه الطرق مَن تكلم عن الآيات القرآنية، أو كتب في التفسير، حتى يسلم من الخطأ والانحراف في فهم كلام الله، ولذلك يقول السيوطي: «قال بعض العلماء: لكل آية ستون ألف فهم، فهذا يدل على أن في فهم معاني القرآن مجالًا رحبًا ومُتَسعًا بالغًا، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس ينتهي الإدراك فيه بالنقل، والسماع لا بد منه في ظاهر التفسير ليُتَّقى به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم والاستنباط، ولا يجوز التهاون في حفظ التفسير الظاهر، بل لا بد منه أولًا، إذ لا يُطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ومن ادعى فهم أسرار القرآن ولم يُحكم التفسير الظاهر؛ فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يجاوز الباب»(١).

وقد اجتهد النورسي في استنباطاته وتأملاته القرآنية، وحرص على تجنب ما يخالف التفسير الصحيح، وهو أيضًا يُقَدِّر اجتهادات علماء التفسير، وكان «ينتقد مسلك المفسرين الذين حاولوا أن يُميلوا ظاهر الآيات لتوافق مذهب الفلاسفة»(٢). ومن آرائه الفكرية نحو كتاب الله: « أن القرآن كنز عظيم لا ينفد،

(١) الإتقان في علوم القرآن، ج٦ ص٢٣١٤.

(٢) اللمعات، ج٣ص١٠٤.

وأن كل عصر يأخذ حظه من حقائقه الخفية، وهو لا يعني إلقاء ظل الشبهة على ما بينه السلف الصالح من حقائق القرآن الظاهرة. ومن زعم غير ذلك فهو صديق أحمق، يفسد أكثر مما يصلح، أو أنه عدو ذو دهاء شيطاني يريد صد الأحكام الإسلامية، ومعارضة الحقائق الإيمانية، وإثارة الشبهات حولها»[(١)].

وخلاصة القول أن التفسير الإشاري المعتمِد على المعنى الباطن، إذا كان يستنبط من القرآن ما هو غير جارٍ على اللسان العربي، أو ما يخالف المعلوم من الدين بالضرورة، فلا يُقبل، ولا يعتبر من التفسير، وينبغي التنبه له، لأنه لا بد من صحة المدلول، و«المعنى الباطن لا يكفي فيه الجريان على اللسان العربي وحده، بل لا بد فيه مع ذلك من نور يقذفه الله تعالى في قلب الإنسان، يصير به نافذ البصيرة سليم التفكير، ومعنى هذا أن التفسير الباطن ليس أمرًا خارجًا عن مدلول اللفظ القرآني، ولهذا اشترطوا لصحة المعنى الباطن شرطين أساسيين: أولهما: أن يصح على مقتضى الظاهر المقرر في لسان العرب، بحيث يجري على المقاصد العربية، وثانيهما: أن يكون له شاهد نصًا أو ظاهرًا في محل آخر يشهد لصحته من غير معارض»[(٢)].

ضوابط في دراسة رسائل النور:

توجد جوانب إشراقية كثيرة عن التدبر في رسائل النور، ورغم ذلك فهناك الكثير من الملاحظات التدبرية التي تحتاج إلى مراجعة وتنبيه، وعلى قُرَّاء رسائل النور أن يتنبهوا لتلك الملاحظات والمؤاخذات، التي تخالف ما

(١) المكتوبات، ج٢ص ٥٠٠ (بتصرف يسير).

(٢) التفسير والمفسرون، ج٢ ص٣٥٨.

اتفق عليه علماء التفسير والاستنباط، وصولًا للحق، وحمايةً أن يقال في كلام الله ما ليس بحق.

والمستحسن لمن يقرأ في رسائل النور أن يتزود بالأصول العامة التي اتفقت عليها الأمة في تفسير القرآن الكريم، وأن يتعرف على أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وعلى المآخذ التي قد توجد لدى المفسرين، ليتجنبها. ومن الواجب أيضًا: التعرف على شروط الاستنباط من القرآن، لتصحيح مسار التدبر؛ «ومن هذه الشروط: صحة الاعتقاد، ومعرفة التفسير الصحيح، والعلم باللغة العربية، ومعرفة المناهج المخالفة للمنهج الصحيح، وسلامة المعنى المُستنبَط من معارِض شرعي راجح، وأن يكون بينه وبين اللفظ ارتباط صحيح، وأن يكون مما للرأي فيه مجال»[(١)].

ويلاحظ في رسائل النور قلة الرجوع إلى كتب اللغة والتفسير، وضعف العناية بالتفسير بالمأثور عن الصحابة والتابعين، ولذا كان التوسع أحيانًا في القول بالإشارات، والدخول في تأويل ظاهر الآيات عن معناها الحقيقي إلى معنى باطني، لا صلة لفظية أو معنوية بها، ومن ذلك ما ذكره النورسي عند قوله تعالى: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(٢)] [الأحزاب:٣٣]، وفي تدبره لهذه الآية، يشير إلى نظرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعالم الغيب المستقبلي الذي لا يعلمه إلا الله، ويذكر قولًا لم يَرِد فيه نص صريح، ولا حديث صحيح، بقوله: «من حِكَمه التي تتعلق بالرسالة: أن الرسول

(١) منهج الاستنباط من القرآن الكريم، ص١٩٩ إلى ٢٨١، (بتصرف).

(٢) في التفسير: «الرِجْسُ» اسم يقع على الإثم وعلى العذاب، وعلى النجاسات والنقائص، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت» تفسير ابن عطية، ج٧ص١١٧.

الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد رأى بنظر النبوة الأنيس بالغيب، النافذ إلى المستقبل، أنه بعد نحو ثلاثين أو أربعين سنة، ستقع فتن عظيمة في صفوف الصحابة والتابعين»[1].

ومن المهم في التدبر الرجوع لتحريرات أهل اللغة العالمين بها، والاستفادة من تفاسير السلف المعتمدة على الصحيح من أسباب النزول، والخالية من الشبهات والأقوال المبتدعة أو المؤولة. ففي سورة الفاتحة: ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، لم يُشِر إلى مفهوم الصراط في القرآن والسنة، ولا عند أهل اللغة، يقول النورسي: «الصراط المستقيم هو العدل الذي هو ملخص الحكمة والعفة والشجاعة، اللاتي هي أوساطٌ للمراتب الثلاث للقوى الثلاث. توضيحه: أن الله عَزَّوَجَلَّ لما أسكن الروح في البدن المتحول، المحتاج، المعروض للمهالك، أودع لإدامتها فيه قوًى ثلاثًا. إحداها: القوة الشهوية البهيمية الجاذبة للمنافع، وثانيتها: القوة الغضبية السبعية الدافعة للمضرات والمخرِّبات، وثالثتها: القوة العقلية الملكية المميزة بين النفع والضر»[2].

كما يلاحظ في تلك الرسائل إيرادها لبعض المصطلحات والآراء الصوفية التي لا تعتمد على نص شرعي أو دليل صحيح، كقوله: «إن ابن عربي يعد مسألة وحدة الوجود أرفع مرتبة إيمانية، حتى إن قسمًا مِن أولياءَ عظامَ من أهل العشق اتبعوه في مسلكه»[3]، وقوله أيضًا: «أما وحدة الشهود فلا ضرر

(١) اللمعات، ج٣ص١٣١.

(٢) إشارات الإعجاز، ج٥ص٣٠.

(٣) اللمعات، ج٣ص٥٦.

فيها، وهي مَشْرَب عالٍ لأهل الصحو»[1]. وقوله: «إن قراءة المولد النبوي وقصيدة المعراج عادة إسلامية حسنة، ونافعةٌ جدًا»[2]، والواجب تقييد جميع جوانب التدبر بما ورد في الشرع، وتوخِّي الحذر من الوقوع في المبتدَعات والأقوال الباطلة، وذلك لأن «اتباع ما ورد في الشرع وعدم الابتداع، هو أصل أصيل من أصول أهل السنة والجماعة، وهذا عام في جميع العبادات، وهو في التدبر آكد»[3].

وهناك بعض الضوابط، التي تُفتقد فيمن يقتصر على التفسير الإشاري في التدبر، وينبغي استحضارها ومراعاتها في تدبر وفهم القرآن[4]، ومن ذلك ما يلي:

أ- جمع الآيات القرآنية أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها.

ب- جمع الأحاديث النبوية الثابتة أو بعضها ذات العلاقة بالآية المراد فهمها وتدبرها.

ج- الرجوع إلى أقوال العلماء عند تدبر الآيات.

د- معرفة مدلولات ألفاظ الكلمة القرآنية.

ه- مراعاة السياق التي وردت به اللفظة والجملة القرآنية.

---

(١) اللمعات، ج٣ص٥٩.

(٢) المكتوبات، ج٢ص٣٨٤.

(٣) تدبر القرآن الكريم، ص٨٣.

(٤) مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا، ص٣٦٦ إلى ٣٧٣ (بتصرف).

و- معرفة أسباب النزول تعين على فهم النص القرآني.

ز- معرفة الناسخ والمنسوخ يعين على فهم القرآن فهمًا دقيقًا.

ح- التجرد من الأهواء والتصورات والنظريات السابقة.

المبحث الثالث:
الدعوة للتدبر في رسائل النور

تحوي رسائل النور نداءات متعددة تدعو المسلمين إلى تدبر القرآن، وتحث المستفيدين من رسائل النور إلى أن يرجعوا إلى القرآن ويتدبروه، ويتفكروا في إرشاداته ودلالاته، وأن يستفيدوا من آيات القرآن كما استفاد الأستاذ بديع الزمان، وهي دعوة لجميع طلابه، ولمن يقرأون في رسائل النور، وأن يرجعوا إلى المصحف الشريف يتأملوا في سوره وآياته، وأن يستفيدوا من المنهج الذي سار عليه الأستاذ النورسي، وهو التدبر في القرآن وفهم معانيه.

والأستاذ النورسي يُصرِّح بمفهوم التدبر، ويُورِدُه في رسائله، ويبين أنه ضروري لبني الإنسان، ويؤكد على أن طريق القرآن الكريم هو أقصر وأقرب وأشمل طريق إلى الله، وإلى معرفته، ولبلوغ هذه المعرفة؛ «هناك أربع وسائل: الإلهام، والتعليم، والتزكية، والتدبر»[(١)].

ولابد من ترك الإلف والعادة في النظر إلى الكون والكائنات، واستحضار التدبر في الآيات القرآنية، يقول النورسي: «الألفة -التي هي أخت الجهل المركب وأم النظر السطحي-، هي التي عصَّبت عيون المبالغين، ولا يفتح تلك العيون المعصوبة إلا أمر القرآن الكريم بالتدبر، والتأمل في الآفاق والأنفس المألوفتين. نعم، إن نجوم القرآن الثاقبة هي التي تفتح الأبصار، وترفع ظلام الجهل وظلمات النظرة العابرة، إذ تمزق الآيات البينات بيدها

(١) المثنوي العربي النُّورى، ج٦ ص٤١٧

البيضاء حجاب الألفة والنظرَ السطحي، وأستار التشبث بالظاهر المحسوس، فتوجّه العقول وترشدها إلى حقائق الآفاق والأنفس»[١].

وكان النورسي يجاهد نفسه لكي يتدبر القرآن، ويتأمل في معانيه، ويقول عن تجربته في ذلك: «بِتُّ في مجاهدة مستديمة مع روحي ووجداني، انفردت إلى عالمي الروحي رافعًا شعار: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة، صرفت كل همي ووقتي إلى تدبر معاني القرآن الكريم، ...، وفي هذه الأثناء تولَّدَت من صميم قلبي معانٍ جليلة، نابعة من فيوضات القرآن الكريم»[٢].

وكان يهتم بالتفكر، و«اعلم أن التفكر يذيب نور الغفلة الباردة الجامدة»[٣]، ويتفكر في الآيات، وذكر عن نفسه أنه «سلك مسلك التفكر، وبحث عن سر (تفكر ساعة خير من عبادة سنة)[٤]»[٥].

فمما يخاطب به طلابه، توضيحه لمقامات ووظائف القرآن، والتي تستلزم دوام التأمل والتفكر، وهو يقول لكل منهم: «اعلم أنك قد تفهَّمت من الدروس السابقة أن القرآن الذي جاء من خالق هذه السماوات والأجرام العلوية، وهذه الأرض والموجودات السفلية، ويُعرّف لنا رب العالمين له مقامات ووظائف....، - فالقرآن - هو للإنسان كما أنه كتاب شريعة، كذلك

(١) صيقل الإسلام، ج٨ص٥٧.

(٢) الشعاعات، ج٤ص٥١٤.

(٣) المثنوي العربي النوري، ج٦ص٢٥٦.

(٤) مصنف ابن أبي شيبة ج٧ص١٩٠، والإمام أحمد في الزهد ج١ص١٣٩ .

(٥) سيرة ذاتية، ج٩ص٢٠٨

كتاب حكمة، وكما أنه كتاب دعاء وعبودية، كذلك هو كتاب أمر ودعوة، وكما أنه كتاب ذكر كذلك هو كتاب فكر»[١].

فمن دعوته للتدبر: ذكر بعض خصائص القرآن ووظائفه، التي تبين أنه ثروة متجددة عبر العصور والأزمان، يقول النورسي لطلاب النور: «إن القرآن الكريم كنز عظيم لا ينفَد، وإن كل عصر يأخذ حظه من حقائقه الخفية التي هي من قبيل التتمات، مع التسليم بنصوص القرآن ومحكماته، من دون أن يتعرض أو يمس ما خفي من الحقائق من حظ أهل العصور الأخرى»[٢].

وهو يدعو إلى التدبر حتى يستفيد القارئ من القرآن فائدة شاملة، فهو ليس مجرد كتاب يحوي قصصًا وأخبارًا، بل هو كلام رب العالمين، الذي يحتاج منا المزيد من العناية والاهتمام، ويتطلب الحرص على فهم المعاني، كما أن القراءة السريعة الخالية من روح التدبر، ستكون فائدتها قليلة أو معدومة، وذلك لأن «النظرة السطحية العابرة لا تستطيع أن ترى ما يورده القرآن الكريم من حقائق ذات أهمية»[٣].

وفي رسائل النور يدعو النورسي المثقفين وغير المثقفين، في كل عصر ومصر، للعيش في رحاب الإيمان، والأخذ من مائدة القرآن، لأن «القرآن يدعو جميع طبقات الجن والإنس إلى الإيمان، ويعلم جميعهم علوم الإيمان، ويثبتها لهم جميعًا، ولذا يستمع إلى درس القرآن وإرشاده أغبى الأغبياء من

(١) المثنوي العربي النُّوري، ج٦ص٨٤.
(٢) المكتوبات ج٢ص٤٩١.
(٣) الشعاعات، ج٤ص٢٩٢.

عامة الناس، مع أخص الخواص جنبًا إلى جنب متكاتفين معًا. أي إن القرآن مائدة سماوية، تجد فيها آلافٌ من مختلف طبقات الأفكار والعقول والقلوب والأرواح غذاءهم، كل حسب ما يشتهيه ويلبي رغباته، حتى إن كثيرًا من أبواب القرآن ظلت مغلقة لِتُفتح في المستقبل من الزمان»[(١)].

وهو يبين لتلاميذه أن مما يساعد على تدبر القرآن أسلوبه السهل الميسر لكل فكر ولكل عقل، مهما كان مستواه الثقافي، «أما بيان القرآن في الإفهام والتعليم فهو خارق وذو لطافة وسلاسة، حتى إن أبسط شخص عامي يفهم بتلك البيانات أعظم حقيقة وأعمقها بيسر وسهولة. نعم إن القرآن يرشد إلى كثير من الحقائق الغامضة، ويُعلِّم الناسَ إياها بأسلوب سهل وواضح، وبيان شافٍ يراعي نظر العوام، من دون إيذاء لشعور العامة، ولا إرهاق لفكر العوام، ولا إزعاج له، فكما إذا حاور إنسان صبيًا فإنه يستعمل تعابير خاصة به، كذلك الأساليب القرآنية والتي تُسَمَّى بالتَنَزُّلات الإلهية إلى عقول البشر، خطاب ينزل إلى مستوى مدارك المخاطبين، ....، فمثلا: الآية الكريمة ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾ [طه:٥]، تبين الربوبية الإلهية وكيفية تدبيرها لشؤون العالم في صورة تمثيل وتشبيه لمرتبة الربوبية، بالسلطان الذي يعتلي عرشه ويدبر أمر السلطة»[(٢)].

وفي دعوته للتدبر: كان النورسي يربط الآيات بالواقع الذي يعيشه الناس، «فسارعوا إلى العمل الجاد، واسعوا سعيًا حثيثًا كي تحولوا الأرض

(١) الكلمات، ج١ص٤٤٩.
(٢) الكلمات، ج١ص٤٤٧.

إلى ما يشبه حديقةً صغيرةً غَنَّاء، تجولون فيها وترون جهاتها كلها، وتسمعون أحداثها وأخبارها من كل ناحية منها، غير ناسين وظيفة عبوديتكم، تدبروا الآية الكريمة: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [الملك:١٥]، وهكذا نرى كيف تُومِئُ الآية الكريمة المتصدرة لهذا المثال إلى إثارة همة الإنسان وبعث اهتماماته»[(١)].

والنورسي في رسائله يحث طلابه على عدم إضاعة أوقاتهم، وحصر اهتماماتهم في وظيفتهم المقدسة، وخدمتهم لكتاب الله، «وألا ينشغلوا فيما الْتَهى به أهل الضلالة، الذين يكافحون في سبيل حياة دنيوية مؤقتة، فهم لا يتنازلون -ببلاهتهم- ويربأون بأنفسهم عن التدخل في مسائلنا العظمى، فلِم نتتبع بلهفة مسائلهم الصغيرة على حساب وظيفتنا المقدسة؟، «تدبروا في هذه الآية الكريمة: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾، بمعنى أن ضلال الآخرين لا يضر هدايتكم، فلا تنشغلوا بها»[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [البقرة:٧٤]، ذكر أن في السياق القرآني حقائق ثلاث عن تلك الأحجار الصَمَّاء، هذه الحقائق هي تفجر الأنهار منها، وخروج الماء بعد تَشَقُّقِها، وهبوطها من خشية الله، يقول النورسي: «تدبروا في لطافة بيان القرآن العظيم، وفي إعجاز بلاغته الرفيعة،

(١) الكلمات، ج١ ص٢٨٤.

(٢) الملاحق، ج٧ ص٢٣٤، بتصرف.

كيف يبين طرفًا وجزءًا من هذه الحقائق الثلاث المذكورة، هي حقائق جليلة وواسعة جدًا، يبينها في ثلاث فقرات، وفي ثلاث حوادث مشهورة مشهودة، وينبه إلى ثلاث حوادث أخرى لتكون مدار عبرة لأولي الألباب، فانظر كيف لُبِسَت هذه الحقائق الثلاث حُلل البلاغة الجميلة، ودقِّق النظر في بلاغة الإرشاد لترى مدى القساوة والغلظة التي تملك القلوب ولا تنسحق خشيةً أمام ذلك الإرشاد البليغ»[(١)].

وعند قوله تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقرة:٣١]، يقول النورسي: «تأمل في خاصية المعجزة الكبرى التي هي خاصية الناطقية، التي هي خاصية الإنسانية، وهي الأدب والبلاغة، ثم تدبر في أن أعلى ما يُرَبِّي روح البشر، وألطف ما يُصَفِّي وجدانه، وأحسن ما يُزَيِّن فكره، وأبسط ما يُوسِّع قلبه، إنما هو نوع من الأدبيات، ولأمر ما ترى هذا النوع أبسط الفنون، وأوسعها مجالًا، وأنفذها وأشدها تأثيرًا، وألصقها بقلوب البشر حتى كأنه سلطانها، فتأمل»[(٢)].

ويدعو إلى استحضار القلوب، وإعداد الأذهان للتصديق، من خلال صنع الله في هذا الكون، وربط ذلك بما يحدث يوم القيامة، يقول النورسي: «فإن القرآن الكريم قد يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة، كي يعدَّ الأذهان للتصديق، ويُحضِّر القلوب للإيمان بأفعاله المعجزة في الآخرة، أو أنه يصور الفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة بشكل نقنع ونطمئن إليه بما نشاهده من نظائرها العديدة، فمثلًا: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ

---

(١) الكلمات، ج١ ص٢٧٥.

(٢) إشارات الإعجاز، ج٥ ص٢٣٦.

﴿أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾ [يس: ٧٧]، هنا في قضية الحشر، يثبت القرآن الكريم ويسوق البراهين عليها، بسبع أو ثماني صور مختلفة متنوعة، إنه يقدم النشأة الأولى أولًا، ويعرضها للأنظار...»[(١)].

ولم يكتف الأستاذ بالدعوة القولية للتدبر في الآيات المتلوَّة، بل كان يمارسها ميدانيًا، ويدعو للتفكر في الآيات المنظورة في الكون، يقول أحد طلابه: «كان الأستاذ يرتقي التِّلال التي تشرف على مدينة إسبارطة ليشاهد فيما حواليها من مناظر الفطرة ومشاهد الطبيعة، وكانت الطريق مكسوة بأشجار الفواكه وخاصة العنب، فيمسك الأستاذ بعنقود منها، دون أن يقطعه، ويعد حباته مبينًا لنا ما فيه من بدائع الصنعة الإلهية والإتقان الرباني، فيقول: انظروا وتأملوا في حلويات القدرة الإلهية هذه، فكان يعلمنا بهذا كيف نفكر في مخلوقات الله المبثوثة في معرض الله، وهكذا كنا نتلقى دروسًا إيمانية في التدبر، وفق منهج القراءة في كتاب الكون المفتوح أمامنا»[(٢)].

....

(١) الكلمات، ج١ص١٢١.

(٢) سيرة ذاتية، ج٩ص٥٩٨.

المبحث الرابع:
مجالات التدبر في رسائل النور

القرآن حمَّال أوجه، وذو اتجاهات عديدة، مناسبة لكل زمان ومكان، وملائمة للأحوال والظروف، وفيه الهداية لكل المشكلات والأزمات، ويبين النورسي أن العلماء «قد اتفقوا جميعًا أنَّ لكل آية كريمة وجوهًا عدة للإرشاد، وجهات كثيرة للهداية»[(١)].

إن مجالات تدبر القرآن لا حصر لها، فالمسلم يُعْمِل ذهنه، ويفكر في السور وآياتها، وينظر في الكلمات وحروفها، ويستنبط المعاني التدبرية بحسب ما لديه من خلفيات ثقافية وعلمية ولغوية، ويكون الاستنباط منضبطًا بضوابطه المعروفة، ويتوج ذلك بسؤال العلماء، والرجوع إلى كتب أهل العلم، لئلا يقع في تحميل معاني القرآن ما لا تحتمل، أو القول على الله بغير علم.

ومن خلال التدبر في الآيات القرآنية، ذكر النورسي أن «رسائل النور قد حلَّت أكثر من مائة من أسرار الدين والشريعة والقرآن الكريم[(٢)]، ووضحتها وكشفتها، وألْجمت أعتى المعاندين الملحدين وأفحمتهم، وأثبتت بوضوح كوضوح الشمس ما كان يُظن بعيدًا عن العقل من حقائق القرآن»[(٣)].

الأستاذ النورسي يشير إلى أنه لا حصر لمجالات التدبر في القرآن، فهو تبيان لكل شيء، وشامل لكل خير، «والقرآن الكريم فيه جميع ما يلزم السعادة

(١) الكلمات، ج١ ص٢٨٠.
(٢) لم يذكر في هذا الموضع أي سر من هذه الأسرار المائة.
(٣) الملاحق، ج٧ ص ٢٣٥.

الدنيوية والأخروية»[1]. ومن المجالات التي أشار إليها النورسي في رسائله، ما يلي:

١ – تقرير عقيدة التوحيد:

ومن التدبر في رسائل النور؛ مناقشة وحدانية الله وإفراده بالعبادة، والرد على الملحدين، والذين يشركون مع الله غيره، وسرد المواقف والقصص، لتقرير عقيدة التوحيد، ونفي الشرك. وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص:١]، يقول النورسي في تدبره: «إن التجَلِّي الأعظم للفردية قد طَبع على وجه الكون كله طابعًا مميزًا للتوحيد، وختمًا واضحًا للوحدانية، وضوحًا حول الكون كله بحكم الكل الذي لا يقبل التجزئة مطلقًا، بحيث إن مَن لا يقدر على أن يتصرف في الكون كله لا يمكن أن يكون مالكًا مُلكًا حقيقيًا لأي جزء منه»[2]، ومفهوم التفرد والوحدانية «واضح وضوح الشمس، فهو مقبول في الأعماق إلى حد السهولة المطلقة، وهو مستساغ عقلًا ومنطقًا إلى حدِّ الوجوب والبداهة، وبعكسه الشرك المنافي لذلك التجَلِّي، فهو مُعقَّد إلى أقصى حدود التعقيد، وغير منطقي إطلاقًا»[3].

والتعلق بالقوة العظمى لا يعدِلها شيء، يقول النورسي: «أجل، إن الوحدانية والتفرد تجعل كل شيء منتسبًا ومستندًا إلى الذات الإلهية الواحدة، ويصبح هذا الانتساب والاستناد قوة لا حد له لذلك الشيء، حتى يمكنه أن

(١) الكلمات، ج١ص٢٩٤.
(٢) اللمعات، ج٣ص٤٩٠.
(٣) اللمعات، ج٣ص٤٩٤.

ينجز من الأعمال الجسيمة، ويولد من النتائج العظيمة ما يفوق قوته الذاتية ألوف المرات»[1].

والمسلم بما أودع الخالقُ في فطرته من إيمان بالله وباليوم الآخر، يتدبر في ملكوت السماوات والأرض من خلال القرآن، يقول النورسي: «فإن القرآن الكريم قد يذكر من أفعال الله الدنيوية العجيبة والبديعة، كي يُعِدَّ الأذهان للتصديق، ويَحُضَّ القلوب للإيمان بأفعاله المعجزة في الآخرة. أو أنه يصور الأفعال الإلهية العجيبة التي ستحدث في المستقبل والآخرة، بشكل نقْنَع ونطمئن إليه بما نشاهده من نظائرها العديدة، فمثلًا: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾ إلى آخر سورة يس.. هنا في قضية الحشر، يثبت القرآن الكريم ويسوق البراهين عليها بسبع أو ثماني صور مختلفة متنوعة»[2].

٢- الأسماء الحسنى ومعانيها:

وللأسماء الحسنى في رسائل النور إشارات تدبرية كثيرة، وخصوصًا حين ورودها في ختام الآيات المباركات، يقول النورسي: «فالقرآن الكريم يذكر في أكثر الأحيان قسمًا من الخلاصات والفذلكات[3] في خاتمة الآيات، فتلك الخلاصات إما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها، وإما أنها تحيل قضاياها إلى العقل، وتحثه على التفكر والتدبر فيها، أو تتضمن قاعدة كلية من

(١) اللمعات، ج٣ص٤٩٥.

(٢) الكلمات، ج١ص١٢١.

(٣) فذلكات، جمع فذلكة، وهي مجمل ما فصل وخلاصته (انظر معجم تاج العروس)

مقاصد القرآن فتؤيد بها الآية وتؤكدها، ففي تلك الفذلكات بعضُ إشارات من حكمة القرآن العالية، وبعض رشاشات من ماء الحياة للهداية الإلهية، وبعض شرارات من بوارق إعجاز القرآن»(١).

ويبين النورسي علاقة تلك الأسماء الحسنى بالعبارات القرآنية، ومتدبرا في معناها الإجمالي، «فالقرآن الحكيم ببيانه الإعجازي، يبسط الآثار وأفعال الصانع للنظر، ثم يستخرج منها الأسماء، أو ثبوت الحشر، أو التوحيد، كأمثال: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ... وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة:٢٩]، وقول: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ ... إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾﴾ [النبأ:٦-١٧]. وكذا ينشر للبشر منسوجات صنعه ثم يطويها في الأسماء، أو الحوالة على العقل كأمثال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ... فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ﴾ [يونس٣١-٣٢]، و﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ... لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة١٦٤]، وكذا يفصِّل أفاعيله ثم يجملها بأسمائه أو بصفته، كأمثال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ ...إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف٦]، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ... إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ [آل عمران٢٦]، ....، وكذا قد يَعُد عجائب أفعاله تعالى، ليُعِدَّ الذهن ويُحضِّره لقبول خوارق أفعاله الأخروية، أو يَذْكُر أفعاله الاستقبالية الأخروية، بصورة تشير إلى نظائرها المشهودة لنا كأمثال: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ ... وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس:٧٧-٨١]، ...، وكذا قد يذكر مقاصد جزئية ثم

(١) الكلمات، ج١ ص٤٧٨.

يقررها ويحققها بأسماء هي كالقواعد الكلية كأمثال: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة:١]»[١].

ويقول النورسي: «إن الآية القرآنية ١٤الشورى:١١، قد أوقفت وكفت وردت على تصورات العقول البشرية، بقصورها ومحدوديتها لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى...، والآية بحد ذاتها، إشارة إلى أن المسألة أجل وأعظم من أن تترك للأمزجة والخيالات والعقول القاصرة لكي تخوض فيها، وترى فيها رأيها من غير هُدًى يهديها من الله الذي هو أعلم بنفسه، وأعلم بخلقه»[٢].

٣- اتباع المصطفى صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنته المطهرة :

ومن مجالات التدبر في رسائل النور ما يتعلق بالرسول الخاتم، نبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعند قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٢٨﴾ [التوبة: ١٢٨]، وعند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال النورسي: «سنبين إحدى عشرة نكتة دقيقة، بيانًا مجملًا، من بين مئات المسائل الدقيقة التي تتضمنها هاتان الآيتان العظيمتان»[٣]. ومن هذه النكت التي بينها ما يلي:

(١) المثنوي العربي النوري، ج٦ ص٤٤٦ إلى ص٤٤٩، بتصرف.
(٢) المثنوي العربي النوري، ج٦ص١٦.
(٣) اللمعات، ج٣ص٧٣.

«النكتة الأولى: اتباع السنة المطهرة لهو حتمًا ذو قيمة عالية، ولا سيما اتباعها عند استيلاء البدع وغلبتها...، النكتة الخامسة: تعلن هذه الآية العظيمة إعلانًا قاطعًا عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها...، النكتة السادسة: بعد أن كَمُلت قواعد الشريعة الغرَّاء ودساتير السنة المطهرة وأخذت تمام كمالها، فإن عدم استحسان تلك الدساتير بمحدثات الأمور، أو إيجاد البدع التي تشعر كأن تلك القواعد ناقصة - حاشا لله - ضلال ليس له مستقر إلا النار...، النكتة السابعة: إن السنة النبوية المطهرة في حقيقة أمرها لهي أدب عظيم... إلخ»(١).

وفي تدبره لقوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال النورسي: «هذه الآية صريحة في معناها من أن الصحابة الكرام هم أفضل بني الإنسان بعد الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ، لما يتحلَّون به من سجايا سامية، ومزايا راقية، وفي الوقت نفسه تبين ما تتصف به طبقات الصحابة في المستقبل من صفات ممتازة مختلفة، خاصة بهم، كما تبين بالمعنى الإشاري(٢)- لدى أهل التحقيق - إلى ترتيب الخلفاء الذين سيخلفون مقام النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته، فضلًا عن إخبارها عن أبرز صفة خاصة بكل منهم مما اشتهروا به(٣)».

ويحث على اتباع السنة والعمل بها، ويقول مخاطبًا نفسه: «فيا نفس: إن كنتِ حقًا تريدين أن تنالي عملًا أخرويًا خالدًا في عُمرٍ قصير؟ وإن كنتِ حقًا

(١) اللمعات، ج٣ ص ٧٣-٧٧ (بتصرف).

(٢) التفسير الإشاري المفتقر إلى دليل، ليبين صحة المدلول.

(٣) المعات، ج٣ص٤٠.

تريدين أن ترَيْ فائدةً في كل دقيقة من دقائق عمرك كالعمر الطويل؟ وإن كنتِ حقًا تريدين أن تُحَوِّلي العادة إلى عبادة، وتُبَدِّلي غفلتك إلى طمأنينة وسكينة؟ فاتبعي السنة النبوية الشريفة»[(١)].

٤- علاج القرآن للشبهات والأوهام:

ومن مجالات التدبر في رسائل النور الإشارة إلى علاج القرآن لكل الأمراض والشبهات، وإزالة الأوهام والأفكار السلبية، يقول النورسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلا شك أن صيدلية[(٢)] القرآن المقدَّسة زاخرةٌ بعلاج كل مرض من أمراضكم، ودواء كل سُقْم من أسقامكم، فإذا استطعت مراجعتها بالإيمان، وقمتم بالتداوي والعلاج بالعبادة، فلا بد أن تخف وطأة ما تحملون على كاهلكم من أثقال»[(٣)].

وفي رسائل النور «رد شبهات أعداء الدين الذين يبخسون الإسلام حقه، بإظهار الطريق المستقيم الذي عليه الإسلام، ودفع أوهام أهل الإفراط والغلو»[(٤)].

وفي ميدان معرفة الله والخالق الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعارض النورسي منهج علماء الصوفية، وطريقة علماء الكلام، ومسلك الفلاسفة، لأن فيها الشبهات والأوهام، المُؤَسَّسَة على فكر البشر، ويختار المعراج الرباني المبني

(١) الكلمات، ج١ص٤١٤.
(٢) عبارة: صيدلية القرآن، قد لا تكون مناسبة.
(٣) اللمعات، ج٣ص٣٤٦.
(٤) صيقل الإسلام، ج٨ص٢٢.

على الدليل والبرهان، وفيه بيان أن «جميع الآيات الكريمة التي تعدد منافع الأشياء، تومئ إلى هذا الدليل، وتنظم هذا البرهان، ...، وإظهار المصالح المتعلقة بسلسلة الموجودات بوساطة العلوم، وبيان فوائد الثمرات المتدلية منها، وإبراز الحكم والفوائد، يشهد شهادة صادقة على قصد الصانع الحكيم ويشير إليه، ويطرد شياطين الأوهام كالنجم الثاقب»[(١)]. ثم يستشهد النورسي بقوله تعالى: ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾ [الملك:٣]، ويقول: «كلا، فالمبصر لا يرى نقصًا، إلا إن كان أعمى البصر والبصيرة، أو مصابًا بقصر النظر! فإن شئت فراجع القرآن الكريم، تجد دليل العناية بأكمل وجه في وجوه الممكنات، لأن القرآن الكريم الذي يأمر بالتفكر في الكون، يعدد أيضًا الفوائد ويُذَكِّر بالنعم الإلهية، فتلك الآيات الجليلة مظاهر لهذا البرهان»[(٢)].

٥ – التحذير من شياطين الإنس والجن :

ومن مجالات التدبر في رسائل النور، ما يتعلق بالشيطان ووسوسته، وإشارات إلى بعض الأدوية العلاجية لداء الوسوسة، وفي قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨]، يقول النورسي: «بينما أنت تناجي ربك في الصلاة بخشوع وتضرع وحضور قلب، مستقبلًا الكعبة المعظمة، إذا بتداعي الأفكار هذا يسوقك إلى أمور مشينة مخجلة لا تعنيك بشيء، فإذا كنت يا أخي مُبْتَلى

(١) صيقل الإسلام، ج٨ص١١٣.
(٢) صيقل الإسلام، ج٨ص١١٤.

بتداعي الأفكار، فإياك إياك أن تقلق أو تجزع، بل عُد إلى حالتك الفطرية حالما تنتبه لها»[1].

ويشير النورسي إلى أحابيل ودسائس شياطين الإنس والجن، ويحذر أهل القرآن منها، كي لا تصرفهم عن العمل بالقرآن، أو تُعِيقَهم عن العمل للقرآن، وعند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، يحذر خصوصًا من حب الجاه والشهرة، يقول النورسي: «يحاول شياطين الإنس، بما استوحوه من شياطين الجن، أن يخدعوا خُدَّام القرآن، ويصرفوهم عن ذلك العمل المقدس، وذلك الجهاد المعنوي الرفيع، وذلك بتزيين حب الجاه والشهرة لهم، ....، فهذا الشعور هو في غاية الخطورة على أهل الآخرة، وهو في منتهى الإثارة والنشوة لأهل الدنيا، فضلًا عن أنه منبع كثير من الأخلاق الرذيلة»[2].

٦ – العبادات الإسلامية:

ومن المجالات التي أولاها النورسي تدبرًا: أركان الإسلام المتمثلة في العبادات، ففي قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، يقول النورسي: «اعلم أن العبادة هي التي ترسخ العقائد، وتصيرها حالًا وملَكة، إذ الأمور الوجدانية والعقلية إن لم تنمِّها وتربِّها بالعبادة، التي هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي، تكن آثارها وتأثيراتها ضعيفة، وحال الإسلام (العالم الإسلامي) الحاضرة شاهدة، واعلم أيضًا أن العادة سبب

(١) الكلمات، ج١ ص٣٠٦.

(٢) المكتوبات، ج٢ ص٥٢٣.

لسعادة الدارين، وسبب لتنظيم المعاش والمعاد، وسبب للكمال الشخصي والنوعي، وهي النسبة الشريفة العالية بين العبد وخالقه»[١].

أ – الصلاة:

فمن تدبره في موضوع الصلاة، يقول النورسي: «فإن شئت إلى مثال واحد من بين ألوف الأمثلة على محاسن العبودية التي جاء بها النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو: أن النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ يوحد بالعبادة قلوب الموحدين في صلاة العيد والجمعة والجماعة، ويجمع ألسنتهم جميعًا على كلمة واحدة، ...، بحيث يظهر الجميع عبوديةً واسعةً جدًا إزاء عظمة ألوهية المعبود الحق، فكأن كرة الأرض بِرُمَّتها هي التي تنطق بذلك الذكر، وتدعو بذلك الدعاء، وتصلي لله بأقطارها، وتمتثل بأرجائها الأمر النازل بالعزة والعظمة من فوق السماوات السبع: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣]»[٢].

ومن تدبره لسورة الفاتحة، يقول النورسي: «وأنا أتلو: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، نظرت إلى قوافل البشرية الراحلة إلى الماضي، فرأيت أن ركب الأنبياء المُكْرَمين والصديقين والشهداء والأولياء والصالحين، أنورُ تلك القوافل وأسطعُها، حتى إن نوره يبدد ظلمات المستقبل، إذ إنهم ماضون في جادة مستقيمة كبرى تمتد إلى الأبد، وإن هذه الجملة تبصرني طريق اللحاق بذلك الركب الميمون، بل تلحقني به. فقلت: يا سبحان الله! ما أفدح خسارة، وما أعظم هلاك من ترك الالتحاق بهذه القافلة

(١) إشارات الإعجاز، ج٥ص١٤٤.

(٢) اللمعات، ج٣ص١٧٨.

النورانية العظمى، والتي مضت بسلام وأمان وأزالت حجب الظلمات، ونورت المستقبل. إن من يملك ذرة من شعور لا بد أن يدرك هذا، وإن من ينحرف عن طريق تلك القافلة العظمى بإحداث البدع، أين سيلتمس النور ليستضيء، وإلى أين سيسلك؟ فلقد قال قدوتنا الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»[١]، فالذين استحقوا أن يُطلق عليهم اسم علماء السوء، أولئك الشقاة، أية مصلحة يجدونها إزاء هذا الحديث في فتوى يفتونها، يعارضون بها بديهيات الشعائر الإسلامية، بما فيه ضرر ومن غير ضرورة، ويرون أن تلك الشعائر قابلة للتبديل!»[٢].

ب- الصيام:

وفي عبادة الصيام، يتكلم النورسي عن رسالة رمضان، والحِكَم التي تخص صيام شهر رمضان، يقول تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ويقول: «إن أكثر الحِكَم المُتَمَخِّضَة عن صوم رمضان؛ تتوجه إلى إظهار ربوبية الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، ولصوم رمضان حِكَمًا كثيرة من حيث توجهه إلى تهذيب النفس الأمارة بالسوء، وتقويم أخلاقها، وجعلها تتخلى عن تصرفاتها العشوائية، إن العالم الإسلامي في رمضان المبارك يتحول إلى ما يشبه المسجد، ويا له من مسجد عظيم تعُجُّ كل زاوية من زواياه، بل كل ركن من أركانه، بملايين الحفاظ

(١) رواه مسلم، في كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ولفظه: (وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة).

(٢) المكتوبات، ج٢ ص٥٠٠.

للقرآن الكريم، يرتلون ذلك الخطاب السماوي على مسامع الأرضيين، ويظهرون بصورة رائعة براقة مصداق الآية الكريمة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾»[1].

ج-الزكاة و الصدقة:

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③﴾ [البقرة: ٣]، يقول النورسي: «كما أن الصلاة عماد الدين وبها قوامه، كذلك الزكاة قنطرة الإسلام وبها التعاون بين أهله، أي الزكاة جسر يغيث المسلمُ أخاه المسلم بالعبور عليها، إذ هي الواسطة للتعاون المأمور به، بل هي الصراط في نظام الهيئة الاجتماعية لنوع البشر، ...، وفي وجوب الزكاة، وحرمة الربا، حكمة عظيمة، ومصلحة عالية، ورحمة واسعة»[2].

وفي ميدان الصدقة يبين النورسي متدبراً قوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ③﴾ [البقرة: ٣]، بقوله: «فهيئات هذه الآية تشير إلى خمسة شروط[3] لقبول الصدقة: المستفاد من (من) التبعيضية في لفظ {مِمَّا}، أي لا يبسط المتصدق يده كل البسط، فيحتاج إلى الصدقة، ...، والمستفاد من لفظ (نا) {رزقنا}، أي لا يَمُنُّ فيستكثر، أي لا مِنَّة لكم في التصدق، فأنا أرزقكم، وتنفقون من مالي على عبدي، ....، والمستفاد من {رزقناهم}، أي يكون التصدق باسم الله، أي المال

(١) المكتوبات، ج٢ص٥٠٦، بتصرف.

(٢) إشارات الإعجاز، ج٥ص٥٠ (بتصرف).

(٣) هذه مجالات للصدقة، وليست شروطًا لقبول الصدقة، والله أعلم.

مالي، فعليكم أن تنفقوه باسمي، ومع هذه الشروط هناك تعميم في التصدق، إذ كما أن الصدقة تكون بالمال، تكون بالعلم أيضا، وبالقول والفعل والنصيحة كذلك، وتشير إلى هذه الأقسام كلمة (ما) التي في ﴿مِمَّا﴾ بعموميتها، وتشير إليها في هذه الجملة بالذات، لأنها مطلقة تفيد العموم»[(١)].

د- الحج لبيت الله الحرام:

وعن الحج يقول النورسي: «كذلك الحاج، مهما كان من العوام، فهو متوجه إلى ربه الجليل بعنوان رب العالمين، فهو مشرف بعبودية كلية، فلا بد أن المراتب الكلية للربوبية التي تفتح بمفتاح الحج، وآفاق عظمة الألوهية التي تشاهد بمنظار الحج، ودوائر العبودية التي تتوسع في قلب الحاج وخياله، كلما قام وأدّى مناسك الحج»[(٢)].

وفي موضع آخر، يبين النورسي العلاقة بين تكبيرات عيد الأضحى المبارك تتعالى، ويوم القيامة، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تُرى ما وجه العلاقة بين الآخرة وهذه الكلمة المقدسة (الله أكبر)، فتذكرت فورًا أن هذه الكلمة مع الكلمات الطيبات الباقيات الصالحات: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله)، وأمثالها من كلمات شعائر الإسلام، تُذكِّر بلا شك بالآخرة، سواءً بصورة جزئية أو كلية، وتشير إلى تحقيقها»[(٣)].

(١) الكلمات، ج١ ص٤٢٧ (بتصرف).

(٢) الكلمات، ج١ ص٢١٨.

(٣) الشعاعات، ج٤ ص٢٧٦.

واجتماع خمس البشرية في صعيد واحد، إشارة إلى حشر الناس يوم العرض الأكبر، يقول النورسي: «إن أحد أوجه معاني (الله أكبر) هو: أن قدرة الله وعلمه، هي فوق كل شيء، وأكبر وأعظم من كل شيء، فلن يخرج أي شيء كان من دائرة علمه، ولن يهرب من تصرفه وقدرته، ...، فهو أكبر من أي شيء نعجب به، ومن أي شيء خارج نطاق عقلنا، إذ يقول سبحانه: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، فصراحة هذه الآية الكريمة تبين أن حشر البشرية ونشرهم جميعًا سهل وهين على القدرة الإلهية، كإيجاد نفس واحدة»[١].

.....:::::::::.....

(١) الشعاعات، ج٤ ص٢٧٦.

المبحث الخامس:
أساليب التدبر في رسائل النور

تحوي رسائل النور الكثير من الأساليب التي تشير إلى كيفية التدبر، وتعين عليه، ونشير إلى بعض هذه الأساليب، ومنها تكرار تلاوة الآيات، والعناية بمقاصد القرآن، وحسن الاستماع للقرآن، والاستفادة من منهج السلف الصالح، والتعرف على إعجاز القرآن.

١ - تكرار تلاوة الآيات:

مما يعين على التدبر واستيعاب الحقائق القرآنية، أن يكرر القارئ النظر في الآيات القرآنية، والتأمل في معانيها، وإعادة قراءتها المرة بعد المرة، ولمَّا كان الأسلوب القرآني يخاطب طبقات متباينة، ومسلمين ذوي خلفيات متعددة، ومن بقاع شتى، فإنه يكرر حقائق الدين، ليتكرر تلاوتها وتستوعبها الأذهان المتباينة، ويركز القرآن خصوصًا على حقيقة توحيد الله وإفراده بالعبادة، والإيمان بيوم البعث، «بل لا تنقطع الحاجة إلى تكرار تلاوتها في القرآن الكريم، حيث ليس هناك أهم ولا أعظم مسألة في الوجود من التوحيد والآخرة»[١].

ولتثبيت هذه العقيدة في النفوس تكررت الآيات الدالة على ذلك، واحتاج الأمر إلى أن يكرر المسلم الآيات، وخاصة تلك التي يتجاوب معها

(١) الشعاعات، ج٤ص٢٩٤.

قلبه، وتلامس واقعه، حتى تؤثر فيه ويستفيد منها، وللتكرار فوائد كثير ومنافع جمة، يقول النورسي: «اعلم أن القرآن لأنه كتاب ذكر وكتاب دعاء، وكتاب دعوة، يكون تكراره أحسن وأبلغ بل ألزم، إذ الذكر يُكرَّر، والدعاء يُردَّد، والدعوة تُؤكد، إذ في تكرير الذكر تنوير، وفي ترديد الدعاء تقرير، وفي تكرار الدعوة تأكيد»[١].

والتكرار لأي مادة أو معلومة يصيب النفوس عادةً بالملل، وتكرار قراءة الكتب البشرية لا تحتملها الأذهان، لكن تكرار قراءة كلام الله تستلذه النفوس، وله أثر عجيب وروحانية فريدة، ويؤكد النورسي ذلك بقوله: «إن القرآن الكريم قد أظهر عذوبةً وحلاوة، ذات أصالة وحقيقة، بحيث إن التكرار الكثير، المسبب للسآمة حتى من أطيب الأشياء، لا يورث المِلال عند من لم يفسد قلبه ويبلد ذوقه، بل يزيد تكرار تلاوته من عذوبته وحلاوته، وهذا أمر مسلم به عند الجميع منذ ذلك العصر، حتى غدا مضرب الأمثال»[٢]. ويقول أيضًا: «فاعلم أنه: كما أن القرآن بمجموعه قوتٌ وقوة للقلوب لا يُملّ على التكرار، بل يُستحلى على الإكثار منه، كذلك في القرآن ما هو روح لذلك القوت، كلما تكرر تلألأ، وفارت أشعة الحق والحقيقة من أطرافه»[٣].

ويضرب النورسي مثالًا لتكرار كلمة قرآنية، هي {الظَّالمين} وأثرها في النفوس المتدبرة: يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كثرة تكراره: { الظَّالمين }، وزجره العنيف

(١) المثنوي العربي النُّوي، ج٦ ص٨٤.
(٢) الشعاعات، ج٤ ص١٦٧.
(٣) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ج٥ ص٣٧.

لهم، وإنذاره الرهيب من نزول مصائب سماوية وأرضية بذنوبهم ومظالمهم، فيلفت الأنظار بهذا التكرار، إلى مظالم لا نظير لها في هذا العصر، بعرضه أنواعًا من العذاب والمصائب النازلة على قوم عاد وثمود وفرعون؛ وفي الوقت نفسه يبعث السلوان والطمأنينة إلى قلوب المؤمنين المظلومين، بذكر نجاة رسل كرام، أمثال إبراهيم وموسى عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ»(١).

٢ - العناية بمقاصد القرآن:

مقاصد السور القرآنية هي موجز مختصر لموضوعاتها، ودليل لقضاياها الكبرى، وهي من مفاتيح التدبر، وكثيرًا ما يشير إليها النورسي، ويبين أهميتها لفهم القرآن، جاء في رسائل النور: «إن أغلب السور المطولة والمتوسطة - التي كل منها قرآن على حدة - لا تكتفي بمقصدين أو ثلاثة من مقاصد القرآن الأربعة، وهي: التوحيد، النبوة، الحلال والحرام، العدل مع العبودية، بل كل منها يتضمن القرآن كلها، والمقاصد الأربعة معًا»(٢). ويذكر النورسي في موضع آخر: «فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، قد تتجلّى في سورة سورة»(٣).

ويرى النورسي أن أكثر المقاصد القرآنية مبثوثة في عدد من سور القرآن، وفي ذلك مراعاة لاختلاف الناس في قراءتهم وتدبرهم لكلام الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اعلم أن القرآن خطاب ودواء لجميع طبقات البشر، من أذكى الأذكياء إلى أغبى الأغبياء، ومن أتقى الأتقياء إلى أشقى الأشقياء، ومن الموفقين

(١) الكلمات، ج١ ص٥١٩.
(٢) الشعاعات، ج٤ ص٢٩٤.
(٣) إشارات الإعجاز، ج٥ ص٢٣.

المُجِدِّين الفارغين من الدنيا إلى المخذولين المتهاونين المشغولين بالدنيا، فإذن لا يمكن لكل أحد في كل وقت قراءةُ تمام القرآن، الذي هو دواء وشفاء لكل أحد في كل وقت، فلهذا أدرج الحكيم الرحيم أكثر المقاصد القرآنية في أكثر السور، لا سيما الطويلة، حتى صار كل سورة قرآنًا صغيرا، فسهّل السبيل لكل أحد، وينادي مشوقًا: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ [القمر: ١٧]»[(١)].

وأشار النورسي إلى أن الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ هو أفضل من بيَّن المقاصد في القرآن، وهو مرجع أساس في توضيح تلك المقاصد، «وأنه هو كذلك – بالبداهة– أحسن من كشف بحقائق القرآن عن مغزى القصد من تحولات الكائنات والغاية منها، وأكمل من حل اللغز المحير في الموجودات، وهو أسئلة ثلاثة معضلة: من أنت؟ ومن أين؟ وإلى أين؟ فلبَّى إرادته سبحانه في الكشف عن ذلك الطلسم المغلق لذوي الشعور بوساطة مبعوث. وأنه هو كذلك – بالبداهة–أكمل من بَيَّن المقاصد الإلهية بالقرآن الكريم، وأحسن من وضَّح السبيل إلى مرضاة رب العالمين، فلبَّى إرادته سبحانه في تعريف ما يريده من ذوي الشعور، وما يرضاه لهم»[(٢)].

ويبين النورسي لطلابه أهمية العناية بالمقاصد، ويضرب لهم مثلًا من نفسه، وعنايته بالتدبر والفهم لما يقرأ من آيات، يقول رَحِمَهُٱللَّهُ: «فقراءتي تختلف عن قراءتكم، فأنتم تقرؤون قراءة سطحية كقراءة الجرائد، ولكنني أقرأ مع فهم المعاني والمقاصد»[(٣)].

(١) المثنوي العربي النوري، ج٦ص٨٥.
(٢) المكتوبات، ج٢ص٢٦٢.
(٣) سيرة ذاتية، ج٩ص٥٩٧، في هذه العبارة تزكية للنفس، والتقليل من شأن الآخرين، وهذا لا يصح.

٣ – حسن الاستماع للقرآن:

الاستماع الحسن للقرآن، يكون بحضور القلب، والتفكر في الآيات والتأمل في معانيها، واستلهام التطبيقات العملية التي تطالب بها الآيات الكريمات، والتي هي مرسلة من رب العالمين للثقلين، يأمر عباده بما ينفعهم، وينهاهم عما يضرهم، فيستجيبون فيسعدون، وإن لم يذعنوا فيشقون، وعند قوله تعالى: ﴿يَمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٦]، يقول النورسي: «استمع لهذه الآيات وتدبر ما تقول؟ إنها تقول: أيها الإنس والجان، أيها المغرورون المتمردون، المتوحّلون بعجزهم وضعفهم، أيها المعاندون الجامحون، المُتَمَرِّغُون في فقرهم وضعفهم! إنكم إن لم تطيعوا أمري، فهيا اخرجوا من حدود ملكي وسلطاني إن استطعتم! فكيف تتجرؤون إذن على عصيان أوامر سلطان عظيم»[(١)].

وحسن الاستماع علامة حياة القلب، ودليل تجاوبه الإيماني مع الآيات القرآنية، وحسن الاستماع يُذَكِّر المسلم بما ينبغي عليه فعله، وما ينبغي عليه تركه، «فإذا أردت أن لا تبقى أشقى وأذل، وأحمق وأضل من جميع الحيوانات، فأنصت واستمع بسمع الإيمان، بشارة القرآن، بإعلان: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

(١) الكلمات، ج١ ص٤٢٩.

لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ [يونس: ٦٢-٦٤]»[١].

واستماع القرآن يحتاجه كل مسلم، ليتذوق ألفاظه عباراته، ويتأثر به ويعتبر بما يسمعه، وقد يكون أكثر فائدة لصنف من الناس، الذين لا يعرفون اللغة العربية، ومع ذلك يدركون إعجاز القرآن وتفرده عن غيره من الكتب، وهم «الذين يدركون الإعجاز بأسماعهم، إذ الشخص العامي - من عوام الناس- لا يستمع للقرآن إلا بإذنه، ولا يفهم إعجازه إلا بالسمع، أي أنه يقول: إن هذا القرآن الذي أسمعه لا يشبه أي كتاب آخر»[٢].

٤- الإفادة من تراث السلف وتفسيرهم للقرآن:

ومن الأساليب المعينة على تدبر القرآن، الاستفادة من منهج السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، من الصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، والتابعين الأبرار رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، فيما خلَّفوه من تراث عظيم، وكنوز علمية جمة، والرجوع إلى استنباطاتهم والإفادة من تدبراتهم، وهي مبثوثة في كتب التفسير بالمأثور، كتفسير الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتفسير الإمام إسماعيل بن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتفسير الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيرها، يقول النورسي: «لما كان القرآن يخاطب جميع الطوائف البشرية في كل وقت وحين، فهو يتضمن من المعاني المتنوعة، والوجوه الكثيرة الجامعة، ما يكون حظ كل طائفة في كل عصر من العصور، وإنَّ أصفى المعاني والوجوه، هي تلك التي بينها السلف الصالح بيانًا واضحًا»[٣].

(١) المنوى العربي النوى، ج٦، ص٣٥٤.

(٢) المتوبات، ج٢ص٥١٤.

(٣) المكتوبات، ج٢ص٤٩٣.

وحيث إن القرآن صالح لكل زمان ومكان، وتستفيد منه الأجيال تلو الأخرى، إلا أنه لا يمكن أن يُغفل تراث السلف الصالح من المفسرين وأهل اللغة العربية وغيرهم، يقول النورسي: «أهل الحق والعلم والتدقيق يقولون: إن القرآن كنز عظيم لا يَنْفَد، وإن كل عصر يأخذ حظه من حقائقه الخفية، التي هي من قبيل التتمات، مع التسليم بنصوص القرآن ومحكماته، ...، وحقًا إن حقائق القرآن تتوضح أكثر كلما مضى الزمان، ولا يعني هذا أبدًا إلقاء ظل الشبهة على ما بيَّنه السلف الصالح من حقائق القرآن الظاهرة، لأنها نصوص قاطعة وأسس وأركان لا بد من الإيمان بها. وقوله تعالى: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، يوضح أن معنى القرآن واضح مبين. فالخطاب الإلهي من أوله إلى آخره يدور حول تلك المعاني ويقويها حتى يجعلها بدرجة البداهة. لذا فإن رفض تلك المعاني المنصوص عليها يؤدي إلى تكذيب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ (حاش لله)، وإلى تزييف فهم الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (حاشاه)، ...، بمعنى أن المعاني المنصوص عليها قد استُقِيت من منبع الرسالة مسندة متسلسلة، حتى إن ابن جرير الطبري قد ألف تفسيره الكبير الجليل، مسنِدًا معاني القرآن جميعها إلى منبع الرسالة»(١).

وتدبر الفرد يكون لنفسه أولًا، ولكن نشره على الآخرين يحتاج إلى مؤكدات من أهل العلم والفهم، والرجوع إلى أهل التخصص في التفسير وعلوم القرآن، يقول النورسي: «لما كان القرآن جامعًا لأشتات العلوم، وخطبةً لعامة الطبقات في كل الأعصار، لا يتحصل له تفسير لائق من فهم الفرد، الذي

(١) المكتوبات، ج١ ص٤٩١.

قلما يخلص من التعصب لمسلكه ومشربه...، ولا يكون حجةً على الغير إلا بإجماع»[١].

إن التأكد من صحة التدبر وسلامة الاستنباط، تستلزم الرجوع إلى أهل الذكر، والاستناد على علم غزير، ينبثق من الوحي بمصدريه الكتاب والسنة، فمن أخذ بهذين المصدرين ورجع إليهما، كان تدبره على الجادة، وقدوته محمد بن عبدالله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أتى بالمحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا ينحرف عن منهجها إلا مكابر، ولا يستغني عن نورها إلا جاهل، لأن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى «جعل الإنسان يحتاج إلى شريعة إلهية حية خالدة، تحقق له سعادة الدارين معًا مادةً ومعنى، وتتوسع حسب قامة استعداداته ونموها، فالذي أتى بالشريعة هو النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٢].

والنورسي يؤكد أن أولياء الله الصالحين، هم أتباع السنة، كما هو منهج سلف الأمة، وهي الطريق الأجمل والألمع الموصلة إلى مرتبة الولاية، «لذلك فإن اتباع السنة المطهرة هو طريق الولاية الكبرى، وهو طريق ورثة النبوة من الصحابة الكرام والسلف الصالح»[٣]، وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣٠]، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تعلن هذه الآية العظيمة إعلانًا قاطعًا عن مدى أهمية اتباع السنة النبوية ومدى ضرورتها، نعم، إن هذه الآية الكريمة أقوى قياس وأثبتُه من قسم القياس الاستثنائي، ضمن المقاييس

(١) إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، ج٥ص١٩.

(٢) صيقل الإسلام، ج٨ص١٢٨.

(٣) المكتوبات، ج٢ص٥٧٣.

المنطقية، إذ يرِد على وجه المثال: إذا طلعت الشمس فسيكون النهار، ....، وكذلك الأمر في الآية الكريمة، فتقول: إن كان لديكم محبة الله، فلا بد من الاتباع لـ(حبيب الله)، وإن لم يكن هناك اتباع، فليس لديكم إذن محبة الله، فلا بد من الاتباع لحبيب الله، إذ لو كانت هناك محبة حقًا فإنها تولد حتمًا اتباع السنة الشريفة لـ(حبيب الله)، ...، الخلاصة: أن محبة الله تستلزم اتباع السنة المطهرة وتُنتجه، فطوبى لمن كان حظه وافرًا من ذلك الاتباع، وويل لمن لا يقدر السنة الشريفة حق قدرها، فيخوض في البدع»[1].

ويعتبر النورسي أن اتباع الهوى ومخالفة اجتهادات السلف الصالح من الابتداع، وفي تدبره لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، يقول النورسي: «إن الضروريات الدينية التي لا مجال فيها للاجتهاد لقطعيتها وثبوتها، والتي هي في حكم القوت والغذاء، قد أُهملت في العصر الحاضر وأخذت بالتصدُّع، فالواجب يحتِّم صرف الجهود، وبذل الهمم جميعًا لإحياء هذه الضروريات وإقامتها، حيث إن الجوانب النظرية للإسلام قد استثْرت بأفكار السلف الصالحين، وتوسعت باجتهاداتهم الخالصة، حتى لم تعد تضيق بالعصور جميعًا، لذا فإن ترك تلك الاجتهادات الزكية والانصراف عنها إلى اجتهادات جديدة اتباعًا للهوى، إنما هو خيانة مبتدعة»[2].

(١) -اللمعات، ج٣ص٧٦.
(٢) الكلمات، ج١ ص٥٥٤.

٥ - التعرف على إعجاز القرآن :

إن إعجاز القرآن لا ريب فيه، وله جوانب متعددة، ومجالات كثيرة، أهمها الإعجاز اللغوي، وقد أشار النورسي إلى ذلك في مواطن عديدة من رسائل النور.

وتشير رسائل النور إلى أن في التعرف على الإعجاز، توجيه لكل متدبر أن يستثمر معارفه الشخصية، ويستخرج من الآيات ما يناسب مجاله وتخصصه، يقول النورسي: «اعلم أن من لطائف إعجاز القرآن، ومن دلائل أنه رحمة عامة للكافة: أنه كما أن لكل أحد من العالم عالمًا يخصه، كذلك لكل باعتبار مَشربه من القرآن قرآنٌ يخصه ويربيه ويداويه. ومن مزايا لطف إرشاده: أن آياته مع كمال الانسجام وغاية الارتباط وتمام الاتصال بينها، يتيسر لكل أحد أن يأخذ من السور المتعددة آيات متفرقة لهدايته وشفائه»[(١)].

وأشارت رسائل النور إلى أن من أقوى طرق التعرف على الإعجاز: الفهم اللغوي، والبلاغة القرآنية، ومن هنا تتعدد المعاني، وتتفاوت الأذهان في التدبر، وعند قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾، يقول النورسي: «اعلم أن القرآن أرسل النظم، أي لم يعين بوضع أمارةٍ وجهًا من وجوه التراكيب، في كثير من أمثال هذه الآية، لسرٍ لطيف، هو منشأ الإيجاز الذي هو منشأ الإعجاز، وهو: أن البلاغة هي مطابقة مقتضى الحال، والحال أن المخاطبين بالقرآن على طبقات متفاوتة، وفي أعصار مختلفة، فلمراعاة هذه الطبقات، ولمجاراة هذه الأعصار، ليستفيد مخاطَب

(١) المثنوي العربي النوري، ج٦ ص٢٥٠.

كل نوع ما قُدِّر له من حصته، حَذَف القرآنُ في كثيرٍ للتعميم والتوزيع، وأطلق في كثيرٍ للتشميل والتقسيم، وأرسل النظم في كثيرٍ لتكثير الوجوه، وتضمين الاحتمالات المستحسنة في نظر البلاغة والمقبولة عند العلم العربي، ليفيض كل ذهن بمقدار ذوقه، فتأمل!»(١).

فمن التدبر النظر في الكون والمخلوقات، فهي تبين الإعجاز القرآني في أجلى صوره، يقول النورسي: «أما إجمال القرآن الكريم بعض المسائل الكونية وإبهامه في بعض آخر، فهو لمعة إعجاز ساطع، وليس كما توهَّمه أهل الإلحاد من قصور ومدار نقد»(٢).

وفي دراسة قصص الأنبياء، يتبين الإعجاز في الدروس والعبر المستفادة منها، والحث على التأمل في قصص الأنبياء ومعجزاتهم، لبناء الحضارة، وبذل الأسباب لنفع البشرية، «ومستندًا إلى أن التنزيل كما يفيدك بدلالاته ونصوصه، كذلك يعلمك بإشارته ورموزه، لَأَفهمُ من إشارات أستاذية إعجاز القرآن في قصص الأنبياء ومعجزاتهم، التشويق والتشجيع للبشر على التوسل للوصول إلى أشباهها. كأن القرآن بتلك القصص يضع إصبعه على الخطوط الأساسية ونظائر نتائج نهايات مساعي البشر، للترقي في الاستقبال الذي يُبنى على مؤسسات الماضي الذي هو مرآة المستقبل، وكأن القرآن يمسح ظهر البشر بيد التشويق والتشجيع قائلاً له: اِسْعَ واجتهد في الوسائل التي توصلك إلى بعض تلك الخوارق...، وإن شئت فانظر: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾، وإلى

(١) إشارات الإعجاز، ج٥ ص٥٣.

(٢) المكتوبات، ج٢ ص٢٥٢.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾، وإلى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾، وإلى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾، وإلى: ﴿وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ﴾، ثم تأمل فيما مخّضه تلاحق أفكار البشر واستنبطه من ألوف فنونٍ ناطقٍ كل منها بخواص وصفات وأسماء نوع من أنواع الكائنات، حتى صار البشر مظهر ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾، ثم فيما استخرجه فكر البشر من عجائب الصنعة من السكة الحديدية والآلة البرقية وغيرهما بواسطة تليين الحديد وإذابة النحاس، حتى صار مظهر ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ الذي هو أم صنائعه، وفيما أفرخه أذهان البشر من الطيارات التي تسير في يوم شهرًا حتى كاد أن يصير مظهر ﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ﴾»(١).

ومن تأمل القرآن في سبكه ونظمه، وتدبر في ألفاظه وعباراته ومعانيه، وعلم قوة إعجازه، واستحالة مجاراته، تبين له أن «إعجاز القرآن حفظ القرآن عن التحريف، فلا يتيسر لكلام مفسر أو مؤلف، أو مترجم، أو محرف وغيرهم، أن يلتبس بالآيات، أو يُلبِّس زيها، كما الْتبست واختلطت سائر الكتب المنزَّلة، حتى صارت مُحرَّفة»(٢).

والتعرف على إعجاز القرآن يعين كل متدبر على تلمس احتياجاته الشخصية، فيأخذها من القرآن، يقول النورسي: «اعلم أن من لطائف إعجاز القرآن، ومن دلائل أنه رحمة عامة للكافة: أنه كما أن لكل أحد من العالم

(١) إشارات الإعجاز، ج٥ ص٢٣٦.

(٢) المثنوى العربي النوري، ج٦ ص١٩٤.

عالَمًا يخصه، كذلك لكلٍّ باعتبار مشربه من القرآن، قرآن يخصه ويربيه ويداويه. ومن مزايا لطف إرشاده: أن آياته مع كمال الانسجام وغاية الارتباط وتما الاتصال بينها، يتيسر لكل أحد أن يأخذ من السور المتعددة آيات متفرقة لهدايته وشفائه، كما أخذها عموم أهل المشارب وأهل العلوم»[1].

٦ – الدعاء:

فهو وسيلة لجلب كل ما يحتاجه العبد المؤمن، «كما أن الإيمان يقتضي الدعاء، ويتخذه وسيلة قاطعة، ووساطةً بين المؤمن وربه، وكما أن الفطرة الإنسانية تتلهف إليه بشدة وشوق، فإن الله سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ أيضًا يدعو الإنسان إلى الأمر نفسه بقوله: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان: ٧٧]، وبقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، إن استجابة الدعاء شيء، وقبوله شيء آخر، فكل دعاء مستجاب، إلا أن قبوله وتنفيذ المطلوب نفسه، منوط بحكمة الله سبحانه»[2].

والدعاء طريق العابدين لنيل المرغوبات، والدعاء بالحمد والثناء، كما في أول آية من القرآن الكريم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾، «ورحمة الربوبية الواسعة، تتطلب أيضًا أن يظهر العبد حاجاته الخاصة وحاجات جميع المخلوقات وفقرَها، بلسان السؤال والدعاء، وأن يعلن إحسان ربه وآلائه العميمة، بالشكر والثناء والحمد، بقوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾[3]".

(١) المثنوى العربي النوري، ج٦ ص٢٥٠.
(٢) الكلمات، ج١ ص٣٥٦.
(٣) الكلمات، ج١ ص٤٠.

والدعاء بالتعوذ من صوارف التدبر، للانطلاق في فهم وتدبر القرآن، يقول النورسي: «ولذلك قلت: أعوذ بالله من الشيطان والسياسة، لكي أحافظ على نور القرآن، واعتصمت بكلتا يدي بذلك النور، ملقيًا مطرقة السياسة جانبًا، ...، وحمدًا لله فإنني بسبب تجردي عن التيارات السياسية لم أبخس قيمة حقائق القرآن، التي هي أثمن من الألماس»[١].

وكثيرًا ما كان النورسي يدعو طلابه لخدمة القرآن، ويحثهم على التضحية في سبيل ذلك، ويبين لهم ما كان يقوم به من قراءة وتدبر، ويثني على الله لتوفيقه لهذه النعمة، ومن أقواله: «الحمد لله، لقد قرأت اليوم هذا القدر فاستفدت كثيرًا، فاليوم انشرح صدري وتوسع إيماني كثيرًا.. أو يقول: سبحان الله! استفدت من هذه الرسالة استفادة جمة، حتى كأنني لم أرها من قبل أبدًا»[٢].

وطلب الاستعانة المشار إليها في سورة الفاتحة، دعاء للترقي في مدارج الكمال، «فيا أيها الإنسان العاجز الفقير! إياك أن تتخلَّى عن مفاتيح خزائن رحمة واسعة، ومصدر قوة متينة، ألا وهو الدعاء، فتشبَّث به لترتقي إلى أعلى علِّيي الإنسانية، واجعل دعاء الكائنات جزءًا من دعائك، ومن نفسك عبدًا كليًا، ووكيلًا عامًا بقولك: «﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، وكن أحسن تقويم لهذا الكون»[٣].

....

(١) سيرة ذاتية، ج٩ص٢٣٩.

(٢) سيرة ذاتية، ج٩ص٥٩٧.

(٣) الكلمات، ج١ص٣٥٨.

الخاتمة

أولاً- النتائج:

١. الأمة مطالبة بالسير على منهج رسولها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في وظيفة الدعوة إلى الله، ولذا استمر المصلحون والدعاة بجهود متوالية لنشر الدين والذب عنه، والأمة بحاجة ماسة للدعاة في كل زمان ومكان، وهذه الحاجة من أهم الحاجات الإنسانية.

٢. التدبر من النصيحة لكتاب الله، والقيام بحق من حقوق القرآن، وقراءة آية بتدبر خير من قراءة آيات بلا تدبر.

٣. لا يقتصر مفهوم التدبر على مجرد التلاوة، بل إنه يشمل تفهم الكلمات والعبارات والمعاني، ومباشرة الأعمال وتنفيذها، ومن التدبر الوقوف على الآيات والتفكر فيها.

٤. من أهمية التدبر أنه اقتداءٌ واتساءٌ بنبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي كانت سيرته مليئة بالمواقف التي تبين حسن تدبره لكتاب الله.

٥. يصرح الأستاذ النورسي بمفهوم التدبر، ويوردها في رسائله، ويبين أنه ضروري لبني الإنسان، ويؤكد على أن طريق القرآن الكريم هو أقصر وأقرب وأشمل طريق إلى الله، وإلى معرفته.

٦. تنوعت مجالات التدبر في رسائل النور للنورسي، وهي تنطلق من اعتقاد مؤلف الرسائل أن القرآن جامع لأشتات العلوم.

٧. رسائل النور تدعو المسلمين إلى تدبر القرآن، وتحث المستفيدين من رسائل النور إلى أن يرجعوا إلى القرآن ويتدبروه، ويتفكروا ما فيه من إرشادات ودلالات.

٨. من مجالات التدبر في رسائل النور مناقشة وحدانية الله وإفراده بالعبادة، والرد على الملحدين، وما يتعلق بالرسالة الإسلامية والنبي الخاتم، والإشارة إلى علاج القرآن لكل الأمراض والشبهات، وإزالة الأوهام والأفكار السلبية.

٩. تحوي رسائل النور الكثير من الأساليب التي تشير إلى كيفية التدبر، وتعين عليه، ومن هذه الأساليب تكرار تلاوة الآيات، والعناية بمقاصد القرآن، وحسن الاستماع للقرآن، والاستفادة من منهج السلف الصالح.

١٠. رغم كثرة الجوانب الجيدة عن التدبر في رسائل النور، إلا إنها لا تخلو من الملاحظات التدبرية التي تحتاج إلى مراجعة وتنبيه، وعلى قُرَّاء رسائل النور أن يتنبهوا لتلك الملاحظات والمؤاخذات، التي تخالف ما اتفق عليه علماء التفسير والاستنباط، وصولًا للحق، وحمايةً أن يقال في كلام الله ما ليس بحق.

ثانياً – التوصيات:

١. القيام بسرد تراث علماء الإسلام والدعاة والمصلحين، من مختلف أنحاء العالم، وعرض جوانب عنايتهم بتدبر القرآن الكريم.

٢. إجراء المزيد من الدراسات والرسائل العلمية في جوانب التدبر التي ذكُرت في رسائل النور.

٣. إبراز جوانب ومجالات تدبرية أخرى، من خلال الاستعراض المفصل والبحث الدقيق في رسائل النور.

٤. حث طلاب ومرتادي مجالس النور على التطبيق العملي لأساليب التدبر في رسائل النور، التي ذكرت في هذه الدراسة، من خلال اللقاءات النورانية التي يعقدونها.

٥. عرض حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تدبره للقرآن، ومقارنتها بالمجالات التدبرية المختلفة، التي تحويها رسائل النور.

٦. حصر المخالفات التدبرية في رسائل النور.

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، للحافظ السيوطي، أبي الفضل جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر، تحقيق مركز الدراسات القرآنية، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.

٢. أخلاق حملة القرآن، الآجري، أبوبكر محمد بن الحسين، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤١٢هـ.

٣. أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، الطبعة الثالثة، بغداد، دار البيان، ١٣٩٦هـ.

٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني، بيروت، دار الفكر، ١٤١٤ هـ.

٥. إعجاز القرآن وأبعاده الحضارية في فكر النورسي، عرض وتحليل، الدغامين، زياد خليل محمد، إزمير، دار النيل، ١٤١٩هـ.

٦. التبيان في آداب حملة القرآن، النووي، أبو زكريا يحي بن شرف، الطبعة الرابعة، تحقيق: محمد الحجار، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٧هـ.

٧. تدبر القرآن، السنيدي، سلمان بن عمر، الرياض، المنتدى الإسلامي، ١٤٢٢هـ.

٨. تدبر القرآن الكريم، التويجري، د. عبداللطيف بن عبدالله، الرياض، مكتبة دار المنهاج، ١٤٣٦ هـ.

٩. تعليم تدبر القرآن الكريم .. أساليب عملية ومراحل منهجية. إصدار خاص بمسابقة البحرين الكبرى الرابعة عشر لحفظ القرآن الكريم وتجويده وتفسيره، تأليف، الأهدل، د. هاشم بن علي، البحرين، وزارة العدل والشئون الإسلامية، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

١٠. تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)، ابن عطية الأندلسي، أبو محمد عبدالحق، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤٢٨هـ.

١١. التفسير والمفسرون، بحث تفصيلي عن نشأة التفسير، تطوره وألوانه ومذاهبه، الذهبي، الدكتور محمد حسين، القاهرة، ١٣٩٦هـ.

١٢. التكوين العقدي لشخصية المسلم، الجندي، د. محمد عبد الدايم، البحوث الإضافية، المؤتمر العالمي الأول لتدبر القرآن، قطر، الهيئة العالمية لتدبر القرآن الكريم، ١٤٣٤هـ.

١٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير الكريم المنان، السعدي، عبدالرحمن بن ناصر، قدم له فضيلة الشيخ عبدالله بن عقيل، وفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الرياض، مجلة البيان، د.ت.

١٤. جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي.

١٥. جامع البيان عن تأول آي القرآن، الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير، القاهرة، مركزهجر، ١٤٢٢هـ.

١٦. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، بيروت، دار الفكر، د.ت.

١٧. جوانب التربية الإسلامية، أ.د. مقداد يالجن، الرياض، دار المعارف، د.ت.

١٨. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني، الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٨٧هـ.

١٩. الخلاصة في تدبر القرآن الكريم، السبت، د. خالد بن عثمان، طبع بإشراف مركز تدبر للدراسات والاستشارات، ومؤسسة العلم والتأصيل، الرياض، دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٣٧هـ.

٢٠. الدعوة، العمار، أ.د. حمد بن ناصر، الرياض، كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع، ١٤٢٥هـ.

٢١. دعوة إلى تدبر القرآن الكريم.. كيف ولماذا؟ كمال، مختار شاكر، عَمَّان، دار البشير، ١٤١٥هـ.

٢٢. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي (٥٠٨-٥٩٧)، الطبعة الثالثة، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٤هـ.

٢٣. الزيادة والإحسان في علوم القرآن، بن عقيلة المكي، الإمام محمد بن أحمد (ت١١٥٠)، تحقيق فهد العندس وإبراهيم المحمود ومصلح السعدي وخالد اللاحم ومحمد حقي، الطبعة الثانية، الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية، ١٤٣٦هـ.

٢٤. الزهد، أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، رواية ابن الأعرابي عنه، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس، القاهرة، دار المشكاة، ١٤١٤هـ.

٢٥. الزهد، ابن المبارك، عبدالله بن المبارك المروزي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

٢٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، الطبعة الثانية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ.

٢٧. صحيح الإمام مسلم بشرح النووي، النووي، يحي بن شرف الدين (ت٦٧٦)، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٢هـ.

٢٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الشوكاني، محمد بن علي (ت١٢٥٥)، بيروت، محفوظ العسلي، د.ت.

٢٩. فضائل القرآن، الضريس، أبو عبدالله محمد بن أيوب. تحقيق: عروة بدير، دمشق، دار الفكر، ط ١٤١٨هـ.

٣٠. الفكر الأدبي والديني عند الداعية الإسلامي بديع الزمان النورسي، د. سمير رجب، الطبعة الثانية، القاهرة، مطبعة المدني، ١٤١٦هـ.

٣١. القاموس المحيط، الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب الشيرازي، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٨هـ.

٣٢. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، الميداني، عبدالرحمن حسن حبنكة، الطبعة الثانية، دمشق، دار القلم، ١٤٠٩هـ.

٣٣. كليات رسائل النور(١)، الكلمات، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٣٤. كليات رسائل النور(٢)، المكتوبات، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٣٥. كليات رسائل النور(٣)، اللمعات، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٣٦. كليات رسائل النور(٤)، الشعاعات، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٣٧. كليات رسائل النور(٥)، إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٣٨. كليات رسائل النور(٦)، المثنوي العربي النوري، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٣٩. كليات رسائل النور(٧)، الملاحق، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٤٠. كليات رسائل النور(٨)، صيقل الإسلام، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٤١. كليات رسائل النور(٩)، سيرة ذاتية، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٤٢. كليات رسائل النور(١٠)، الفهارس، النورسي، بديع الزمان سعيد، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، مكة المكرمة، دار لوامع الأنوار، ١٤٣٥هـ.

٤٣. كيف نتدبر القرآن، زمرلي، فواز أحمد، الطبعة الخامسة، بيروت، دار البشائر الإسلامية، ١٤٢٤هـ.

٤٤. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، بيروت، دار صادر، د.ت.

٤٥. الماتريدية.. دراسةً وتقويمًا، الحربي، د. أحمد عوض الله، الطبعة الثانية، الرياض، دار الصميعي، ١٤٢١هـ.

٤٦. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله، جمع: محمد الشويعر، الرياض، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٨هـ.

٤٧. مختصر قيام الليل للمروزي، المقريزي، أحمد بن علي، بيروت، مكتبة المنار، ١٤١٣هـ.

٤٨. مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة المقدسي، أبو العباس أحمد بن عبدالرحمن، تحقيق: عبدالحميد الدرويش، ١٤١٩هـ.

٤٩. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ.

٥٠. مفاتح تدبر القرآن والنجاح في الحياة، اللاحم، خالد بن عبد الكريم، الرياض، ١٤٢٥هـ.

٥١. مفتاح دار السعادة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، الرياض: الرئاسة العامة للإفتاء، د.ت.

٥٢. مفهوم التدبر: تحرير وتأصيل، (أوراق عمل الملتقى العلمي الأول لتدبر القرآن الكريم) الرياض، مركز تدبر للاستشارات التربوية والتعليمية، ١٤٣٠هـ.

٥٣. مقرر تدبر القرآن الكريم للدراسات العليا، رئيس فريق إعداد المنهج، العواجي، أ.د. محمد بن عبدالعزيز، مكة: دار طيبة الخضراء، ١٤٣٨هـ.

٥٤. مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد عبدالعظيم، القاهرة، دار الفكر، د.ت.

٥٥. منهج الاستنباط من القرآن الكريم، الوهبي، فهد بن مبارك، جدة، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، ١٤٢٨هـ.

٥٦. منهج السلف في العناية بالقرآن الكريم، البدر، د. بدر بن ناصر، بريدة، دار الضياء الخيرية، ١٤٢٨هـ.

٥٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة الجهني، د. مانع بن حماد، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، الرياض، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٨هـ.

مجلة تدبر

المحتوى

مجلة تدبر



البحث الرابع

ٱلْأَسَالِيبُ ٱلتَّرْبَوِيَّة لِلْوِقَايَةِ مِنْ ظَاهِرَةِ ٱلْمُبَاهَاةِ ٱلِاجْتِمَاعِيَّةِ فِي ضَوْءِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

د. عَبْدُ ٱلرَّحْمَنِ بْنُ عَلِي ٱلْجُهَنِيّ

الأستاذ المشارك بقسم التربية بكلية الدعوة وأصول الدين

بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

❁ حصل على درجة الدكتوراه من كلية الدعوة - قسم التربية بالجامعة الإسلامية بأطروحته: منهج التربية الإسلامية في بناء كفاءة الأداء في العمل وآثاره التنموية .

❁ حصل على درجة الماجستير من كلية الدعوة - قسم التربية بالجامعة الإسلامية بأطروحته: الحوافز في الإدارة المدرسية من منظور التربية الإسلامية .

النتاج العلمي: تدبر القرآن الكريم ودوره في تكوين المسؤولية المهنية لدى المعلم - واقع برامج التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية في ضوء أدوارهم المهنية المعاصرة - سمات المعلم المتميز كما يراها طلاب الدبلوم العام في التربية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - الكفايات اللازمة لمعلمي العلوم الشرعية (دراسة تأصيليّة).

البريد الإلكتروني: aljohani222@gmail.com

مجلة تدبر

مستخلص البحث

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى إبراز الأساليب التربوية للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم.

وقد استخدم الباحث المنهج الاستنباطي والمنهج الوصفي التحليلي لمناسبتهما لتحقيق أهداف البحث. وقد تكوَّن البحث من المباحث التالية:

تحرير مفهوم المباهاة الاجتماعية وأنواعها وصورها، وبيان الآثار المترتبة عليها، كما أظهر منهج القرآن الكريم في التحذير من المباهاة الاجتماعية، مع بيان الأساليب التربوية للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في القرآن الكريم، كما اشتمل البحث على أهم النتائج والتوصيات.

أهم النتائج:

أشار القرآن الكريم إلى جملة من الأساليب التربوية العظيمة من شأن التمسك بها وتطبيقها، المحافظة على السلوك الاجتماعي، والبعد عن المباهاة الاجتماعية والتفاخر المذموم.

أبرز التوصيات:

تقديم مشروع علمي تربوي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يهدف إلى رعاية السلوك الاجتماعي والرقي به وضبطه بالضوابط الشرعية، كما يهدف إلى التصدي للسلوكيات الاجتماعية

المنحرفة؛ كالمباهاة والتفاخر ونحوها، وفق آلية عمل واضحة ومتدرجة، ويتم تنفيذ هذا المشروع وتطبيقه عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والقنوات الفضائية وغيرها من المنابر الإعلامية.

الكلمات المفتاحية: المباهاة، التفاخر، الأساليب التربوية، أساليب القرآن الكريم.

المقدمة

❁ التمهيد:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من المشكلات الاجتماعية التي برزت في الوقت الحاضر، والتي تمثل بمجموع صورها وتنوع درجاتها ظاهرة اجتماعية هي: المباهاة والتفاخر بالنفس، والحسب، والنسب، والمال، والممتلكات، بالأقوال والأفعال، والسلوكيات المختلفة، حتى وصلت في بعض صورها حدودًا خطيرة وتجاوزًا كبيرًا للحدود الشرعية، والقيم الاجتماعية والدينية، لاسيما في ظل انتشار وسائل التواصل الاجتماعي وسهولة تداول ذلك من خلالها، وانتشاره على نطاق واسع، وقد حذر المختصون والكتّاب في مقالاتهم من هذه الظاهرة وخطورتها وأثرها على المجتمع من زوايا مختلفة؛ مما يدفعنا للبحث عن الحلول الناجعة للتصدي لهذه الظاهرة والوقاية منها.

ولا شك أن أقوم سبيل، وأنجع طريق في بناء المجتمعات ورقيها وتقدمها، ومعالجة مشكلاتها هو: تدبرُ كتاب الله عَزَّوَجَلَّ والعمل به، وجعلُه دستور الحياة كلها، فإن العصمة والنجاة فيما جاء في كتاب الله تعالى وسنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على تعاقب السنين واختلاف المجتمعات. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء: ٩].

وَعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ»[1].

ومن هنا تبرز أهمية البحث عن الأساليب التربوية للوقاية من هذه الظاهرة وتحجيمها والحدِّ منها، من خلال تدبر القرآن الكريم والتأمل في معانيه، فهو الشفاء من كل داء، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف: ٥٤].

«يخبر تعالى عن عظمة القرآن وجلالته وعمومه، وأنه صُرِّف فيه من كل مثل؛ أي: من كل طريق موصل إلى العلوم النافعة، والسعادة الأبدية، وكل طريق يعصم من الشر والهلاك، ففيه أمثال الحلال والحرام، وجزاء الأعمال والترغيب والترهيب، والأخبار الصادقة النافعة للقلوب، اعتقادًا وطمأنينة ونورًا، وهذا ما يوجب التسليم لهذا القرآن وتلقيه بالانقياد والطاعة، وعدم المنازعة له في أمر من الأمور»[2].

فإذا عدنا للمجتمعات المباركة في القرون الأولى ممن تربوا على هدي الكتاب والسنة، نجد حرص السلف الصالح رَحِمَهُمُ اللَّهُ تعالى على الابتعاد عن هذا الخلق الذميم والتحذير منه، سواء كانت المباهاة في المأكل والمشرب، أو الملبس، أو القول، أو الفعل، فعن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: «إني لَأَدَعُ كثيرًا من الكلام مخافة المباهاة»[3].

(١) سنن أبي داود، كتاب السنة باب في لزوم السنة «١٢ / ٢٣١» برقم «٤٥٩١» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير «١ / ٥١٦» برقم «٢٦٤٣».

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي «٥ / ٥٠ ».

(٣) الزهد، أحمد بن حنبل «١/ ٢٤٤».

وهذا ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في لفتة تربوية هامة يقول: «نُهِينا أن نجيب دعوة من يُباهي بطعامه. وكره جماعة من الصحابة أكل طعام المباهاة»(١).

وفي وصية تربوية عظيمة لإدارة شؤون الإنسان المادية يقول ابن الجوزي رَحِمَهُٱللَّهُ: «ومن البَلِية أن يُبَذِّر في النفقة ويباهي بها ليَكْمِد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر- لإصابته بالعين، وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه، وإنما التدبير حفظ المال، والتوسط في الإنفاق، وكتمان ما لا يصلح إظهاره»(٢).

وانطلاقًا من خطورة هذه الظاهرة على الأفراد والمجتمعات، ويقينًا بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ كانت هذه الدراسة للوقوف على أبرز الأساليب التربوية النافعة للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم، والتي يحسب الباحث أنها من أوائل الدراسات العلمية التي تناقش هذا الموضوع، وفق رؤية تربوية إسلامية، تنطلق من مصدرها الأول: كتاب الله تعالى.

أسأل الله أن يبارك في هذا العمل وينفع به، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وآله وصحبه.

---

(١) إحياء علوم الدين، الغزالي «٢/ ١٧».
(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي ص٤٢٣.

موضوع البحث وتساؤلاته :

يدور موضوع البحث حول الأساليب التربوية الواردة في كتاب الله تعالى للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية، ويجيب البحث على التساؤل الرئيس التالي:

ما الأساليب التربوية للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم؟

ويَتفرَّع عنه الأسئلة التالية:

١. ما مفهوم المباهاة الاجتماعية وما صورها؟

٢. ما منهج القرآن الكريم في التحذير من المباهاة الاجتماعية؟

٣. ما الأساليب التربوية الواردة في القرآن الكريم للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية؟

مشكلة البحث :

تدور إشكالية هذا البحث حول ظاهرة المباهاة الاجتماعية والمفاخرة بالقول والفعل والسلوك، وهي إحدى الظواهر الاجتماعية الخطيرة التي تهدد الأمن الاجتماعي وتماسك المجتمع واستقراره، وتأخذ هذه الظاهرة صورًا عدة، وأشكالًا مختلفة، تدور كلها حول معاني التباهي والتفاخر، والاعتداد بالنفس والمال والممتلكات، وكلها من المهلكات التي حذر الله تعالى منها في كتابه الكريم، لما تؤدي إليه من البطر، وكفر النعمة، والتبذير والإسراف،

والخُيَلاء والتعالي، وهي آفات تَوَعَّد الله تعالى عليها أشد العقوبات، وبين أنها من أسباب البلاء والهلاك للأفراد والمجتمعات.

وقد زاد من انتشار صور هذه الظاهرة وسائل التواصل الاجتماعي بأنواعها، لما تتميز به من سعة الانتشار، وسهولة الوصول، وخصائص الجذب، وعناصر التشويق.

والمتأمل في الواقع الاجتماعي يدرك حجم خطر هذه الظاهرة، وتأثيرها السلبي على المجتمع بأسره، لما فيها من مخالفة لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية، ولما تُحْدِثَه على المدى القريب والبعيد من آثار يصعب التخلص منها؛ كتعزيز السلوك الاستهلاكي، والنزعة الفردية، والأنانية وحب الذات، والانشغال عن العمل الجاد والتنمية الوطنية، وهدم قيم التربية الإسلامية واستجلاب أسباب عقاب الله تعالى.

ولذا؛ جاء هذا البحث لإبراز منهج القرآن الكريم وأساليبه التربوية في التصدي لهذه الظاهرة والوقاية منها، والمساهمة في حماية المجتمع من خطرها.

أهمية البحث:

تبرز أهمية هذا البحث في ثلاثة جوانب:

أولا: مناقشته لإحدى أشد الظواهر تأثيرًا سلبيًا على المجتمع، وأكثرها خطرًا، نظرًا لما تؤدي إليه من آثار وخيمة على المجتمع، فالمباهاة الاجتماعية تنطوي على الإسراف والتبذير، والتفاخر المذموم، والبطر على نعم الله تعالى،

وانشغال القلب عن شكر الله تعالى عليها، وهي صور حذَّر القرآن الكريم منها، وضرب الأمثال والقصص للتنفير منها، وذكر عواقبها التي حصلت للأمم قبلنا تحذيرًا وتخويفًا منها، وحثًّا على البعد عنها.

ثانيًا: استناد هذا البحث في تتبع هذه الظاهرة والبحث عن أساليب الوقاية منها إلى مصدر عظيم وهو القرآن الكريم، كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بما يُصلِح الخلق في معاشهم ومعادهم، والذي حوى الدلالة على كل خير وفضيلة، والتحذير من كل شر وبلية، فهو المصدر الأصيل للتربية والإصلاح لشؤون الأفراد والمجتمعات.

ثالثًا: تزايد انتشار هذه الظاهرة، وتعدد صورها وأشكالها في العصر الحاضر؛ استجابة للعولمة الثقافية، وتقارب الحدود والفضاءات، وبروز النزعة الاستهلاكية؛ مما أدى إلى تزايد رقعة انتشارها، خصوصًا في ظل وسائل التواصل الاجتماعي، والعالم الافتراضي الذي أصبح مؤثرًا جدًا في عقول الناس وقلوبهم، ومصدر تلقي لِقِيَمهم وأخلاقهم وسلوكياتهم، والواقع يشهد على مدى انتشار هذه الظاهرة من خلال تلك الوسائط على شكل صور وتسجيلات وتوثيق ونحو ذلك.

أهداف البحث:

أولًا: إبراز مفهوم المباهاة الاجتماعية وصورها وآثارها.

ثانيًا: إظهار منهج القرآن الكريم في التحذير منها وذكر عواقبها.

ثالثًا: بيان الأساليب التربوية للوقاية من هذه الظاهرة في ضوء القرآن الكريم.

❁ حدود البحث :

يقتصر هذا البحث على دراسة الأساليب التربوية للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم.

❁ مصطلحات البحث :

المباهاة الاجتماعية: يُعرَّف التباهي بأنه: «حب الظهور، ورغبة الإنسان في الكشف عن صفاته ومزاياه، وفي عرض ما يلفت الانتباه إليه»[1].

والمباهاة: «المفاخرة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، إما في المتكلم أو في آبائه»[2].

ويعرف الباحث المباهاة الاجتماعية إجرائيًا بأنها:

المفاخرة بالمزايا، والصفات القولية والفعلية والسلوكية، والعادات والتقاليد، وسائر الممارسات الاجتماعية؛ بغية لفت الانتباه والظهور على الآخرين بما يخالف الضوابط الشرعية والقيم الاجتماعية.

الأساليب التربوية: الأساليب جمع أسلوب وهو في **اللغة:** الطريق والوجه والمذهب، والأسلوب: الطريق تأخذ فيه[3].

وفي الاصطلاح: «الإجراء المحدد لنقل المعلومات أو المعارف أو المهارات أو الاتجاهات والقيم بغرض تحقيق هدف تربوي مرغوب فيه»[4].

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، «١/ ٤٣٣».

(٢) المصباح المنير، الفيومي، ص ١٧٦.

(٣) لسان العرب، ابن منظور «٦ / ٣١٩».

(٤) القيم الإسلامية والتربية، مصطفى خليل أبو العينين ص ١٣٠.

وعرفت بأنها: «الطرق التربوية التي يستخدمها المربي لتنشئة المتربي تنشئة صالحة»[1].

ويعرف الباحث الأساليب التربوية إجرائيًا بأنها: السبل التربوية المستخدمة لغرس القيم النبيلة، وتعزيز السلوك الحميد، والحد من السلوك السيئ والقيم الرديئة.

الظاهرة: تُعَرَّف بأنها حدث أو موضوع أو واقعة؛ يمكن ملاحظتها أو إدراكها عن طريق الحواس.

أو: هي معطيات موضوعية خارجية لها وجودها الحقيقي، وهي لا تستمد هذا الوجود من وحدة الشعور أو الذات، وإنما من وحدة خارجية خاصة بها، تتمثل في العلاقات المتبادلة بين مختلف الظواهر[2].

كما أن الفعل السلبي المنتشر يُعَبَّر عنه بالظاهرة، كظاهرة أطفال الشوارع ونحوها[3].

بينما تُعَرَّف الظاهرة الاجتماعية بأنها الوقائع التي يمكن ملاحظتها في الحياة الاجتماعية للإنسان.

أو: هي نتائج تأثير شخص أو جماعة، على شخص أو جماعة أخرى، وتتضمن هذه النتائج جميع نماذج السلوك الذي يحدث بين الناس، وجميع المواقف الاجتماعية[4].

---

(١) أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي ص ٣٧٧.

(٢) الشامل «قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية». مصلح الصالح، ص ٣٩٦.

(٣) الموسوعة الحرة Wikipedia. تم استرجاعها بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٤٣٨هـ.

(٤) انظر: الشامل «قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية» . مصلح الصالح، ص ٥٠٤، مبادئ علم الاجتماع، أحمد رأفت عبد الجواد . ص ١٩

كما يُعَبَّر عن الظاهرة الاجتماعية بأنها: سلوك يمارسه جموع من البشر، أو يتعرضون له، أو يعانون منه، أو من نتائجه[(١)].

❁ منهج البحث:

يستخدم الباحث المنهج الاستنباطي: وهو «الطريقة التي يقوم فيها الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي عند دراسة النصوص؛ بهدف استخراج مبادئ تربوية مُدَعَّمة بالأدلة الواضحة»[(٢)].

والمنهج الوصفي التحليلي: وهو«المنهج الذي يقوم على وصف وتحليل ما حصل عليه الباحث من معلومات تحليلاً كَمِّيًا أو تحليلاً كيفيًا »[(٣)].

❁ الدراسات السابقة:

لم يقف الباحث على دراسة علمية ذات علاقة مباشرة بموضوع البحث، وإنما هناك بعض الدراسات ذات العلاقة الغير مباشرة ومنها:

الدراسة الأولى: «وفاء الحسني ١٤٢٩هـ»[(٤)]، وهدفت إلى بيان خُلُق الإسراف ومدى تَفَشِّيه في المجتمع، وكشف آثاره، وعلاجه من خلال آيات القرآن الكريم وتفسيرها الموضوعي.

---

(١) الموسوعة الحرة Wikipedia تم استرجاعها بتاريخ ١٣ / ١٢ / ١٤٣٨هـ.

(٢) المرشد في كتابة البحوث، حلمي فوده، عبد الرحمن صالح عبد الله ص ٤٢

(٣) المدخل للبحث في العلوم السلوكية، صالح العساف ص٢٠٦.

(٤) الإسراف في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية في التفسير، وفاء يحيى الحسني، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات الإسلامية، تخصص التفسير وعلوم القرآن، كلية التربية للبنات « الأقسام الأدبية » جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٢٩هـ.

استخدمت الباحثة المنهج الاستقرائي التتبعي، المنهج التحليلي، المنهج الاستنباطي.

أهم النتائج: أن الأصل في الإسراف مجاورة الحد في أي فعل كان، وأن الإسراف لا يختص فقط بالناحية المادية وإنما يشمل جميع نواحي الحياة الدينية والدنيوية.

أهم التوصيات: إطالة النظر في كتاب الله تعالى للتعرف على موضوعاته التي فيها وبها دائمًا تخدم الأمة؛ من خلال التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم، ودراستها دراسة منهجية أصيلة.

الدراسة الثانية: «العلياني ١٤٢٧هـ»[1]، وهدفت إلى التعرف على بعض معالم التربية الاقتصادية في القرآن الكريم، وكيف يمكن تفعيلها من خلال المؤسسات التربوية. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، والمنهج الاستنباطي.

أهم النتائج: أن التربية الاقتصادية في القرآن الكريم تقوم على أهداف وأسس ومبادئ مثالية؛ وذلك لكونها ربانية المصدر.

أهم التوصيات: تربية الإنسان الذي هو محور عملية التنمية تربية اقتصادية إسلامية سليمة تجعل منه مُنتجًا يحترم العمل ويستغل الوقت ويُرَشِّد الاستهلاك.

(١) التربية الاقتصادية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة، سعد هاشم العلياني، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.

الدراسة الثالثة: «الحسني ١٤٣٠هـ»[(١)]، وهدفت إلى أهمية ضبط الإنفاق في الأسرة المسلمة من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية، وإبراز التحديات والمخاطر المعاصرة، والتطبيقات التربوية لترشيد الإنفاق. وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي.

أهم النتائج: أن البناء الصحيح للأسرة يشكل قوة للمجتمع المسلم، كما أن تطبيق ضوابط إنفاق الأسرة المسلمة منهج حياة متكامل يَقِي الأمة من الأزمات التربوية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية.

أهم التوصيات: يوصي الباحث الأسر المسلمة بالتناصح فيما بينها للقضاء على المظاهر السلبية في المجتمعات المسلمة، والقناعة بمبدأ الوسطية والاعتدال، وتجنب مظاهر الترف والبذخ والإسراف.

التعليق على الدراسات السابقة:

أوجه الاتفاق: اتفقت الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في مناقشة بعض الجزئيات البحثية التي تمثل نقطة اشتراك بينها؛ فالدراسة الأولى: ناقشت موضوع الإسراف في ضوء نصوص القرآن والسنة، والذي يمثل أحد مكونات المباهاة الاجتماعية.

والدراسة الثانية: ناقشت موضوع التربية الاقتصادية في القرآن الكريم، ومنها موضوع الاستهلاك وضوابطه في الإسلام، وهو أحد الجوانب ذات العلاقة بموضوع المباهاة الاجتماعية.

---

(١) ضوابط إنفاق الأسرة في الإسلام وتطبيقاتها التربوية، الباحث: حسن أحمد الحسني، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى ١٤٣٠هـ.

كما أن الدراستين الأولى والثانية ناقشتا الموضوعين في ضوء القرآن الكريم، كما هي الدراسة الحالية.

بينما عُنِيَت الدراسة الثالثة بضوابط إنفاق الأسرة في الإسلام وتطبيقاته التربوية، والتي أشارت إلى أهمية عدم مجاوزة الحد في إنفاق المال ونحوه، وهو أحد الجوانب ذات العلاقة بموضوع المباهاة الاجتماعية.

أوجه الاختلاف: تميزت الدراسة الحالية بالتركيز على تحرير مفهوم المباهاة الاجتماعية، وبيان صورها وأنواعها وآثارها، ومنهج القرآن الكريم في التحذير منها، كما أبرزت السبل والأساليب التربوية للوقاية من هذه الظاهرة في ضوء القرآن الكريم، وهو مالم تتطرق له الدراسات السابقة.

خطة البحث:

يتكون البحث مما يلي:

مقدمة البحث: وتشمل: موضوع البحث وتساؤلاته، ومشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، ومصطلحات البحث، ومنهجه، والدراسات السابقة.

المبحث الأول: ظاهرة المباهاة الاجتماعية وأبعادها، ويندرج تحته المطالب التالية:

المطلب الأول: مفهوم المباهاة الاجتماعية.

المطلب الثاني: صور المباهاة الاجتماعية.

المطلب الثالث: التحذير من المباهاة الاجتماعية في القرآن الكريم.

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على المباهاة الاجتماعية.

المبحث الثاني: الأساليب التربوية للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في القرآن الكريم؛ ويندرج تحته المطالب التالية:

المطلب الأول: أسلوب الترهيب والتحذير.

المطلب الثاني: التربية بالقصد والتوسط والاعتدال.

المطلب الثالث: ترسيخ قيمة التواضع عند استقبال النعم.

المطلب الرابع: أسلوب الامتنان بنعم الله.

المطلب الخامس: تربية النفس على دوام الشكر.

المطلب السادس: ذم السلوكيات المنحرفة.

المطلب السابع: أسلوب النمذجة «الايجابية والسلبية».

المطلب الثامن: أسلوب الخطاب الوجداني.

الخاتمة:

١) النتائج.

٢) التوصيات.

مجلة تدبر

المبحث الأول:
ظاهرة المباهاة الاجتماعية وأبعادها

يناقش هذا المبحث تحرير مفهوم المباهاة الاجتماعية في اللغة والاصطلاح، وأبرز المصطلحات ذات العلاقة بها، وصورها التي تظهر عليها في المجتمع.

المطلب الأول: مفهوم المباهاة الاجتماعية وصورها:

المباهاة في اللغة: المفاخرة، يقال: تَبَاهى القوم إذا تفاخروا، وفي حديث عرفة: «**يُباهِي بهم الملائكة**»[(١)].

قال الحُميدي: المباهاة: المفاخرة، وهي من الله تعالى ثناءٌ وتفضيل[(٢)]، ومنه حديث: «من أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد»[(٣)].

والَبْهو وهو البيت المُقَدَّم أمام البيوت، والبهاء: الحُسن والجمال[(٤)].

ونلاحظ أن هذه المعاني اللغوية تتضمن معاني الفخر والبروز والظهور

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (١٧/ ٢٥) برقم (٦٧٩٧).

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، (١/ ٤١٩).

(٣) سنن النسائي، كتاب المساجد باب المباهاة في المساجد (٢ / ٣٢) برقم (٦٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢/ ١٠٢٥) برقم (٥٨٩٥).

(٤) لسان العرب، ابن منظور، (١/ ٥٢٩)، القاموس المحيط، الفيروز آبادي (٤/ ٤٤٣) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون (١/ ٧٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري ص ٩٦.

والتمييز عن الغير، وهي معانٍ ذات دلالات تربوية ستظهر في المعنى الاصطلاحي.

المباهاة في الاصطلاح:

يُعرَّف التباهي في الاصطلاح بأنه: «حب الظهور ورغبة الإنسان في الكشف عن صفاته ومزاياه، وفي عرض ما يلفت الانتباه إليه»[(١)].

«**والمباهاة**: المفاخرة بالمكارم والمناقب من حسب ونسب وغير ذلك، إما في المتكلم أو في آبائه»[(٢)].

والقصد والنية مؤثرة في تحديد المباهاة المنهي عنها، قال بعض السلف: «وأما المباهاة بالدنيا؛ فَبِأنْ يزيد على أبناء جنسه بالأبنية، والمآكل والمشارب، والملابس والمناكح، والأثاث والخدم، لا يريد بذلك إلا أن يَفُوق غيره، وأن يُعَرِّفَه أنه أفضل منه في ذلك»[(٣)].

وعلى هذا، فالمباهاة هي: المفاخرة بإظهار المزايا والصفات في الأقوال والأفعال والسلوك وسائر الأحوال؛ بغية لفت الانتباه.

الاجتماعية: نسبة إلى المجتمع وهو «عبارة عن جماعات من البشر يعيشون معًا فوق رقعه من الأرض؛ تفاعلوا مع مُقَوِّماتها، واستثمروها لخيرهم، كما تفاعلوا فيما بينهم ومع مَنْ حولهم، مُكَوِّنين تاريخًا خاصًا بهم،

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار، (١/ ٤٣٣).
(٢) المصباح المنير، الفيومي، ص ١٧٦.
(٣) مختصر رعاية المحاسبي، العز بن عبد السلام (١ / ٨٢).

كما أن لهم نُظُمًا اجتماعية خاصة بهم، وثقافة مشتركة تجمع بينهم، وكل ذلك في ظل دين يحكم حركة الحياة مِن حولِهِم ويُوجِّه سلوكهم، وتَنْبُع منه قيمُهُم ومُثُلُهم»(١).

ومن خلال ما سبق يُعَرِّف الباحث المباهاة الاجتماعية اصطلاحًا بأنها:

المفاخرة بالمزايا، والصفات القولية والفعلية والسلوكية، والعادات والتقاليد، وسائر الممارسات الاجتماعية؛ بُغْيَةَ لَفْت الانتباه والظهور على الآخرين، بما يخالف الضوابط الشرعية والقيم الاجتماعية.

كما يُفهم من النصوص السابقة أن المباهاة تأتي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: المباهاة من الله عَزَّوَجَلَّ، وهي تشويقٌ للعبد، وثناءٌ عليه، وتفضيلٌ له على غيره، وإظهارُ حالِهِ للملائكة عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، كما ورد في حديث عرفة السابق الذكر.

قال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث: «إن الله يباهي بهم الملائكة معناه: يظهر فضلكم لهم ويُرِيهِم حُسْنَ عملكم ويثني عليكم عندهم، وأصل البهاء: الحُسن والجمال، وفلان يباهي بماله أي: يفخر ويتجمل بهم على غيرهم ويظهر حسنهم »(٢).

وهي مِنَّة عظيمة، ونعمة كبرى من تعالى لعباده المؤمنين الموحدين الطائعين له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الممتثلين أوامره، والمجتنبين نواهيه.

---

(١) فصول في اجتماعيات التربية، مصطفى عبد القادر زيادة وآخرون، ص ٣٤.

(٢) شرح صحيح مسلم، محي الدين النووي (١٧ / ٢٥).

النوع الثاني: المباهاة المأذون فيها بالضوابط الشرعية.

وهي أن يذكر الإنسان ما هو فيه من المحامد لبيانه للناس على وجه الإخبار بنعم الله، أو لأجل التشجيع على الاقتداء به.

وقد عدَّه العلماء من التحدث بنعم الله، والضابط فيه: أن لا يخالطه تَرَفُّع وتكبُّر على الناس، مع صلاح القصد وحسن النية.

ومن ذلك قوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلا فَخْرٌ**»(١)، وقول سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «إِنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَى بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ»(٢).

وفي حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ النَّاسُ، مَقْفَلَهُ(٣) مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ النَّاسُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «**أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ(٤) نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلاَ كَذُوبًا وَلاَ جَبَانًا**»(٥).

---

(١) سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة (٢ / ١٤٤٠) برقم (٤٣٠٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (١ / ٣٠٩) برقم (١٤٦٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري (٧ / ١٠٤) برقم (٣٧٢٨).

(٣) مَقْفَلَهُ: بفتح الميم وسكون القاف وفتح الفاء واللام يعني زمان رجوعه. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦ / ٤٢).

(٤) هو شجر ذو شوك. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦ / ٤٣).

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن، (٦ / ٤٢) برقم (٢٨٢٠).

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيه جواز وصف المرء نفسه بالخصال الحميدة عند الحاجة، كخوف ظنِّ أهلِ الجهلِ به خلاف ذلك، ولا يكون ذلك من الفخر المذموم»[١].

وقال الزرقاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي حديث عبد الله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «**قد علمت أي ساعة هي**» [٢]دليل على أن للعالم أن يقول: قد علمت كذا، وأنا أعلم كذا، إذا لم يكن على سبيل الفخر والسمعة، وما الفخر بالعلم إلا حديثٌ بنعمة الله، قاله ابن عبد البر[٣].

النوع الثالث: المباهاة من المخلوقين على سبيل الاستطالة على الناس والترفع عليهم، مقرونة بالفخر والتعالي وحب الظهور.

وهي المفاخرة المذمومة والتي تنطوي على إظهار التميز والبروز، والحَظْوة بالصفات والمزايا -وهي في الأصل نعم الله- على حساب الآخرين، مع فساد الباطن وسوء القصد.

وهذا النوع مخالف لمعتقد أهل السنة والجماعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند تقرير معتقد أهل السنة والجماعة: «ويَنْهَون عن الفخر والخُيَلاء والبغي، والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق » [٤]، فإن كانت

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (٦ / ٢٩٣).

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، (٣ / ٢٥٨) برقم (١٠٤٢).

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد الباقي الزرقاني (١ / ٣٩٨).

(٤) العقيدة الواسطية، ابن تيمية (١ / ١٣١).

المباهاة بما يملكه الإنسان وله وجود في الواقع فهو الفخر، وإن كانت بما لا يملكه الإنسان وليس فيه وإنما يتباهى به باطلًا فهو البغي[1].

وقد تواترت النصوص الشرعية في التحذير من هذا النوع من المباهاة والمفاخرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [لقمان: ١٨].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [النساء: ٣٦]، «أي مختالًا في نفسه، مُعجبًا مُتكبرًا فخورًا على الناس، يرى أنه خير منهم، فهو في نفسه كبير، وهو عند الله حقير، وعند الناس بغيض، يفخر على الناس بما أعطاه الله من نعمه، وهو قليل الشكر لله على ذلك»[2].

وعن أبي مالك الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ لاَ يَتْرُكُونَهُنَّ الْفَخْرُ فِي الأَحْسَابِ وَالطَّعْنُ فِي الأَنْسَابِ وَالاِسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ وَالنِّيَاحَةُ**»[3].

الفخر: أي الافتخار، وهو المباهاة والتمدُّح بالخصال والمناقب والمكارم، إما فيه، أو في أهله، قال في الفائق: الفخر تعداد الرجل من مآثره ومآثر آباءه. ومعنى الفخر بالأحساب هو التكبر والتَعَظُّم بعدِّ مناقبه ومآثر آباءه، وهذا يستلزم تفضيل الرجل نفسه على غيره لِيَحْقِرَه، وهو لا يجوز[4].

قال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الفخر؛ التعالي والتعاظم، والباء للسببية، أي: يفخر بسبب الحسب الذي هو عليه، والحسب ما يحتسبه الإنسان من شرف

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية (١٤ / ٢٢١).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٢/ ٣٠١).

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، (٦/ ٣٧٥) برقم (٢١٥٧).

(٤) انظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي (٣/ ١٢٣٤).

وسُؤْدَد، كأن يكون من بني هاشم فيفتخر بذلك، أو من آباء وأجداد مشهورين بالشجاعة فيفتخر بذلك، وهذا من أمر الجاهلية، لأن الفخر في الحقيقة يكون بتقوى الله، الذي يمنع الإنسان من التعالي والتعاظم، والمتقي حقيقة هو الذي كلما ازدادت نعم الله عليه ازداد تواضعًا للحق وللخلق »[1].

وهذه الصورة من المباهاة هي موضوع هذا البحث، وسيأتي الحديث عن هذه النصوص وغيرها مفصلاً في المباحث التالية بإذن الله.

المطلب الثاني: صور المباهاة الاجتماعية:

تتخذ المباهاة الاجتماعية صورًا وأشكالًا متنوعة؛ يجمع بينها حب الظهور والتميز والاستعلاء على الناس، واستعراض التميُّز في الملابس والمأكل والمشارب والمقتنيات ونحو ذلك، ويُعلن على الملأ، وخصوصًا في وسائل التواصل الاجتماعي التي ضجَّت بمثل هذه الممارسات؛ نظرًا لكثرة متابعيها وسهولة استخدامها. وقد قام الباحث بحصر أبرز صور المباهاة الاجتماعية من خلال توظيف خبرته العلمية، إضافة إلى الأدبيات التربوية والاجتماعية في هذا المجال، إلى جانب استفادة الباحث من المقالات والكتابات المتنوعة التي ناقشت هذا الموضوع من خلال الصحف والمواقع الالكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي، في تكوِّن تصوِّر واضح حول أبرز صور المباهاة الاجتماعية، ومن تلك الصور:

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح بن عثيمين (٢ / ١٢٠).

التباهي بالحسب والنسب وتمجيد الذات:

وذلك بتجاوز الحد في تمجيد الذات ومدح الفعال والتشدق بذلك سواء كان ذلك في المتباهي أو بأسرته وعشيرته، ونحو ذلك مما نسمعه أو نراه على شكل قصائد، أو مقاطع مصورة أو كتابات هنا وهناك.

التباهي بالممتلكات والمقتنيات:

وذلك بعرض ممتلكات الإنسان على الملأ من سيارات وقصور ومساكن ومشتريات، حتى وصل الأمر إلى عرض التوافه وسَقْط المتاع مما يقتنيه الرجال والنساء على حد سواء، وإبراز ذلك في الوسائل والتقنيات الحديثة، حتى تجاوز ذلك إلى مقتنيات الأطفال وملابسهم وغرفهم، وتفاصيل حياتهم منذ ولادتهم.

التباهي بالولائم والمناسبات:

ويظهر ذلك في المبالغة بتلك الولائم والإسراف فيها، وتجاوُز الحد المشروع في ذلك، واستعراض أنواع المطاعم والمأكل والمشارب، وإظهار ذلك للناس مصورًا وموثقًا، وربما يتم ذلك في ساعته وحينه، والتفاخر بهذه الولائم والمناسبات لاستجلاب مدح الناس وثناءهم وإعجابهم.

وربما تجاوز ذلك كله إلى ارتكاب المخالفات الشرعية الكبيرة وإظهار البَطَر والتكبُّر، والعبث بنعم الله وإهدارها على وجه مخالف لأوامر الله تعالى.

التباهي بالعادات الاجتماعية:

ويظهر ذلك في ما يقوم به البعض من استعراض أسفارهم ورحلاتهم، ووسائل تسليتهم المختلفة، وإقامتهم بأفخم الفنادق والمنتجعات، وبرامجهم

ورحلاتهم، ونحو ذلك مما يُنْشَر على الملأ.

ومن التباهي بالعادات الاجتماعية؛ البذخ بالهدايا والهبات والعطايا، سواء بمناسبة نجاحٍ أو مولودٍ أو ترقيةٍ أو نحو ذلك، وتوثيق ذلك ونشره على نطاق واسع وجَعْلُه حديثَ القاصي والداني.

التباهي بمجاراة الآخرين في مستوى المعيشة:

وهو من أبرز صور المباهاة الاجتماعية؛ حيث يعْمَد البعض إلى التَطَلُّع إلى الآخرين، ومجاراتهم في مسكنهم ولباسهم وسياراتهم وطريقة عيشهم، وتقليدهم في كل شؤونهم، ولو كان ذلك بتحَمُّلِه مشاقَّ الديون والتكلُّف في ذلك. وغياب القناعة والرضى بما عنده، بل إنك تجد الفقير الذي لا يملك قُوته يتطلع إلى مثل هذه الأمور مدفوعًا برغبته وطموحاته الخيالية، أو بتأثير أسرته وأهل بيته، مما لا يناسب حاله، ولا يتوافق مع قدراته و إمكاناته.

وقد حث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على القناعة عمَّا في أيدي الناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ [طه: ١٣١].

«وفي هذه الآية يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المُتْرَفين وأشباههم ونظرائهم، وما هم فيه من النعم، فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك وقليل من عبادي الشكور»(١).

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٥/ ٣٢٦)

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذه الآية إشارة إلى أن العبد إذا رأى من نفسه طموحًا إلى زينة الدنيا و إقبالًا عليها، أن يذكر ما أمامها من رزق ربه، وأن يوازن بين هذا وهذا»[1].

فهذه الصور وغيرها تمثل ظاهرة المباهاة الاجتماعية وأشكالها، والقاسم المشترك بينها اشتمالها على العديد من المحاذير الشرعية، ومخالفة القيم الاجتماعية والدينية، بل ربما يتعدى الأمر إلى محادة الله تعالى والمجاهرة بالمعاصي، وكفران النعم والتبذير والإسراف والخيلاء والتكبر، ونحو ذلك من الأمور العظيمة والمحاذير الكبيرة المترتبة على المباهاة الاجتماعية، والتي رتَّب الله تعالى عليها العقوبات الكبيرة في الدنيا والآخرة.

ويتضح للباحث من خلال هذه الصور وتنوعها وتدرجها من الصور البسيطة للمباهاة الاجتماعية إلى تلك التي تتسم بالغلو والتطرف، وما بينهما من صور تختلف درجاتها، تمثل بمجموعها فعلًا تنطبق عليه خصائص الظاهرة الاجتماعية، وقد أوضح دور كاييم وغيره من علماء الاجتماع، أن من خصائص الظاهرة الاجتماعية أنها سلوك جماعي، يأخذ شكلًا إنسانيًا، يتميز بالتلقائية وترابط عناصره ببعضها، كما أنها نسبية تتغير من مجتمع لآخر، ومن وقت لآخر، كما أنها مكتسبة[2].

فإذا أخذت الظاهرة بُعْدًا سلبيًا -كما في المباهاة الاجتماعية-، قد تتحول إلى مشكلة اجتماعية معقدة ذات أبعاد يصعب حلها وتجاوزها.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٥/ ٢٠٢)

(٢) مبادئ علم الاجتماع، أحمد رأفت عبد الجواد . ص ١٩.

وعلى هذا؛ فالمباهاة الاجتماعية ليس بالضرورة أن يمارسها المجتمع بأكمله حتى تُسَمَّى ظاهرة اجتماعية، وإنما يكفي انتشارها على نطاق مجتمعي وفي مستويات مختلفة، كما يعاني المجتمع منها ومن آثارها، كما سبقت الإشارة إلى ذلك عند تعريف الظاهرة الاجتماعية، وهذا الأثر بين واضح.

كما أن هذه الظاهرة لا تُقاس فقط من خلال تلك الحالات الأكثر تطرفًا من صور المباهاة الاجتماعية؛ فهذه وإن كانت قليلة إلا أنها تمثل أحد مستويات المباهاة الاجتماعية، فإذا اجتمعت مع الصور الأخرى الأقل تطرفًا؛ شكَّلت بمجموعها ظاهرة اجتماعية جديرة بالمعالجة والبحث.

ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه الظاهرة ومعالجتها، سواء في ضوء مصادر التربية الإسلامية التي تمثل المرجعية القطعية للمجتمع المسلم، أو من خلال المنهج العلمي الذي يهتم برصد هذه الظاهرة وتَتَبُّع أسبابها ومظاهرها من خلال الرصد الميداني.

۞ المطلب الثالث: التحذير من المباهاة الاجتماعية في القرآن الكريم:

سبق الحديث عن صور المباهاة الاجتماعية واشتمالها على معاني التبذير والإسراف والاستعلاء على الآخرين والتكبر والخيلاء والاعتداد بالنفس، والفخر بالحسب والنسب والممتلكات، ومجانبة التوسط والاعتدال، والمجاهرة بما يغضب الله عَزَّوَجَلَّ، والكفر بنعم الله تعالى.

وقد جاء القرآن الكريم بالتحذير من هذه الأفعال الشنيعة والأخلاق الذميمة.

ومن أوجه تحذير القرآن الكريم من المباهاة الاجتماعية ما يلي:

أولاً: اشتمال المباهاة الاجتماعية على الإسراف والتبذير.

وقد حذر القرآن الكريم أشد التحذير من هذين المسلكين في آيات كثيرة، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوۡمَ حَصَادِهِۦۖ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٤١﴾[الأنعام: ١٤١].

«نهى الله تعالى عن جميع معاني الإسراف، ولم يخصص منها معنى دون معنى»[١].

«والإسراف هو مجاوزة الحد والعادة»[٢].

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإسراف في المباحات هو مجاوزة الحد، وهو من العدوان المحرم»[٣].

«فوجْه عدم محبة الله إياهم؛ أن الإفراط في تناول اللذَّات والطيبات، والإكثار من بذل المال في تحصيلها؛ يفضي غالبًا إلى استنزاف الأموال والشَّرَه إلى الاستكثار منها، فإذا ضاقت على المسرف أمواله تَطَلَّب تحصيل المال من وجوه فاسدة؛ ليخمد بذلك نهمته إلى اللذَّات، فيكون ذلك دأبه. فربما ضاق عليه ماله فشقَّ عليه الإقلاع عن مُعتَاده، فعاش في كرب وضيق، وربَّما تَطَلَّب المال من وجوه غير مشروعة، فوقع فيما يُؤَاخَذ عليه في الدنيا أو في الآخرة،

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (١٢ / ١٧٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٢/ ٤٨٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢ / ١٣٤).

ثم إن ذلك قد يُعْقِب عيالَه خَصَاصةً، وضَنْكَ معيشةٍ، وينشأ عن ذلك مَلام وتوبيخ وخصومات، تُفضِي إلى مالا يُحمَد في اختلال نظام العائلة»[(١)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ [الشعراء: ١٥١ – ١٥٢].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذين تجاوزوا الحد. ﴿ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾، أي: الذين وصْفُهم ودأْبُهم الإفساد في الأرض بعمل المعاصي والدعوة إليها، إفسادًا لا إصلاحَ فيه، وهذا أضرُّ ما يكون، لأنه شر محض»[(٢)].

«والعلة من تحريم الإسراف؛ أنه يبدد الأموال بدون منفعة معتبرة شرعًا، ومن المنظور الاقتصادي قد يقود الإسراف إلى التضخم، والاعتداء على حقوق الأجيال القادمة، ومن المنظور الطبي فإنه يؤدي إلى الإضرار بالبدن، ومن المنظور الاجتماعي يقود الإسراف إلى الفساد الاجتماعي، فإن كان عند المسرف سَعَة من المال فليوجِّهْا إلى الفقراء الذين لا يجدون الضروريات والحاجيات، في صورة زكاة أو صدقة أو وقف أو وصية»[(٣)].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ٢٧﴾ [الإسراء: ٢٦ – ٢٧].

---

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٨/ ١٢٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٥/ ٥٣٨).

(٣) ضوابط إنفاق الأسرة في الإسلام وتطبيقاتها التربوية، حسن بن أحمد الحسني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، ١٤٣٠هـ ص ٩٨.

﴿وَلَا تُبَذِّرۡ﴾ أي: لا تسرف في الإنفاق في غير حق.

وعن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه، وهو الإسراف، وهو محرم لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾ أي: في حكمهم؛ فهو يفسد كإفسادهم -يعني أنهم في حكمهم-، إذ المبذر ساعٍ في إفساد كالشياطين، أو أنهم يفعلون ما تُسَوِّل لهم أنفسهم، أو أنهم يُقْرَنون بهم غدًا في النار»[1].

قال الشوكاني: «التبذير؛ تفريق المال كما يُفَرق البذر كيفما اتفق من غير تعمُّد لمواقعه، وهو الإسراف المذموم لمجاوزته للحدِّ المُستحسَن شرعًا في الإنفاق، أو هو الإنفاق في غير الحق وإن كان يسيرًا»[2].

ويتضح من هذه النصوص؛ التحذير الشديد من المباهاة الاجتماعية لما فيها من التبذير والإسراف والبذخ، وهي مما حذَّر الله تعالى منه، وجعله من أسباب هلاك المجتمعات، مما يوجب الحذر منها، ويردع النفس عن مقارعتها.

ثانيًا: المباهاة الاجتماعية فيها استعلاء وتكبر على الآخرين:

فتفاخر الإنسان بنفسه أو ماله أو ممتلكاته أو حسبه أو نسبه استطالة على الخلق، واستعلاء عليهم، وتَنَقُّص من قدرهم، وقد حذر الله تعالى من هذه الأخلاق أشد التحذير.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القصص: ٨٣].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٢٤٨).

(٢) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٦٣).

«يخبر تعالى أن الدار الآخرة ونعيمها المقيم الذي لا يحول ولا يزول، جعلها لعبادة المؤمنين المتواضعين الذين لا يريدون علوًا في الأرض، أي: ترفعًا على خلق الله، وتعاظمًا عليهم، وتجبرًا بهم، ولا فسادًا فيهم».[1]

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ٣٧﴾[الإسراء: ٣٧]. أي: لا تمش في الأرض مختالًا مستكبرًا[2].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا نهي عن الخيلاء، وأمر بالتواضع»[3].

«كما أن فيه تهكّم بالمُختال المتكبر، أي: ولن تبلُغَ قدرتُك إلى أن تطاول الجبال حتى يكون عِظَمُ جثتك حاملًا لك على الكبر والاختيال، فلا قوة لك حتى تخرق الأرض بالمشي عليها، ولا عِظَم في بدنك حتى تُطَاول الجبال، فما الحامل لك على ما أنت فيه»[4].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ١٨﴾ [لقمان: ١٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: لا تتكبر فتحتقر عباد الله وتُعْرِض عنهم بوجهك إذا كلَّموك ... وقوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي: جذلًا متكبرًا جبارًا عنيدًا، لا تفعل ذلك يبغضك الله، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ أي: مختال مُعْجَب في نفسه، فخور على غيره»[5].

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٢٥٨).
(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري (١٧/ ٤٤٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٠ / ٢٦٠).
(٤) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٧١).
(٥) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦ / ٣٣٨).

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو تعليل للنهي، لأن الاختيال هو المرح، والفخور هو الذي يفتخر على الناس بماله من المال أو الشرف أو القوة أو غير ذلك، وليس منه التحدث بنعم الله»[1].

ويَبْرُز هنا أهمية تربية النفس على أدب القرآن، والتمسك بالأخلاق السامية التي دعا إليها وحث عليها، والبعد عن الأخلاق الذميمة التي نفّر منها، وبالتالي الابتعاد عن التباهي والتفاخر لما يشتمل عليه من تلك الأخلاق الذميمة، ولما فيه من بعد عن الأخلاق الرفيعة.

ثالثًا: المباهاة الاجتماعية فيها اعتداد بالنفس وتزكية لها.

فالتفاخر بالأقوال والأفعال وتمجيد الذات، وذكر صنيعها ونشره على الملأ، لا يخلو من اعتداد بالنفس وتزكية لها، وطلب للرياء والسمعة. وقد نهى القرآن الكريم عن تزكية النفس، ورؤية الأفعال والأقوال، بل حضَّ وحثَّ على هضم النفس وازدرائها. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢].

«أي: تمدحوها وتشكروها وتَمُنُّوا بأعمالكم»[2]، «فلا تُثْنُوا على أنفسكم بالطهارة عن المعاصي بالكلية، أو بزكاء العمل وزيادة الخير، بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته جل شأنه»[3].

(١) فتح القدير، الشوكاني (٤ / ٢٧٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٧ / ٤٦٢).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٤ / ٦٣).

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويشمل ذلك ذكر المرء أعماله الصالحة للتفاخر بها، أو إظهارها للناس، ولا يجوز ذلك إلا إذا كان فيه جلب مصلحة عامة»[١].

ولعل من أوجه هذه المصلحة الاقتداء به في مجال الخير والبر، مع ضرورة حسن القصد وسلامته.

كما بين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن تزكية النفوس شأنه هو -جل وتعالى- .

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾﴾ [النساء: ٤٩].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا اللفظ عام في ظاهرة، ولم يختلف أحد من المتأولين في أن المراد اليهود، وقد دل الكتاب والسنة على المنع من تزكية الإنسان نفسه»[٢].

وقال الألوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي معناهم؛ من زكَّى نفسه وأثنى عليها بغير غرض صحيح، كالتحدث بالنعمة ونحوه»[٣].

«فتزكية النفس من أخطر الأمراض القلبية، وهو من أكبر العوائق أمام صلاح الفرد والمجتمع، فالنظر إلى النفس بعين الكمال يُعمي القلب عن رؤية عيوبها وأمراضها التي يجب معالجتها، وهو منبع العجب والكبر والحسد،

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٧ / ١٢٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٥ / ٢٤٦).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (٣ / ٥٣).

لأن الناظر إلى نفسه بعين الكمال يشعر أنه يستحق من تقدير الناس وتعظيمهم وثنائهم أكثر مما أخذه، فيترتب على ذلك احتقارهم وازدرائهم، لكونهم لم يعطوه حقه ولم يقدروه حق قدره»[1].

المطلب الرابع: الآثار المترتبة على ظاهرة المباهاة الاجتماعية:

يترتب على انتشار ظاهرة المباهاة الاجتماعية عواقب وخيمة وآثارٌ كبيرة على الفرد والمجتمع، مما يمسُّ وجوده وتماسكه وقيمه ومعتقداته، وكذلك اقتصاده ونماءه، ومن تلك الآثار:

أولًا: التعرض لغضب الله تعال وعقابه.

وذلك حالَ كانت صور التباهي والافتخار مقرونة بالإسراف والتبذير، وكفر نعمة الله تعالى والبطر عليها.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ وذلك بسلبها عنهم، وعقابه إياهم على كفرها»[2].

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استغنى بـ ﴿ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ عن قوله تعالى: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾[النمل: ٢١]، لكونه أعمْ وأوجز، ولكون إفادة الوعيد

(١) تزكية النفس في ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف، ماجد البنكاني، مقالة إلكترونية استرجعت من العنوان«alukah.net» بتاريخ ٢٠ / ٩ / ١٤٣٨هـ.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٤٧٩).

بضرب من التعريض أوقع في النفس»[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [النحل: ١١٢].

«فجعلها الله تعالى مثلًا لأهل مكة، أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا فجُوزوا بما جُوزوا. وفي إيثار جمع القلة إيذان بأن كفران نعم قليلة أوجبت هذا العذاب، فما ظنك بكفران نعم كثيرة»[2].

فنعم الله تعالى على الإنسان في ماله وبدنه وأهله، تُحفظ بالشكر والتواضع لله تعالى وتزول بالجحود والتباهي بها، والبذخ والتبذير فيها، وصرفها على الوجه الذي يغضب الله تعالى.

ثانيًا: كسر قلوب المساكين باستعراض النعم أمام من حرم منها.

ومن الآثار المترتبة على التباهي والتفاخر ومجاوزة الحد، وإظهار ذلك على الوسائل المرئية والمسموعة ونشره في الآفاق على وسائل التواصل الاجتماعي ليراه القاصي والداني، ومنهم الفقير والمسكين والمُشرَّد والمُعدَم، ومن لا يجد أبسط متطلبات الحياة، ثم يرى مثل هذه المشاهد؛ ينكسر قلبه ويحزن ويصاب بالهم؛ لما يرى من حال هؤلاء وهم يشاركونه في الدين والملة، ثم لا يكون له حظ ولا نصيب من صدقاتهم، أو برهم أو إحسانهم، ثم إن في هذا مخالفة لمقاصد الشرع التي جاءت بوجوب الإحسان إلى المسكين واليتيم ونحوهم.

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٣/ ١٩٤).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٧/ ٤٧٦- ٤٧٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الإسراء: ٢٦]

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ من البر والإكرام الواجب والمسنون ﴿وَٱلْمِسْكِينَ﴾ آتِهِ حقه من الزكاة ومن غيرها لتزول مسكنته»[(١)].

ثالثًا: التباهي بالنعم قد يسبب الضر لصاحبه.

فالمباهاة على الملأ بالحال والمال والممتلكات ونحو ذلك، ونشرها أمام الناس على نطاق واسع قد يسبب الضرر المادي لصاحبه، وذلك من جهة استجلاب الحُسَّاد وضعاف النفوس، وربَّما حقد من لم يجد مثل ما يستعرضه المتباهي من سائر النعم والممتلكات ونحوها.

وقد أشار أهل العلم في ذلك إلى قول يعقوب لنبي الله يوسف -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم-، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾﴾ [يوسف: ٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥].

«وتاسعها: أن أعظم النعمة الإقبال والتعبُّد، ولكل نعمة حاسد على قدرها دَقَّت أو جَلَّت، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة، فإن أنفُس الحاسدين متعلقة بها، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته على الحاسد»[(٢)].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٤ / ٢٧٢).

(٢) الفتاوى، ابن تيمية (١٥ / ١٨).

قال ابن حزم الأندلسي -رحمة الله-:«كم رأينا من فاخر بما عنده من المتاع، كان ذلك سببًا لهلاكه، فإياك وهذا الباب الذي هو ضُرٌّ مَحْضٌ لا منفعة فيه أصلًا»[(١)].

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن البَلِيَّة أن يُبَذِّر في النفقة ويُباهِي بها ليَكْمِد الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر- لإصابته بالعين»[(٢)].

كما أن الواقع يشهد لذلك؛ فكم من أناس تعرضوا للأذى والضر بسبب المبالغة في المباهاة والمفاخرة، واستعراض ما أنعم الله تعالى عليهم أمام الملأ، وعبر القنوات ووسائل التواصل المختلفة.

رابعًا: ترسيخ السلوك الاستهلاكي للمجتمع.

فإن المباهاة والتفاخر والتبذير بالمال والمتاع، وإشهار ذلك عبر منصَّات التواصل الاجتماعي مع ما فيه من المحاذير الشرعية؛ فإنه يؤثر كذلك على قيم المجتمع، ويُعَزِّز في شخصية الناشئةِ السلوكَ الاستهلاكي المُتْرَف، ذلك أنه حينما يشاهد من يرمي النقود للإبل لكي تأكلها كما نُشر عبر مقاطع الفيديو، أو يفرشها للضيف، ونحو ذلك من المواقف، يُرَسِّخ في مُخَيِّلَته قيم التبذير والتباهي بالمال، والتساهل في ذلك، وفي المقابل تتلاشى عنده قيم الجِدِّ والبذل والاجتهاد والإحسان، ونحو ذلك من قيم السلوك الإنتاجي، وقد أكدت دراسة «قمره ٢٠٠٣» وجود علاقة بين قيم الأفراد

(١) الأخلاق والسير (رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل)، ابن حزم، ص ١٧٨.

(٢) صيد الخاطر، ابن الجوزي ص٤٢٤.

وسلوكهم الاستهلاكي، بعد أن أُجْرِيَت الدراسة على عينة مكونة من «٢٠٠» أسرة سعودية، وتوصلت إلى وجود علاقة ارتباطية مُوجَبَة بين القيم الدينية والسلوك الاستهلاكي الرشيد، مما يدل على أن تمسك المستهلك بالقيم الإسلامية يزيد من رشد سلوكه الاستهلاكي(١).

والمؤكد أن المباهاة الاجتماعية والتفاخر ليس من السلوك الاستهلاكي الرشيد، بل هو ضد ذلك لما فيه من البذخ والإسراف، والاستهانة بالنعم ما لا يخفى، وهي أمور عظيمة تخالف ما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من إعلاء شأن العمل والإنتاج، والحث على الإحسان والإتقان فيهما، والبعد عن كل ما من شأنه تعزيز السلوك الاستهلاكي السلبي، وما يَحْوِيه من مفاخرة وتبيد للمال سواء للأفراد أو المجتمعات.

خامسًا: إهدار المال على وجه غير مشروع.

فالتباهي والتفاخر بالمطاعم والمشارب والولائم والأسفار ونحو ذلك مما يجاوز الحد؛ استهلاك للمال في غير موضعه الذي أمر الله تعالى به، فالمال نعمة من الله تعالى والإنسان مستخلف فيه ومؤتمن عليه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ ۝٧ ﴾ [الحديد: ٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله تعالى ﴿ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ ﴾ دليل على أن أصل المُلك لله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وأن العبد ليس له فيه إلا التصرف الذي

(١) أنظر: القيم الإسلامية وعلاقتها بأنماط السلوك الاستهلاكي للأسرة السعودية، هنادي محمد قمرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، مكة المكرمة، قسم الاقتصاد المنزلي ١٤٢٤هـ، ص ١٣٨.

يرضي الله، فيُثِيبه على ذلك بالجنة... قال الحسن: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ بوِراثَتِكم إيَّاه عمَّن كان قبلكم. وهذا يدل على أنها ليست بأموالكم في الحقيقة، وما أنتم فيها إلا بمنزلة النواب والوكلاء، فاغتنموا الفرصة فيها بإقامة الحق قبل أن تُزَال عنكم إلى مَن بعدَكم»(١).

ولا شك أن الإسراف والتبذير والبذخ وصرف المال بهذه الطرق إهدار للمال وضياع له، وعدم حفظ للأمانة التي أُئْتِمَن الإنسان عليها.

سادسًا: تكوين صورة نمطية للمجتمع بأكمله.

فانتشار صور المباهاة والمفاخرة وتداولها على نطاق واسع عبر وسائل التواصل الاجتماعي لتصل إلى أصقاع الدنيا، من شأنه تكوين أفكار مغلوطة وصور نمطية عن ذلك المجتمع الذي تنتشر فيه مثل هذه المظاهر، وإظهاره بأنه مجتمع مترف مبذِّر؛ لا همَّ لأفراده سوى البذخ والتباهي والمفاخرة، وهذه صورة نمطية سيئة، تُرسِّخ في أذهان من لم يعرف المجتمع على حقيقته، وخاصة كون المجتمع مسلمًا محافظًا ينبغي أن يتربى أفراده على العبادة والإيمان، والعمل الجاد، والقيم الأصيلة.

....

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (١٧ / ٢٣٨).

المبحث الثاني :
الأساليب التربوية للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم

إن بناء وتطوير أي مجتمع من المجتمعات ومعالجة مشكلاته تبدأ من تربية أفراد ذلك المجتمع وتنشئتهم تنشئة سوية، وبناء معتقداتهم وقيمهم وأفكارهم وعقولهم وتهذيب سلوكهم بما يمثل بمجموعه صياغة مجتمع قوي متماسك؛ تربَّى على القيم والأخلاق والمُثُل العليا، ولا ريب أن هذا مُتيَسّر متى استُخدِمَت الأساليب الصحيحة في ذلك وهو مُبْتَغَى المربين والعقلاء.

والمتأمل فيما أحدثه القرآن الكريم في بناء أفراد المجتمع في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى أضحى أمثل المجتمعات على الإطلاق. ذلك أن القرآن الكريم حوى أفضل الأساليب، وأصدق المناهج، وأزكى الوسائل، كيف لا؟ وهو وحي من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وعند البحث في أساليب القرآن الكريم، وهي الطريقة الخاصة التي انفرد بها القرآن الكريم في إفادة المعاني بالألفاظ[1] نجد التربية الحقة والتميُّز الفريد؛ حيث يقدم القرآن الكريم النماذج المختلفة في موضوعات شتى لأخذ العظة والعبرة، ومن ذلك تنوع أساليب القرآن الكريم في الوقاية من المباهاة والتفاخر، مابين ذم السلوك المنحرف والتقليل منه، والحث في المقابل على السلوك النبيل وتعزيزه، وكذلك تربية النفس على الشكر والتواضع عند التعامل مع نعم

(١) القرآن الكريم رؤية تربوية، سعيد اسماعيل علي (ص١٥٩).

الله تعالى، وأسلوب ترسيخ مبدأ الوسطية والاعتدال في أمور الدين والدنيا، وغير ذلك من الأساليب التربوية القرآنية، ولعل هذا المبحث يأتي لإبراز هذه الأساليب التي قدمها القرآن الكريم للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية.

المطلب الأول : أسلوب الترهيب والتحذير :

والترهيب يكون بالوعيد والتخويف بآثار مترتبة على العمل المنهي عنه؛ سواء كان هذا الوعيد بالشيء القريب أو البعيد. والأصل في الترهيب أن يكون بالتخويف من غضب الله وسخطه وعقابه الأليم في الآخرة[(١)].

«وهذا الأسلوب يتوافق مع طبيعة النفس البشرية، حيث إن من الدوافع الأساسية التي تحرِّك سلوك الإنسان الدوافع الفطرية، ومنها دافع اتِّقاء الألم الذي يمكن إثارته بالترهيب، لأن الإنسان يبذل جهده ليتجنب ما يسبب له الألم سواء كان ذلك نفسيًا أو جسديًا، وفي سبيل ذلك يتجاوب مع المؤثرات التي تحرك في داخله دافع الخوف من الإصابة بالألم، مما يدعو العقل إلى التأمل والتفكير، ثم اتخاذ موقف للنجاة والفرار من ذلك»[(٢)].

«كما أن من الناس من يتأثر بالمخاوف أكثر من تأثرهم بالمُرَغِّبات والخيرات مهما كانت جليلة. ومن أجل ذلك يضعف لديهم أثر الترغيب بالثواب الجزيل على فعل الخير وترك الشر، لكنهم إذا مَثُلَت المخاوف المحققة في نفوسهم تيقَّظوا وحَذِروا واستقاموا»[(٣)].

(١) أنظر: من أساليب التربية في القرآن الكريم، زينب بشارة يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية ص٥٢.

(٢) تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، محمد السيد الزعبلاوي ص١٩٤.

(٣) أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمد العاني، ص ١٢٥.

ومما جاء في القرآن الكريم للوقاية من المباهاة الاجتماعية التربية بالترهيب والتحذير مما يترتب على تلك الأخلاق الذميمة من مفاسد عظيمة. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ [لقمان: ١٨ – ١٩].

وكذلك من صور أسلوب الترهيب والتحذير في كتاب الله، التربية بالترهيب من مُمَاثلة الشيطان ومُشَابهتِه. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٧].

«وفي الآية تعليل للنهي عن التبذير ببيان أنه يجعل صاحبه ملزوزًا في قرن الشياطين، ...، أي أنهم أصدقاؤهم وأتباعهم فيما ذكر من التبذير والصرف في المعاصي، فإنهم كانوا ينحرون الإبل ويتياسرون عليها، ويبذرون أموالهم في السمعة، وسائر ما لا خير فيه من المناهي والملاهي»(١).

وقال ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لأن الشيطان لا يدعوا إلا إلى كل خصلة ذميمة، فيدعوا الإنسان إلى البخل والإمساك، فإذا عصاه دعاه إلى الإسراف والتبذير»(٢).

«وفي تخصيص هذا الوصف بالذكر من بين صفاته القبيحة، إيذانٌ بأن التبذير الذي هو عبارة عن صرف نعم الله تعالى إلى غير مَصْرَفِها؛ من باب الكفران المقابل للشكر الذي هو صرفها إلى ما خلقت له»(٣).

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي(٨/ ٦٢).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سِعدي(٤/ ٢٧٣).
(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي(٨/ ٦٢).

ولا شك أن المباهاة الاجتماعية والتفاخر بالأموال والممتلكات، ينطوي على كثير من التبذير الذي ذمَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أهلَه، وحذرهم من مشابهة ومماثلة الشيطان. نسأل الله السلامة والعافية.

ويشمل أسلوب الترهيب في القرآن الكريم، التربية بالتحذير من جزاء المباهين والمسرفين في الدنيا والآخرة، وقد جاءت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى لبيان جزاء المسرفين بأنواع الإسراف كلها في الدنيا والآخرة، ومن ذلك؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [طه: ١٢٧].

ومن أسلوب القرآن الكريم في الترهيب من المباهاة وما تنطوي عليهم من إسراف، التربية بالتحذير من ضلال المسرف وعدم هدايته في الدنيا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ [غافر: ٢٨].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الذي وصْفُه السَّرف والكذب –لا ينفك عنهما– لا يهديه الله، ولا يوفقه للخير، لأنه ردَّ الحق بعد أن وصل إليه وعرفه، فجزاؤه أن يعاقبه بأن يمنعه الهُدى»[1].

فهذه النصوص القرآنية العظيمة وغيرها تُبْرِز أحد أهم الأساليب التربوية في القرآن الكريم للوقاية من ظاهرة المباهاة الاجتماعية، عن طريق التحذير والترهيب من الأخلاقيات الذميمة التي تنتج عن التفاخر والمباهاة كالإسراف والتبذير والفخر والخيلاء ونحو ذلك، وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٦/ ٥٢٨).

ويبرز أسلوب الترهيب والتخويف كأحد الأساليب التربوية النافعة؛ لأن الإنسان مفطور على حُبِّ جَلْبِ الخير لنفسه، وكُرْه الشقاء والشر ودفعه عن نفسه، مما يدعوه للاستجابة للمؤثرات الترغيبية والترهيبة بشكل قوي. حيث إن الترغيب والترهيب يقومان على الخوف والرجاء، وهما خطان متقابلان في النفس البشرية[1].

المطلب الثاني: التربية بالقصد والتوسط والاعتدال:

وهو منهج قرآني عظيم يحيط حياة المسلم كلها ويحفظها من غوائل الإفراط والغلو والتنطُّع، ومن التفريط والتساهل والفوضى، والوسطية من أعظم سمات أمة محمدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشَّرِيعَةُ جَارِيَةٌ فِي التَّكْلِيفِ بِمُقْتَضَاهَا عَلَى الطَّرِيقِ الْوَسَطِ الْأَعْدَلِ، الْآخِذِ مِنَ الطَّرَفَيْنِ بِقِسْطٍ لَا مَيْلَ فِيهِ، الدَّاخِلِ تَحْتَ كَسْبِ الْعَبْدِ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ عَلَيْهِ وَلَا انْحِلَالٍ، بَلْ هُوَ تَكْلِيفٌ جارٍ عَلَى مُوَازَنَةٍ تَقْتَضِي فِي جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ غَايَةَ الِاعْتِدَالِ»[2].

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب التربوي العظيم في التحذير من المباهاة والمفاخرة في أمور الدنيا، وحثَّ المؤمنين على التوسط والاعتدال، والقصد في المآكل والمشارب والمراكب والملابس وغير ذلك، دون إفراط أو تفريط.

---

(١) أنظر: أصول التربية الإسلامية، خالد الحازمي ص٣٩٢.

(٢) الموافقات، الشاطبي (٢/ ٢٧٩).

قَالَ تعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

«قال يزيد بن أبي حبيب: أولئك أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كانوا لا يأكلون طعامًا للتنعم واللذة، ولا يلبسون ثوبًا للجمال، ولكن كانوا يريدون من الطعام ما يسُدُّ عنهم الجوع، ويقوِّيهم على عبادة الله، ومن اللباس ما يستر عوراتهم، ويَقِيهم الحر والبرد»[١].

«وَالْقَوَامُ بِفَتْحِ الْقَافِ: الْعَدْلُ وَالْقَصْدُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ. وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَضَعُونَ النَّفَقَاتِ مَوَاضِعَهَا الصَّالِحَةَ كَمَا أَمَرَهُمُ اللهُ فَيَدُومُ إِنْفَاقُهُمْ، وَقَدْ رَغَّبَ الْإِسْلَامُ فِي الْعَمَلِ الَّذِي يَدُومُ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ، وَلِيَسِيرَ نِظَامُ الْجَمَاعَةِ عَلَى كِفَايَةٍ دُونَ تَعْرِيضِهِ لِلتَّعْطِيلِ، فَإِنَّ الْإِسْرَافَ مِنْ شَأْنِهِ اسْتِنْفَادُ الْمَالِ فَلَا يَدُومُ الْإِنْفَاقُ، وَأَمَّا الْإِقْتَارُ فَمِنْ شَأْنِهِ إِمْسَاكُ الْمَالِ فَيُحْرَمُ مَنْ يَسْتَأْهِلُهُ»[٢].

قال القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: «وَإِنَّمَا التَّأْدِيبُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ هُوَ فِي نَفَقَةِ الطَّاعَاتِ فِي الْمُبَاحَاتِ، فَأَدَبُ الشَّرْعِ فِيهَا أَلَّا يُفَرِّطَ الْإِنْسَانُ حَتَّى يُضَيِّعَ حَقًّا آخَرَ أَوْ عِيَالًا وَنَحْوَ هَذَا، وَأَلَّا يُضَيِّقَ أَيْضًا وَيَقْتُرَ حَتَّى يُجِيعَ الْعِيَالَ وَيُفْرِطَ فِي الشُّحِّ، وَالْحَسَنُ فِي ذَلِكَ هُوَ الْقَوَامُ، أَيِ الْعَدْلُ، وَالْقَوَامُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ بِحَسَبِ عِيَالِهِ وَحَالِهِ، وَخِفَّةِ ظَهْرِهِ وَصَبْرِهِ وَجَلَدِهِ عَلَى الْكَسْبِ، أَوْ ضِدِّ هَذِهِ الْخِصَالِ، وَخَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَاطُهَا»[٣].

(١) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ١٠١).

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٩/ ٧٢).

(٣) الجامع لإحكام القرآن، القرطبي (١٣/ ٧٣).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩].

«ففي الآية تمثيلان لمنع الشحيح وإسراف المبذِر، نهى عنهما آمرًا بالاقتصاد بينهما الذي هو الكرم، ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ فتصير ملومًا عند الله وعند الناس بالإسراف وسوء التدبر»(١).

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَقَدْ مَثَّلَ اللهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ حَالَ الشَّحِيحِ بِحَالِ مَنْ كَانَتْ يَدُهُ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِهِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّصَرُّفَ بِهَا، وَمَثَّلَ حَالَ مَنْ يُجَاوِزُ الْحَدَّ فِي التَّصَرُّفِ بِحَالِ مَنْ يَبْسُطُ يَدَهُ بَسْطًا لَا يَتَعَلَّقُ بِسَبَبِهِ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا تَقْبِضُ الْأَيْدِي عَلَيْهِ، وَفِي هَذَا التَّصْوِيرِ مُبَالَغَةٌ بَلِيغَةٌ»(٢).

قال الرازي: «لِكُلِّ خُلُقٍ طَرَفَيْ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ وَهُمَا مَذْمُومَانِ، فَالْبُخْلُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِمْسَاكِ، وَالتَّبْذِيرُ إِفْرَاطٌ فِي الْإِنْفَاقِ وَهُمَا مَذْمُومَانِ، وَالْخُلُقُ الْفَاضِلُ هُوَ الْعَدْلُ وَالْوَسَطُ»(٣).

قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَهَذَا النَّهْيُ يَتَنَاوَلُ كُلَّ مُكَلَّفٍ، سَوَاءٌ كَانَ الْخِطَابُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَعْرِيضًا لِأُمَّتِهِ وَتَعْلِيمًا لَهُمْ، أَوِ الْخِطَابُ لِكُلِّ مَنْ يَصْلُحُ لَهُ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ، وَالْمُرَادُ النَّهْيُ لِلْإِنْسَانِ بِأَنْ يُمْسِكَ إِمْسَاكًا يَصِيرُ بِهِ مُضَيِّقًا عَلَى نَفْسِهِ وَعَلَى أَهْلِهِ، وَلَا يُوَسِّعُ فِي الْإِنْفَاقِ تَوْسِيعًا لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٣/ ٢٥٣).

(٢) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٦٤).

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي (٢٠/ ٣٢٩).

بِحَيْثُ يَكُونُ بِهِ مُسْرِفًا، فَهُوَ نَهْيٌ عَنْ جَانِبَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ. وَيَتَحَصَّلُ مِنْ ذَلِكَ مَشْرُوعِيَّةُ التَّوَسُّطِ، وَهُوَ الْعَدْلُ الَّذِي نَدَبَ اللهُ إِلَيْهِ»[1].

فهذه الآيات العظيمة وغيرها تربية ربانية على القصد والاعتدال، والتوسط في العطاء والمنع والإنفاق، والبعد عن المباهاة والبذخ والتفاخر والإسراف، فهي أخلاق ذميمة وسلوكيات منحرفة عن منهج الله الذي أمر به عباده.

وكذلك فإن من أوجه القصد والاعتدال والتوسط، المُبْعِد عن الفخر والخيلاء والتباهي، هو الاعتدال في اللباس والزينة والقصد في ذلك، حيث إن كثيرًا من صور المباهاة الاجتماعية تَبرُز في السلوكيات المتعلقة باللباس والزينة، وقد جاءت النصوص صريحة في وجوب الاعتدال والتوسط، ولزوم القصد في ذلك.

فقد ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ**»[2].

«وَالْإِسْرَافُ مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ فِي كُلِّ فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ، وَهُوَ فِي الْإِنْفَاقِ أَشْهَر، ...، والمَخِيلَةُ بمعنى الْخُيَلَاء وهو التَّكَبُّر، وَقَالَ الرَّاغِب: الْخُيَلَاء التَّكَبُّر يَنْشَأ عَنْ فَضِيلَة يَتَرَاءَاهَا الْإِنْسَان مِنْ نَفْسه، وَالتَّخَيُّل تَصْوِير خَيَال الشَّيْء فِي النَّفْس»[3].

---

(١) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٦٤).

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس باب ألبس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة، (٢/ ١١٩٢) برقم (٣٦٠٥)، وحسَّن إسناده الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٥٢).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر (١٠/ ٢٦٥).

قَالَ الْمُوَفَّق -عَبْد اللَّطِيف الْبَغْدَادِيّ-: هَذَا الْحَدِيث جَامِعٌ لِفَضَائِل تَدْبِير الْإِنْسَان نَفْسه، وَفِيهِ تَدْبِير مَصَالِح النَّفْس وَالْجَسَد فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَة، فَإِنَّ السَّرَف فِي كُلّ شَيْء يَضُرُّ بِالْجَسَدِ وَيَضُرُّ بِالْمَعِيشَةِ فَيُؤَدِّي إِلَى الْإِتْلَاف، وَيَضُرّ بِالنَّفْسِ إِذْ كَانَتْ تَابِعَة لِلْجَسَدِ فِي أَكْثَر الْأَحْوَال، وَالْمَخِيلَة تَضُرّ بِالنَّفْسِ حَيْثُ تُكْسِبهَا الْعُجْبَ، وَتَضُرُّ بِالْآخِرَةِ حَيْثُ تُكْسِب الْإِثْمَ، وَبِالدُّنْيَا حَيْثُ تُكْسِب الْمَقْتَ مِنْ النَّاس»[١].

فهذه النصوص وغيرها؛ تؤكد القيمة التربوية الكبيرة لهذا الأسلوب القرآني الفريد الذي يربي المجتمع على سلوك القصد والاعتدال، والتوسط في المباحات كلها، فلا سبيل إلى حرمان النفس من مُتَعِ الدنيا ولذاتها، ولا إسراف وخيلاء ومباهاة، وإنما مراعاة التوسط والاعتدال وحُسْن القصد من اللباس وغيره إظهارًا لنعمة الله وشكرًا لها، بعيدًا عن المباهاة والفخر والخيلاء، وقد أكد العلماء على أهمية التوسط والاعتدال في الملبس والزينة ونحوها.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُرُوءَةَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُعْتَدِلَ الْحَالِ فِي مُرَاعَاةِ لِبَاسِهِ مِنْ غَيْرِ إكْثَارٍ وَلَا اطِّرَاحٍ، فَإِنَّ اطِّرَاحَ مُرَاعَاتِهَا وَتَرْكَ تَفَقُّدِهَا مَهَانَةٌ وَذُلٌّ، وَكَثْرَةَ مُرَاعَاتِهَا وَصَرْفَ الْهِمَّةِ إلَى الْعِنَايَةِ لَهَا دَنَاءَةٌ وَنَقْصٌ»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « وَكَذَلِكَ لُبْسُ الدَّنِيءِ مِنَ الثِّيَابِ يُذَمُّ فِي مَوْضِعٍ وَيُحْمَدُ فِي مَوْضِعٍ، فَيُذَمُّ إِذَا كَانَ شُهْرَةً وَخُيَلَاءَ، وَيُمْدَحُ إِذَا كَانَ تَوَاضُعًا

(١) المرجع السابق (١٠/ ٢٦٥).

(٢) أدب الدنيا والدين، الماوردي(١/ ٣٥٤).

وَاسْتِكَانَةً، كَمَا أَنَّ لُبْسَ الرَّفِيعِ مِنَ الثِّيَابِ، يُذَمُّ إِذَا كَانَ تَكَبُّرًا وَفَخْرًا وَخُيَلَاءَ، وَيُمْدَحُ إِذَا كَانَ تَجَمُّلًا وَإِظْهَارًا لِنِعْمَةِ اللهِ»(١).

المطلب الثالث: ترسيخ قيمة التواضع عند استقبال النعم:

وهو أسلوب تربوي عظيم دعا إليه القرآن الكريم، فكلما زادت نعم الله تعالى للعبد قابلها بالتواضع والتذلل لله تعالى والتواضع لخلق الله.

وقد تمثَّل هذا الخلق أنبياء الله تعالى -عليهم الصلاة والسلام-، فقد وهب الله تعالى أنبياءه داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ النبوةَ والعلمَ والحكمةَ والملكَ وكثرةَ المال وغير ذلك من أصناف النعم، ومع ذلك اعترفا بنعمة الله شكرًا وتواضعًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾﴾ [النمل: ١٥].

﴿وَقَالَا﴾ شاكرَين لربهما مِنَّته الكبرى بتعليمهما، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا﴾ بالعلم والنبوة وتسخير الطير والجن والإنس، ولم يفضِّلوا أنفسهم على الكل تواضعًا منهم(٢).

قال ابن سِعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:«وهذا عنوان سعادة العبد أن يكون شاكرًا لله على نعمه الدينية والدنيوية، وأن يرى جميع النعم من ربه، فلا يفخر بها ولا يعجب بها، بل يرى أنها تستحق عليه شكرًا كثيرًا»(٣).

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم(١/ ١٤٦).
(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٥/ ٥٦٦)، فتح القدير الشوكاني (٤/ ١٤٩).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٥/ ٥٦٧).

ولما وصل عرش بِلْقيس إلى سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بهذا التسخير وهذه السرعة والقوة، لم يتكبر ويتجبر، وإنما تواضع شكرًا لله تعالى، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل: ٤٠].

قال: تلقيًا للنعمة بالشكر، على شاكلة المخلصين من عباد الله تعالى ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾ تفضل به عليَّ من غير استحقاق، والإشارة إلى التمكُّن من إحضار العرش في مدة ارتداد الطَّرف[١].

والمعنى: أنه لا يرجع نفعُ ذلك إلا إلى الشاكر، ومن كفر بترك الشكر فإن ربي غنيٌّ عن شكره، كريمٌ في ترك المُعاجلة بالعقوبة بنزع نعمه عنه، وسَلْبه ما أعطاه منها[٢].

وأما المتباهي والمتعالي والمتكبر هو من يجحد نعمة الله تعالى، وينسبها إلى قوته وجبروته، كما ذكر تعالى عن قارون. ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ ﴿٧٨﴾﴾ [القصص: ٧٨].

وقد ضَرَبَ نبيُّنا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أروع المثل في التواضع والانكسار بين يدي الله تعالى في مقابلة نعمه العظيمة، وكان ذلك يوم فتح مكة، وهو الفتح الأعظم حيث دخل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة وهو راكب على ناقته، وعلى رأسه المِغْفَر، ورأسُه يكاد يمسُّ مُقدِّمة الرَّحْل من تواضعه لربه عَزَّوَجَلَّ[٣].

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٤/ ١٦١).

(٢) فتح القدير، الشوكاني (٤/ ١٦١).

(٣) الفصول في سيرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابن كثير، ص٢٠١.

ولهذا «شُرِعَ لَهَا سُجُودُ الشُّكْرِ؛ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَيْهَا، وَخُضُوعًا لَهُ وَذُلًّا، فِي مُقَابَلَةِ فَرْحَةِ النِّعَمِ وَانْبِسَاطِ النَّفْسِ لَهَا، وَذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ أَدْوَائِهَا؛ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ وَلَا الْأَشِرِينَ؛ فَكَانَ دَوَاءُ هَذَا الدَّاءِ الْخُضُوعَ وَالذُّلَّ وَالِانْكِسَارَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ، وَكَانَ فِي سُجُودِ الشُّكْرِ مِنْ تَحْصِيلِ هَذَا الْمَقْصُودِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهِ»(١).

۞ المطلب الرابع: أسلوب الامتنان بنعم الله:

ذلك أن تَذكُّر نعم الله تعالى واستحضارها دومًا؛ يردع النفس عن التباهي والتفاخر على الآخرين، بل يحثُّها على التواضع والبعد عن هذا الخلق الذميم، ونعم الله تعالى على العبد لا تعد ولا تحصى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

«يمتَنُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على عباده بنعمه، ويدعوهم إلى شكرها ورؤيتها وعدم الغفلة عنها. وَإِسْبَاغُ النِّعَمِ: إِكْثَارُهَا...وَالنِّعْمَةُ: الْمَنْفَعَةُ الَّتِي يَقْصِدُ بِهَا فَاعِلُهَا الْإِحْسَانَ إِلَى غَيْرِهِ»(٢).

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۝٣٤﴾ [إبراهيم: ٣٤].

أي: «وإن يتعرضوا لِتَعْداد النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم إجمالًا، فضلًا عن التفضيل، لا تطيقوا إحصاءها بوجه من الوجوه، ولا تقوموا بحصرها

(١) إعلام الموقعين على رب العالمين، ابن القيم (٢/ ٢٩٦).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٦/ ١٦١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢١/ ١٧٤).

على حال من الأحوال ... ومن المعلوم أنه لو رَامَ فرد من أفراد العباد أنه يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسَّة من حَواسِّه لم يقدر على ذلك قط، ولا أمكنه أصلًا، فكيف بما عدا ذلك من النعم، في جميع ما خلقه الله في بدنه، فكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف أجناسها»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة مُنتَظَرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها، فإذا أراد الله إتمام نعمته على عبده، عرَّفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدًا يُقيِّدُها به حتى لا تَشرُد، فإنها تَشرُد بالمعصية وتُقيَّد بالشكر، ووفقه لعمل يَسْتَجلِب به النعمةَ المنتظرة، وبَصَّره بالطرق التي تسدُّها وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وَإذا بها قد وافَت إليه على أتمِّ الوُجُوه وعرَّفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها»[2].

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ ٨١﴾ [النحل: ٨١].

«يذكر تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ تمام نعمه على عبيده، بما جعل لهم من البيوت التي هي سكن لهم يأوون إليها ويستترون بها، وينتفعون بها سائر وجوه الانتفاع»[3].

«فإنه سبحانه قد مَنَّ على عباده بصُنوف النعم المذكورة هاهنا وبغيرها، وهو بفضله وإحسانه سيُتِمُّ لهم نعمة الدين والدنيا»[4].

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، محمد صديق القنوجي (٧/ ١١٩-١٢٠).
(٢) الفوائد، ابن القيم ص٢٤٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٤/ ٥٩١).
(٤) فتح القدير، الشوكاني(٣/ ٢٢١).

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾ هذه السورة تسمى سورة النِّعَم[1].

والعاقل هو من يتَّعِظ بهذه الآيات، ويتمسك بدلالاتها التربوية العظيمة؛ ذلك أن تذكر الإنسان لمن أمتن عليه بهذه النعم كلها يدفعه يقينًا لعدم المباهاة بها والتفاخر على الآخرين بوجودها، فهي هبة من الله تستوجب الشكر والعرفان، ومن ذلك تجنُّب مثل هذه الأخلاق الرديئة من التباهي والتفاخر بالمال أو الجاه أو الملبس أو المسكن أو غيرها، فهي بيد المنعم -سبحانه- إن شاء سلبها، وإن شاء أدامها.

وهذا أسلوب تربوي نافع، جاء به القرآن الكريم لتطهير النفوس ووقايتها من المباهاة والمفاخرة وسائر الأخلاق الذميمة، حيث إنه يخاطب النفس الإنسانية، ويذكِّرها بالمُنعم المُتَفَضِّل -سبحانه- لعلها تتَّعظ وتتذكر.

المطلب الخامس: تربية النفس على دوام الشكر:

من أساليب القرآن الكريم للوقاية من المباهاة والمفاخرة بين أفراد المجتمع؛ ترسيخ مبدأ الشكر والثناء على المنعم سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وتربية النفس على ذلك، وهو ضمانة ربانية للبعد عن هذا الخلق الذميم، فالشاكر لنعم الله بعيد كل البعد عن التفاخر والتباهي والإسراف والتبذير، يستحضر على الدوام فضل الله تعالى ونعمته ولزوم شكره.

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٥٩١).

وقد جاءت نصوص كثيرة في كتاب الله تعالى تُهَذِّب النفس، وتحثُّها على دوام شكر الله تعالى على نعمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾ [البقرة: ١٧٢].

«وهذا أمر للمؤمنين خاصة بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي بسبب إيمانهم. فأمر بأكل الطيبات من الرزق والشكر لله على إنعامه، باستعمالها لطاعته، والتَقَوِّي بها إلى ما يوصل إليه»[١].

«فدلت الآية على أن من لم يشكر الله لم يعبده وحده، كما أن من شكره فقد عبده، وأتى بما أُمر به، ويدل أيضًا على أنَّ أكل الطيب سبب للعمل الصالح وقبوله، والأمر بالشكر عُقَيب النعم، لأن الشكر يحفظ النعم الموجودة، ويجلِب النعم المفقودة، كما أن الكفر يُنفِّر النعم المفقودة، ويُزيل النعم الموجودة»[٢].

وقد كان دأب الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ دوام الشكر لله تعالى، فهذا سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ يدعوا ربه أن يلهمه الشكر على نعمه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ [النمل: ١٩].

أي: «ألهمني أن أشكر نعمتك التي مَنَنْتَ بها عليَّ؛ من تعليمي مَنْطِقَ الطير والحيوان، وعلى والديَّ بالإسلام لك، والإيمان بك»[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (١/ ٢٠٤).
(٢) المرجع السابق (١/ ٢٠٤).
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ١٨٤).

والمعنى: «اجعلني ملازمًا شكر نعمتك. وإنما سأل الله الدوام على شكر النعمة لما في الشكر من الثواب ومن ازدياد النعم»[(١)].

وحقيقة الشكر: «ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبة، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعة»[(٢)].

كما بيَّن الله تعالى أن دوام الشكر سبب لزيادة النعم وحفظها والتنعم بها، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧]

أي:«لئن شكرتم إنعامي لأزيدنَّكم من فضلي، أو لئن شكرتم نعمتي لأزيدنَّكم من طاعتي، والمعنى متقارب في هذه الأقوال، والآية تنص على أن الشكر سبب المزيد»[(٣)].

المطلب السادس: ذم السلوكيات المنحرفة:

تمثل المباهاة الاجتماعية إحدى صور السلوك المُتْرَف المُبَذِّر، أو السلوك المتكبر المُتبَخْتِر، المجاوز للحد البعيد عن الضوابط الشرعية والقيم الاجتماعية.

ولعل من أهم الأساليب التربوية في القرآن الكريم للوقاية من هذه الآفة؛ تصوير هذه السلوكيات الذميمة، وتَجْلِيَة أثرها على الفرد والمجتمع، وكيف تكون سببًا في الضر والهلاك، ليرتدع أفراد المجتمع عن سلوكها إدراكًا لعاقبتها، وهو أسلوب تربوي غير مباشر عظيم النفع والفائدة.

(١) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٩ / ٢٤٤).
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم (٢ / ٢٣٤).
(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٩/ ٣٤٣).

ومن السلوكيات الذميمة التي حذر القرآن منها وذمَّ أهلها هو الترف، وهو أعظم الأسباب المؤدية إلى التباهي والتفاخر والاعتزاز بالنفس والمال ونحو ذلك.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦﴾ [الإسراء: ١٦].

والمُترَفون هم المتنعمون الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش[(١)].

فالترف هو الإغراق في التنعم، والتوسع في أسباب الرفاهية، والمترف: المتنعم الذي أبطرته النعمة وسعة العيش، وللترف جانبان أحدهما مادي، وهو التنعم، وآخر معنوي، وهو البطر[(٢)].

«وتعليق الأمر بخصوص المترفين مع أن الرسل يخاطبون جميع الناس، لأن عصيانهم للأمر الموجَّه إليهم هو سبب فسقهم وفسق بقية قومهم؛ إذ هم قادة العامة وزعماء الكفر، فالخطاب في الأكثر يتوجه إليهم، فإذا فسقوا عن الأمر أتبعهم الدهماء فعمَّ الفسق أو غلب على القرية فاستحقت الهلاك»[(٣)].

ومن سمات المترفين أنهم يزدرون نعم الله تعالى، ويبالغون في التباهي بها وصرفها في غير موضعها طلبًا للفخر والمباهاة والخيلاء، أو يمسكونها عن مستحقيها ويبخلون بها عليهم.

(١) زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي (١٣/ ١٦).

(٢) موقف القرآن الكريم من الترف والمترفين، محمد فتحي حسان، مقالة الكترونية تم استرجاعها من العنوان « «alukah.net بتاريخ ٣/ ١٠/ ١٤٣٨هـ.

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (١٥/ ٥٥).

ومن السلوكيات الذميمة المتعلقة بالمباهاة الاجتماعية والتي حذر القرآن الكريم منها أشد التحذير خلق البَطَر. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥٨﴾ [القصص: ٥٨].

أي: «من أهل قرية كانوا في خَفْضِ عيش، ودَعَةٍ ورخاء، فوقع منهم البطر فأُهلِكوا، و البَطَر: الطغيان عند النعمة»(١).

«وفي الآية تخويف لقريش من سوء عاقبة أقوام كانوا في مثل حالهم من الأمن والرزق، فغمطوا النعمة وقابلوها بالبطر»(٢).

قال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «البَطَر: دَهَشٌ يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها، وصرفها إلى غير وجهها»(٣).

ومن السلوكيات المتعلقة بالمباهاة الاجتماعية والتي جاء ذمها في كتاب الله تعالى التبذير. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦].

أي: لا تسرف في الإنفاق في غير حق. قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هو إنفاق المال في غير حقه(٤).

قال الجرجاني: «التبذير هو تفريق المال على وجه الإسراف»(٥).

---

(١) فتح القدير، الشوكاني (٤ / ٢٠٨).

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٠/ ١٥٠).

(٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (١/ ١٢٩).

(٤) الجامع لإحكام القرآن، القرطبي (١٠/ ٢٤٧).

(٥) التعريفات، الجرجاني (١/ ٥١).

وهذا الجزاء له أثر بالغ في توجيه النفوس إلى ضرورة العمل بأحكام الدين، واتباع أوامره واجتناب نواهيه، والالتزام بالضوابط الشرعية الخاصة بالاستهلاك[1].

ففي ذم القرآن الكريم لهذه السلوكيات وغيرها، حماية لمكونات المجتمع من الوقوع فيها، وموعظة تنبه الغافلين الذين ألهتهم الدنيا وزخرفها فأخذوا في التباهي والتفاخر والبطر، وتحذرهم من عاقبة ذلك ومغبته، وهو أسلوب تربوي نافع للوقاية من مثل هذه الظواهر التي تُنْذِر بهلاك المجتمع.

ومن السلوكيات الذميمة التي حذر منها القرآن الكريم: المرح والتبختر، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًاۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ٣٧﴾ [الإسراء: ٣٧].

أي: كبراً وتيهًا وبطرًا، متكبراً على الحق، ومُتعاظِمًا في تكبرك على الخلق[2].

والمراد بالمرح في هذه الآية التكبر في المشي وتجاوز الإنسان قَدرَه، والخيلاء والفخر[3].

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخْتَرُ يَمْشِى فِي بُرْدَيْهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ فَخَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**»[4].

---

(١) التربية البيئية في الوطن العربي، إبراهيم عصمت مطاوع، ص ١٢٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٤/ ٢٧٨).

(٣) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٧١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب (اللباس والزينة)، باب (تحريم التبختر في المشي) (١٤/ ٢٩٠) برقم (٥٤٣٤)

فهذه النصوص واضحة في تربية النفس على البعد والحذر من هذه السلوكيات الذميمة، والتي لا تخلوا منها المباهاة الاجتماعية أو من بعضها.

المطلب السابع: أسلوب النمذجة الإيجابية والسلبية:

وهذا الأسلوب التربوي من أعظم الأساليب التي اتخذها القرآن الكريم لتربية نفوس المؤمنين، وتنشئتهم على السلوك القويم وتحذيرها من ضده.

فضرب مثلًا للشاكرين الحامدين لنعم الله المتواضعين له ولخلقه، كما ضرب المثل للمتباهين المتفاخرين الأَشِرِين.

والمقصود بالنمذجة هنا: الأمثال التي يضربها الله تعالى للناس في كتابه الكريم للتفكر والتعقل وفهم الأوامر والنواهي، والمثل في القرآن الكريم يطلق ويراد به ذكر نموذج أو أكثر لنوع من الأنواع أو عمل من الأعمال، أو سنة من سنن الله نظرًا للتشابه الموجود بين أفراد النوع الواحد(١).

وللمثل والنموذج غايات تربوية وآثار عميقة تصل إلى المتلقي وتُرسَّخ في نفسه ومن تلك الغايات: التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير، وترتيب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس، بحيث يكون نسبته للفعل كنسبة المحسوس إلى الحس، وتأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر، وعلى المدح والذم وعلى الثواب والعقاب، وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره، وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر(٢).

(١) النعم في ضوء سورة النحل، إدريس حامد محمد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ ص٣٦٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي (١/ ٤٨٧).

من النماذج التي جاء بها القرآن الكريم ذكر الشاكرين الحامدين لنعم الله تعالى، وكذلك ذكر من كفر بنعم الله وبطر، وركن إلى الملذات والشهوات، واغتر بما عنده للتفاخر والتباهي، لتكون عبرة وعظة للمؤمنين.

وقد ضرب الله تعالى المثل بأنبيائه ورسله -عليهم الصلاة والسلام- وهم أشرف الخلق، وجعل منهم القدوة والأسوة في التعامل مع نعم الله وآلاءه، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرًا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ ١٢١﴾ [النحل: ١٢٠ – ١٢١].

«فيخبر الله تعالى عما فضَّل به خليله إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وخصَّه به من الفضائل العالية والمناقب الكاملة»[(١)].

«ومنها كونه شاكرًا لله تعالى؛ أي قائمًا بشكر نعم الله عليه، ولو كانت قليلة، كما يدل عليه جمع القلة، فهو شاكر لما كَثُر منها بالأولَى»[(٢)].

وكذلك للتصريح بأنه عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ على خلاف ما هم عليه من الكفران بأنعم الله تعالى، حسبما أشير إليه بضرب المثل[(٣)].

فهذا النموذج الرائع لمقابلة نعم الله تعالى وإحسانه بالشكر والعرفان بعيدًا عن البطر والأشر والتباهي والتفاخر، عبرة لكل مسلم، وقدوة لكل فرد من أفراد المجتمع في التعامل مع نعم الله كبيرها وصغيرها.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي(٤/ ٢٥٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير(٤/ ٦١١)، فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٤١).

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (٧/ ٤٨٤).

«والشكر للنعم مبني على ثلاثة أركان: الإقرار بالنعمة، وإضافتها إلى المنعم بها، وصرفها في مرضاته والعمل فيها بما يجب، فلا يكون العبد شاكرًا إلا بهذه الأشياء الثلاثة»[(١)].

النموذج الثاني للحامدين الشاكرين لنعم الله وآلائه هو: نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

فقد وصفه الله تعالى بكثرة الشكر، وجعله كالعلة لما قبله، إيذانًا بكون الشكر من أعظم أسباب الخير، ومن أفضل الطاعات حثًّا لذريته على شكر الله تعالى[(٢)].

فنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ كان عبدًا شكورًا، يحمد الله تعالى على مجامع حالاته، وفيه إيماءٌ بأنَّ إنجاءَه ومن معه كان ببركة شكره، وحثٌّ لذريته على الاقتداء به[(٣)].

وكذلك هو حال نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد كان من الشاكرين، كما ثبت في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقوم من الليل حتى تَتَفَطَّر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحبُّ أن أكون عبدًا شكورًا[(٤)].

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم (١/ ١٧٤)

(٢) فتح القدير، الشوكاني (٣/ ٢٨٤).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي (٣/ ٢٨٤).

(٤) البخاري، كتاب التفسير(تفسير سورة الفتح)باب: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر (٨/ ٤٤٨) برقم (٤٨٣٧).

فهذه نماذج رائعة للتحفيز والحثِّ على الاقتداء بهم، والتمسك بهديهم في التعامل مع نعم الله تعالى.

كما ذكر الله تعالى في كتابه نماذج بطرت نعمة الله، وكفرت بها، وتجاوزت الحد في ذلك، فكان لهم أشد العقاب، وهي نماذج للحذر من تلك السلوكيات التي أدت بهم إلى ذلك والبعد عن أسبابها.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

أي جعل الله القرية التي هذه حالها مثلًا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولَّوا، فأنزل الله بهم نقمته[(١)].

والمعنى: جعلها الله تعالى مثلًا لأهل مكة، أو لكل قوم أنعم الله تعالى عليهم فأبطرتهم النعمة ففعلوا ما فعلوا، فجُوزوا بما جُوزوا[(٢)].

«وفي الآية أن كون النعمة واصلة إليهم يوجب أن يكون كفرانها سببًا للتبديل»[(٣)].

وكذلك من النماذج التي أبرزها القرآن الكريم للمتباهين الجاحدين لنعم الله: أهل سبأ.

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري (٢/ ٦٣٨).

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي(٧/ ٤٧٦).

(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(٣/ ٤٧٧).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ – ١٧].

فلما بيَّن الله تعالى حال الشاكرين لنعمه بذكر داود وسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ؛ بيَّن حال الكافرين بأنْعُمه، بحكاية أهل سبأ[(١)].

ثم ذكر سبحانه ما كان منهم بعد هذه النعمة التي أنعم بها عليهم، حيث أعرضوا عن الشكر، وكفروا بالله، وكذبوا أنبياءه، فلما وقع منهم الإعراض عن شكر النعمة أرسل الله عليهم نقمة سَلَبَ بها ما أنعم به عليهم[(٢)].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن نعم الله ولطفه بالناس عمومًا، وبالعرب خصوصًا، أنه قصَّ في القرآن أخبار المُهْلَكين والمُعَاقَبين، ممن كان يجاور العرب، ويشاهد آثاره، ويتناقل الناس أخباره، ليكون ذلك أدْعَى إلى التصديق وأقرب للموعظة»[(٣)].

«فهذه القصة تمثيلُ أُمةٍ بأُمةٍ، وبلاد بأخرى، وذلك من قياسٍ وعبرة، وهي فائدة تدوين التاريخ وتقلبات الأمم، فسَوق هذه القصة تعريضٌ بأشباه سبأ»[(٤)].

(١) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(٢٥/ ٢٠٠).
(٢) فتح القدير، الشوكاني(٤/ ٣٦٧).
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي(٦/ ٢٦٨).
(٤) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢٢/ ١٦٥).

«فهذا إذا سمع بقصتهم، وما جرى منهم وعليهم، عرف بذلك أن تلك العقوبة جزاءً لكفرهم نعمة الله، وأن من فعل مثلهم فُعِل به كما فعل بهم، وأن شكر الله تعالى حافظ للنعمة، دافع للنقمة»[١].

المطلب الثامن : أسلوب الخطاب الوجداني :

ذلك أن النفس البشرية كلما توالت عليها النعم وتعددت، قد تُصاب بالنشوة والفرح، وربما البطر والإعجاب بالنفس، والتعالي على الآخرين، والشعور بالأفضلية عليهم؛ وهو شعور وجداني داخلي يقود الإنسان إلى التباهي والتفاخر، متناسيًا المنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مُعْتَدًا بنفسه.

ولذا جاء القرآن الكريم بتوجيه تربوي عظيم، يخاطب القلب والعقل تذكيرًا بالمنعم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتحصينًا للنفس من الآفات المهلكة.

فبعد غزوة الأحزاب كان التوجيه الرباني العظيم للصحابة الكرام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الأحزاب: ٩].

«يقول تعالى مخبراً عن نعمته وفضله وإحسانه إلى عباده المؤمنين؛ في صرفه أعدائهم وهزمه إياهم عام تألَّبوا عليهم، وتحزَّبوا وذلك عام الخندق»[٢].

«فأُمِروا أن يتذكروا هذه النعمة ولا ينسوها، لأن في ذكرها تجديدًا للاعتزاز بدينهم، والثقة بربهم، والتصديق لنبيهم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[٣].

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي (٦/ ٢٧٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٦/ ٣٨٣).

(٣) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور (٢١/ ٢٧٧).

وكذلك في غزوة بدر يُذَكِّر صحابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن المنعم هو الله. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

يُنَبِّه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم وإحسانه إليهم، حيث كانوا قليلين فكثَّرهم، ومستضعفين خائفين فقوَّاهم ونصرهم، وفقراء عالة فرزقهم من الطيبات، واستشكرهم فأطاعوه، وامتثلوا جميع ما أمرهم. وهذا كان حال المؤمنين -حال مقامهم بمكة- قليلين مستخفين مضطرين، يخافون أن يتخطَّفهم الناس من سائر بلاد الله، من مشرك ومجوسي ورومي، كلهم أعداء لهم لقلتهم وعدم قوتهم، فلم يَزَلْ ذلك دأبُهم حتى أَذِنَ الله لهم في الهجرة إلى المدينة، فآواهم إليها، وقيَّض لهم أهلها، آووا ونصروا يوم بدر وغيره، وآسَوا بأموالهم، وبذلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله»[(١)].

وبعد؛ فهذه أبرز الأساليب التربوية الواردة في كتاب الله تعالى للوقاية من المباهاة الاجتماعية، وحماية الأفراد والمجتمعات من آثارها وأخطارها، والعبرة بعد هذا بالتمسك بكتاب الله تعالى، وامتثال ما جاء به من أساليب عظيمة في واقعنا الاجتماعي، وضبط سلوك الأفراد وأقوالهم وأفعالهم بالضوابط الشرعية، والقيم الاجتماعية، التي من شأنها الارتقاء بسلوكهم الاجتماعي وإكسابهم القيم الحميدة، والنأْي بهم عن التفاخر والمباهاة والزهو والبطر، وغيرها من الأخلاق الذميمة .

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (٤/ ٤٠).

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث، وهذه الجولة الماتعة في كتاب الله تعالى، يَخلُص الباحث إلى أهم النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

أهم النتائج:

١) أبرز البحث أن المباهاة في النصوص اللغوية والاصطلاحية والشرعية تأتي على ثلاثة أنواع.

٢) تتنوع وتتعدد صور المباهاة الاجتماعية، ويجمع بينها معاني الظهور والبروز والفخر والتعالي على الآخرين.

٣) للقرآن الكريم منهج واضح في التحذير والتنفير من صور المباهاة الاجتماعية، وبيان المفاسد المترتبة عليها.

٤) أشار القرآن الكريم إلى جملة من الأساليب التربوية العظيمة من شأن التمسك بها وتطبيقها، المحافظة على السلوك الاجتماعي، والبعد عن المباهاة الاجتماعية والتفاخر المذموم.

٥) تنوعت أساليب القرآن الكريم في الوقاية من المباهاة الاجتماعية ما بين أساليب تخاطب العقل، وأخرى تخاطب الوجدان، وثالثة تقدم النموذج للتأسي والاقتداء، أو الحذر والابتعاد، وغير ذلك من الأساليب العظيمة.

أهم التوصيات :

١) إجراء دراسة لبناء إستراتيجية عملية للتصدِّي لمظاهر المباهاة الاجتماعية من خلال وسائل التواصل الاجتماعي.

٢) تقديم مشروع علمي تربوي يستند إلى كتاب الله تعالى وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يهدف إلى رعاية السلوك الاجتماعي والرقي به، وضبطه بالضوابط الشرعية، كما يهدف إلى التصدي للسلوكيات الاجتماعية المنحرفة كالمباهاة والتفاخر ونحوها، وفق آلية عمل واضحة ومتدرجة، ويتم تنفيذ هذا المشروع وتطبيقه عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والقنوات الفضائية وغيرها من المنابر الإعلامية.

المصادر والمراجع

١. إحياء علوم الدين – الغزالي، محمد بن محمد، (د.ط) بيروت، دار المعرفة، (د: ت).

٢. الأخلاق والسير (رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل)، ابن حزم الأندلسي، تحقيق إيفا رياض وعبد الحق التركماني، الطبعة الأولى، بيروت، دار ابن حزم، ١٤٢١هـ.

٣. أدب الدنيا والدين، الماوردي، علي بن محمد، (د.ط)، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م.

٤. أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، العاني، زياد محمد، (د.ط)، عمَّان، دار عمار، ١٤٢٠هـ.

٥. أصول التربية الإسلامية، الحازمي، خالد بن حامد، الطبعة الثانية، المدينة المنورة، دار الزمان، ١٤٢٦هـ.

٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ.

٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، عبدالله بن عمر، تحقيق: محمد عبدالرحمن المرعشلي، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

٨. البرهان في علوم القرآن، الزركشي، بدر الدين، تحقيق: محمد أبو الفضل، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م.

٩. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، (د:ط)، تونس، الدار التونسية، للنشر، ١٩٨٤م.

١٠. التربية البيئية في الوطن العربي، مطاوع، إبراهيم عصمت، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤١٥هـ.

١١. تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس، الزعبلاوي، محمد السيد، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة التوبة، ١٤١٤هـ.

١٢. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ.

١٣. تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثالثة، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٦هـ.

١٤. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، الحميدي، محمد بن فتوح، تحقيق: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة السنة، ١٤١٥هـ.

١٥. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر، الطبعة الثانية، عنيزة، مركز صالح بن صالح الثقافي، ١٤١٢هـ.

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ.

١٧. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفشي، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ.

١٨. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي، محمود بن عبدالله، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

١٩. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، الطبعة الخامسة والعشرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤١٢هـ.

٢١. الزهد، ابن حنبل، أحمد بن محمد الشيباني، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ.

٢٢. سنن النسائي، النسائي، أحمد بن شعيب، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٦هـ.

٢٣. سنن ابن ماجه، القزويني، محمد بن يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (د:ط)، بيروت، دار إحياء الكتب العربية، (د:ت).

٢٤. سنن أبي داود، السجستاني، سليمان بن الأشعث، الطبعة الثانية، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

٢٥. الشامل(قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، مصلح الصالح، الطبعة الأولى، الرياض، دار عالم الكتب، ١٤٢٠هـ.

٢٦. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، الزرقاني، محمد بن عبد الباقي، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، الأولى، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٤هـ.

٢٧. صحيح البخاري مع الفتح، البخاري، محمد بن إسماعيل، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٩هـ.

٢٨. صحيح مسلم، القشيري، مسلم بن الحجاج، تحقيق: خليل مأمون شيحا، الطبعة الخامسة عشرة، بيروت، دار المعرفة، ١٤٢٩هـ.

٢٩. صيد الخاطر، ابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج، تحقيق: محمد عبدالرحمن عوض، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٤هـ.

٣٠. العقيدة الواسطية، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: أشرف عبد المقصود، الطبعة الثانية، الرياض، أضواء السلف، ١٤٢٠هـ.

٣١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الريان للتراث، ١٤٠٩هـ.

٣٢. فتح البيان في مقاصد القرآن، القِنّوجي، محمد صديق خان، تحقيق: عبد الله إبراهيم الأنصاري، بيروت، المكتبة العصرية للنشر، ١٤١٢هـ.

٣٣. فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي، الطبعة الأولى، دمشق، دار ابن كثير، ١٤١٤هـ.

٣٤. فصول في اجتماعيات التربية، زيادة، مصطفى عبد القادر وآخرون، الطبعة السادسة، الرياض، مكتبة الرشد، ١٤٢٧هـ.

٣٥. الفصول في سيرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: محمد العيد الخطراوي ومحي الدين مستو، الطبعة الثالثة، المدينة المنورة، مكتبة دار التراث، ١٤١٣هـ.

٣٦. الفوائد، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد عثمان الخشت، الطبعة الرابعة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ.

٣٧. القاموس المحيط، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، الطبعة الأولى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١م.

٣٨. القرآن الكريم رؤية تربوية، علي، سعيد إسماعيل، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٤٢١هـ.

٣٩. القول المفيد على كتاب التوحيد، ابن عثيمين، محمد بن صالح، تحقيق: سليمان أبا الخيل وخالد المشيقح، (د.ط)، الرياض، دار العاصمة، ١٤٢٦هـ.

٤٠. القيم الإسلامية والتربية، أبو العينين، مصطفى خليل، (د:ط)، المدينة المنورة، مكتبة الحلبي، ١٤٠٨هـ.

٤١. لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩م.

٤٢. مبادئ علم الاجتماع، أحمد رأفت عبد الجواد، (د:ط)، القاهرة، دار نهضة الشرق، ١٤٠٢هـ.

٤٣. مجموع الشضفتاوى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (د: ط)، المدينة المنورة، مجمع طباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ.

٤٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الطبعة الثالثة، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٦هـ.

٤٥. المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية، العساف، صالح حمد، الطبعة الثانية، الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٠م.

٤٦. المرشد في كتابة البحوث، فوده، محمد حلمي، وعبدالله، عبدالرحمن صالح. الطبعة السادسة، جدة، دار الشروق، ١٤١٠هـ.

٤٧. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، الملا الهروي، أبو الحسن نور الدين، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٢هـ.

٤٨. المصباح المنير، الفيومي، أحمد بن محمد، (د:ط)، بيروت، مكتبة لبنان، (د:ت).

٤٩. معجم اللغة العربية المعاصرة، عمر، أحمد مختار، الطبعة الأولى، القاهرة، عالم الكتب، ١٤٢٩هـ.

٥٠. المعجم الوسيط، الزيات، أحمد حسن وآخرون، الطبعة الثانية، تركيا، المكتبة الإسلامية، ١٩٧٢م.

٥١. مفاتيح الغيب، الرازي، محمد بن عمر، الطبعة الثالثة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٤٢٠هـ.

٥٢. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإدارة، ابن القيم، محمد بن أبي بكر، (د:ط)، بيروت، دار الكتب العلمية، (د:ت).

٥٣. المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الراغب، تحقيق: صفوان عدنان الراوي، الطبعة الأولى، دمشق، دار القلم، ١٤١٢هـ.

٥٤. الموافقات، الشاطبي، إبراهيم بن موسى، تحقيق: مشهور حسن آل سلمان، الطبعة الأولى، دار ابن عفان، ١٤١٧هـ.

٥٥. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، تحقيق: علي بن حسن الأثري، الطبعة الأولى، الدمام، دار ابن الجوزي، ١٤٢١هـ.

الرسائل العلمية:

٥٦. الإسراف في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية في التفسير، الحسني، وفاء يحيى، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الدراسات الإسلامية، تخصص التفسير وعلوم القرآن، كلية التربية للبنات (الأقسام الأدبية)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤٢٩هـ.

٥٧. التربية الاقتصادية في القرآن الكريم وتطبيقاتها في الأسرة والمدرسة، العلياني، سعد هاشم، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.

٥٨. ضوابط إنفاق الأسرة في الإسلام وتطبيقاتها التربوية، الحسني، حسن أحمد، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التربية الإسلامية والمقارنة، كلية التربية، جامعة أم القرى ١٤٣٠هـ.

٥٩. القيم الإسلامية وعلاقتها بأنماط السلوك الاستهلاكي للأسرة السعودية، هنادي محمد قمرة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية للبنات، مكة المكرمة، قسم الاقتصاد المنزلي ١٤٢٤هـ.

٦٠. من أساليب التربية في القرآن الكريم، زينب بشارة يوسف، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة المدينة العالمية، كلية العلوم الإسلامية.

٦١. النعم في ضوء سورة النحل، إدريس حامد محمد، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية قسم الثقافة الإسلامية، جامعة الملك سعود، ١٤١٦هـ.

المقالات الالكترونية:

١. تزكية النفس في ضوء الكتاب والسنة وأقوال السلف، البنكاني، ماجد (مقالة إلكترونية)، استرجعت من العنوان (alukah.net) بتاريخ ٢٠ / ٩/ ١٤٣٨هـ.

٢. موقف القرآن الكريم من الترف والمترفين، حسان، محمد فتحي، مقالة الكترونية تم استرجاعها من العنوان (alukah.net) بتاريخ ٣/ ١٠/ ١٤٣٨هـ.

المحتوى

مجلة تدبر



ثانيًا: مُستَخلَصات المَشارِيع والرّسائِل العِلْميّة

مجلة تدبر



تَقْرِيرُ

مَشْرُوعُ ٱلْقُرْآنِ تَدَبُّرٌ وَعَمَلٌ

إِعْدَادُ: مَرْكَزُ ٱلْمِنْهَاجِ لِلْإِشْرَافِ وَٱلتَّدْرِيبِ ٱلتَّرْبَوِيِّ

مجلة تدبر

مُقـدِّمة

حظيت المكتبة القرآنية خلال الأعوام الثلاثة الماضية بمشروع قرآني فريد في الهدف والمضمون، وقد ظهر هذا المشروع على هيئة كتاب مطبوع، وموقع الكتروني، وتطبيق للأجهزة الذكية، ألا وهو مشروع: **(القرآن تدبر وعمل)**.

وقد بنيت فكرة هذا المشروع ليعالج قضية مهمة ويجيب على تساؤل مهم؛ وهو: كيف يكون القرآن منهج حياة؟

وبالنظر إلى النصوص الواردة في الأمر بالاستماع للقرآن الكريم، وتلاوته، وحفظه، وتدبره، والعمل به -وهي مراتب أخذ القرآن وتلقيه-، كانت الساحة القرآنية بحاجة إلى منهج عملي تدريبي في التدبر والعمل يرفد المناهج والمشاريع القائمة في إقراء القرآن وتحفيظه.

فكان مشروع: **(القرآن تدبر وعمل)** منهجًا متكاملًا محكَّمًا ومتخصصًا في التدريب على تدبر القرآن الكريم والعمل به، وفق منهج أهل السنة والجماعة.

مكونات المشروع:

صدر المشروعُ في كتابٍ يضمَ سِتَّمائةٍ وأربعَ وَحَداتٍ دراسيةٍ، كلُّ وِحْدةٍ وجهٌ منَ المصحفِ مضافٌ إليه أربعُ فِقْرَاتٍ رئيسةٍ هي:

أولًا: سبع وقفات تدبرية منتقاة من ستة عشر كتابًا من أمهات كتب التفسير، التزم فيه فريق العمل بنص كلام المفسر، وأتبعت كل وقفة بسؤال يعد نشاطًا مهاريًا، أو معرفيًا يُنَمِّي الملكة التدبرية.

❁ **ثانيًا**: العمل بالآيات، حيث تم اقتراح ثلاثة أعمال تطبيقية مستنبطة من آيات الوجه.

❁ **ثالثًا**: التوجيهات، ذكرت ثلاثة توجيهات مُستقاة من آيات الوجه.

❁ **رابعًا**: ذكر معاني الكلمات الغريبة.

❁ فريق العمل والمراجع العلمية:

وقد انتُخِب لهذا المشروع فريقُ عملٍ متخصِّص في الدراسات القرآنية، كان له الفضل -بعد الله- في جمع الوقفات، وصياغة الأسئلة والأعمال والتوجيهات وتحريرها، ثم صياغتها وتحكيمها.

وقد حرص الفريق إلى الرجوع إلى أشهر كتب التفاسير المتقدمة والمعاصرة المعتبرة عند أهل الفن، وهي:

١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري.

٢- المحرر الوجيز لابن عطية الأندلسي.

٣- معالم التنزيل للبغوي.

٤- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

٥- الجامع لكلام الإمام ابن تيمية في التفسير.

٦- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.

٧- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي.

٨- بدائع التفسير لابن القيم.

٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي.

١٠- فتح القدير للشوكاني.

١١- تيسير الكريم الرحمن للسّعدي.

١٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي.

١٣- التحرير والتنوير لابن عاشور.

١٤- محاسن التأويل للقاسمي.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للآلوسي.

١٦- أيسر التفاسير لأبي بكر الجزائري.

وقد قام بتحكيم المشروع وتزكيته ثُلَّة من أهل العلم المتخصصين في الدراسات القرآنية وهم:

- أ.د. مصطفى مسلم: أستاذ الدراسات القرآنية في جامعة الإمام محمد بن سعود وجامعة الشارقة.

- د. محمد بن عبد العزيز الخضيري: عضو هيئة التدريس بجامعة الملك سعود في قسم القرآن الكريم وعلومه.

- د. محمد بن عبد الله الربيعة: عضو هيئة التدريس بجامعة القصيم في قسم القرآن الكريم وعلومه.

- د. خالد بن عثمان السبت: عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام عبدالرحمن بن فيصل في قسم القرآن الكريم وعلومه.

وقد حقق المشروع نجاحًا واسعًا، وانتشارًا كبيراً في كثير من الأوساط العلمية والمجامع التعليمية والمقارئ القرآنية شملت :

- ١٥٠ دولة حول العالم.
- مليوني استفادة عبر الموقع الالكتروني، والتطبيقات الذكية.
- ثلاثمائة ألف كتاب مطبوع خلال عامين.
- عشرات الشراكات مع جامعات وكليات ومعاهد.
- أربعمائة جهة تعليمية وتربوية عالمية اعتمدته منهجًا دراسيًا.

والحمد لله أولًا وآخرًا.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد، وآله وصحبه أجمعين.



تقرير

رسالة «أثر وحدة مقترحة قائمة على المنظمات المتقدمة في تنمية أسس تدبر القرآن الكريم لدى طالبات الصف الأول المتوسط بمدارس تحفيظ القرآن الكريم بجدة»

الباحثة: آلاء بنت مضيف سعود السفياني

المشرفة: د. حبه بنت أحمد محمد أكرم.

سنة الإجازة : ١٤٣٨هـ.

الوصف المادي: عدد صفحات الرسالة ١٥٧ صفحة.

مُقَـدِّمَة

في ضوء ما تشهده الدراسات الأكاديمية في الجامعات من اهتمام بالبحوث الميدانية والتطبيقية، تأتي هذه الدراسة في توظيف المنهج التجريبي في خدمة القرآن الكريم وتدبره، وتطبيقه بشكل عملي على واقع الطالبات في المدارس، وهي دراسة تقدَّمت به الباحثة لنيل درجة **(الماجستير)** في (قسم المناهج وطرق التدريس ـ علوم شرعية).

لمحة عامة عن الرسالة:

هي عبارة عن بحث يهدف إلى قياس أثر الوحدة المقترحة في تنمية أسس تدبر القرآن الكريم لدى طالبات الصف الأول المتوسط بمدارس تحفيظ القرآن الكريم بجدة.

وقد استُخدِم في هذا البحث منهج الدراسات التجريبية، حيث قامت الباحثة ببناء وحدة لتنمية أسس تدبر القرآن الكريم قائمة على استراتيجية المنظمات المتقدمة، وإعداد الدليل المصاحب لتدريس الوحدة المقترحة، ثم تمَّ تطبيق أداة البحث قبل وبعد التجربة على العينة التجريبية، وقد بلغ عدد أفراد العينة (٢٩) طالبة.

وتمثَّلت أداة البحث في اختبار تحصيل لمفاهيم تدبر القرآن الكريم وأسسه، وقد أشارت نتائج البحث إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات العينة التجريبية في القياس القَبْلي والقياس البَعْدي في اختبار التحصيل لصالح القياس البَعْدي.

فصول البحث:

تكوَّن البحث من: ستة فصول وملاحق، على النحو التالي:

الفصل الأول: مدخل البحث وفيه المقدمة، مشكلة وفرض البحث، أهداف وأهمية وحدود ومصطلحات البحث.

الفصل الثاني: يحتوي هذا الفصل على الأدب النظري المتعلق باستراتيجية المنظمات المتقدمة، وأسس تدبر القرآن الكريم، بالإضافة لمنهج القرآن الكريم للصف الأول المتوسط بمدارس تحفيظ القرآن الكريم.

الفصل الثالث: يحتوي الدراسات السابقة وفق المحاور التالية: دراسات متعلقة بتدبر القرآن الكريم، دراسات تتعلق باستراتيجية المنظمات المتقدمة. حيث يتم عرض الدراسات في كل محور من خلال: هدف الدراسة ومنهجها، وأهم نتائجها التي توصَّلت إليها، ومن ثَمَّ التعقيب عليها.

الفصل الرابع: في هذا الفصل تم شرح الإجراءات التي تم اتباعها لتحقيق الأهداف شرحًا مفصلًا، وتوضيح منهجية البحث، وتحديد مجتمعه، واختيار عينته، كما تم وصف أداة البحث وطريقة إعدادها، والخطوات الإجرائية لتطبيق البحث والأساليب الإحصائية المستخدمة لمعالجة وتحليل البيانات.

الفصل الخامس: يعرض هذا الفصل نتائج البحث وفقًا لأسئلته وفرضه، مع ربط النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية بنتائج الدراسات السابقة ومناقشتها.

- **الفصل السادس:** في هذا الفصل ملخص مشكلة البحث وخطواته ونتائجه التي تم التوصل إليها، والتوصيات والمقترحات التي يمكن الإفادة منها.

أبرز مزايا الرسالة ما يلي:

- تعرض الرسالة تجربة تعليم أسس تدبر القرآن الكريم من خلال وحدة مقترحة قائمة على المنظمات المتقدمة تُدرَس مصاحبة لمادة القرآن الكريم.
- لتحقيق هدف البحث تم بناء الوحدة مقترحة لتنمية أسس تدبر القرآن الكريم بما يلائم طالبات الصف الأول المتوسط، بحيث تم فيها تنظيم الموضوعات بشكل خاص، ومتدرج، بحيث تكتسب الطالبة المعارف من خلال الأنشطة التعليمية المتنوعة، كما تم إعداد دليل للمعلمة للاسترشاد به أثناء التدريس يتضمن الوسائل والمراجع المعينة الخاصة بتدريس الوحدة.
- استخدام المنهج شبه التجريبي لدراسة أثر الوحدة المقترحة في تنمية أسس تدبر القرآن الكريم؛ وذلك لأهمية التجربة في إبراز الواقع وتوضيح الأثر.

أبرز نتائج الرسالة:

قد انتهى البحث بعدة نتائج على النحو التالي:

١. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسط درجات طالبات العينة التجريبية في القياس القَبْلي والقياس البَعْدي في اختبار التحصيل لصالح القياس البَعْدي بعد تطبيق الوحدة المقترحة واستخدام دليل المعلمة في تدريس

الوحدة، وهذا يتفق مع نتائج دراسة كلٍّ من دراسة عسيري (٢٠١٣م)، ودراسة متولي (٢٠١٣م)، والتي توصَّلت نتائجها إلى تفوُّق المجموعة التجريبية في التحصيل، كما أسفرت نتائج دراسة فورة (٢٠١٥م) على ارتفاع التحصيل للمجموعة التجريبية، وكذلك نتائج دراسة الناجي (٢٠٠٩م) التي توصلت إلى تفوق المجموعة التجريبية في اختبار التحصيل.

٢. كما وضحت النتائج أن قيمة مربع إيتا (η^2) بلغت (٠,٨١) وهي قيمة كبيرة، وتدل على أن نسبة كبيرة من الفروق تُعْزَى إلى فروق حقيقية بين الاختبارين وتفسر ما نسبته ٨٠,٧٪ من التباين بين الاختبارين القَبْلي والبَعْدي، حيث تم الاعتماد في قياس حجم التأثير على قيمة مربع إيتا، بحيث إذا كانت قيمة مربع إيتا (٠,٢٠ فأقل) فهي تمثل حجم أثر ضئيل أو ضعيف، وإذا كانت قيمته (من ٠,٢٠ إلى ٠,٧٩) فحجم الأثر ذو قيمة تأثير متوسطة، أما إذا كانت قيمة مربع إيتا تبلغ (٠,٨٠ فأعلى) فهي تمثل حجم أثر كبير.

من أبرز التوصيات التي أوصت بها الباحثة ما يلي:

١. إعداد برامج تدريبية لمعلمات القرآن الكريم لتأصيل منهجية تدبر القرآن الكريم.

٢. بناء دليل لمعلمة القرآن الكريم، يتضمن أسس تدبر القرآن الكريم ووسائله، وكيفية تفعيلها في حصص القرآن الكريم.

٣. الاهتمام بتنمية تدبر القرآن الكريم، وتعليمه في مدارس التعليم العام ومدارس تحفيظ القرآن الكريم مع مراعاة خصائص المرحلة التعليمية.

٤. الحرص على توضيح الارتباط في ذهن الطالبة بين تلاوة الآيات واستحضارها، والإفادة منها والعمل بها.

٥. إعادة النظر في درجة التقويم النهائي لمادة القرآن الكريم، بحيث تشمل جزءًا من الدرجة تطبيقَ مهارات تدبر القرآن الكريم وأسسه بحسب خصائص المرحلة التعليمية.

٦. توجيه معلمات القرآن الكريم، ومعلمات العلوم الشرعية بشكل عام إلى استخدام استراتيجية المنظمات المتقدمة في التدريس.

٧. عقد دورات تدريبية لمعلمات القرآن الكريم، في كيفية التدريس باستخدام استراتيجية المنظمات المتقدمة.

ولِمَا تميزت به هذه الدراسة من مُخْرَجَات فقد حصلت الدارسة فيها – بفضل الله وتوفيقه – على درجة (الماجستير).

مجلة تدبر



ثالثاً: تقارير المؤتمرات العلمية

مجلة تدبر

مجلة تدبر



تَقْرِيرُ

ٱلْمُؤْتَمَرُ ٱلعَالَمِيُّ ٱلثَّالِثُ لِلدِّرَاسَاتِ ٱلقُرْآنِيَّةِ تَحْتَ عُنْوَان :
ٱلدِّرَاسَاتُ ٱلقُرْآنِيَّةُ وَٱلمُسْلِمُونَ فِي ٱلغَرْبِ

والذي أقيم خلال الفترة

من ١٥-١٧ شوال من عام ١٤٣٦ هـ

الموافق ٣١ يوليو-٢ أغسطس ٢٠١٥ م

مجلة تدبر

مقدمة

في إطار ما تشهده الساحة القرآنية على المستوى العالمي من اهتمام وحظوة بالقرآن الكريم والعمل به؛ شهدت مدينة مانشستر ببريطانيا مؤتمرًا قرآنيًا تحت عنوان: الدراسات القرآنية والمسلمون في الغرب، بتنظيم من الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية والجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه تبيان، وذلك في رحاب مركز التراث الإسلامي ببريطانيا.

وقد دعت الحاجة إلى إقامة المؤتمر لما تبنته الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية، التي عُنيت بالتعريف بالقرآن وتدبره، وتدريسه وخدمة أبحاثه، والكشف عن كنوزه للمجتمع المسلم وغير المسلم في الغرب، والتعرف عليه عن قرب؛ ليثبتوا للجميع أن القرآن صالح ومصلح لكل زمان ومكان.

ويأتي المؤتمر امتدادًا لما حققه المؤتمر الأول والثاني من نجاح أكسبه أهمية في طرح قضايا معاصرة، وتسليط الضوء عليها من خلال ربطها بمنهج القرآن الكريم.

وقد انعكس ذلك على أهداف المؤتمر وهي:

١. إلقاء الضوء على جوانب الدراسات القرآنية، والإشارة إلى مدى مواكبتها للعلوم المعاصرة.

٢. استخدام الدراسات القرآنية كوسيلة لتربية الأسرة المسلمة والنشء المسلم في الغرب.

٣. التعريف بطرق البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية.

٤. التفاعل الإيجابي بين الجالية المسلمة وغير المسلمة في الغرب، وبين العلماء المتخصصين في مجال الدراسات القرآنية.

٥. ربط الباحثين في مجال الدراسات القرآنية ببعضهم، وإطلاعهم على أحدث مناهج التدريب والبحث العلمي في الغرب.

كما انتظم المؤتمر ثمانية محاور وهي كما يلي:

١. المحور الأول: القيم القرآنية وأثرها في التربية.

٢. المحور الثاني: مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم والشريعة الإسلامية.

٣. المحور الثالث: حقوق المرأة في التشريع الإسلامي كما يصورها القرآن الكريم.

٤. المحور الرابع: تدبر القرآن الكريم والعوامل المؤثرة فيه.

٥. المحور الخامس: نماذج من العوامل المؤثرة في التدبر.

٦. المحور السادس: نماذج عملية للتدبر.

٧. المحور السابع: أساليب عصرية لتعليم القرآن الكريم وتدبره.

٨. المحور الثامن: بناء الحياة وعمارتها من خلال القرآن الكريم.

وقد قُدِّمت في هذا المؤتمر أربعٌ وأربعون ورقةً علمية، قام بإعدادها نخبة من الباحثين والباحثات، وِفْق منهجيَّة عِلْميَّة محدَّدة عالجت محاور المؤتمر الثمانية، وهي:

١. الحوار في القرآن الكريم وأثره كوسيلة حضارية: د.ابتهال محمد علي البار.

٢. الإنسان وحقه في العدالة الاجتماعية من خلال القرآن: د.معتوقة بنت محمد حسن بن زيد الحساني.

٣. الحوار بين المسلم وغير المسلم في ضوء القرآن: د.عبد الله بن صالح السيف.

٤. أدب العالم والمتعلم في ضوء قصة موسى مع الخضر عليهما السلام: د.وفاء بنت عبد العزيز بن حمد الزامل.

٥. الحوار القرآني ودوره في محاورة الأجيال القادمة: د.منال بنت عمار بن ابراهيم مزيو.

٦. منهج القرآن الكريم في مراعاة حقوق الإنسان: أ.د.محمد ناصر القرني.

٧. رعاية حقوق الإنسان ومظاهر تكريمه: د.سلطان بن سعد السيف.

٨. حقوق الإنسان ما بين الإسلام والنظام العالمي: دراسة فقهية وتأصيلية لقواعده ومقاصده وتطبيقاتها من القرآن الكريم والسنة النبوية: أ.د.أحمد بن هلال الشيخ.

٩. حقوق الإنسان في القرآن الكريم: د.كامل بن سعود بن مطيران الجعفري العنزي.

١٠. أهمية التأصيل من القرآن الكريم في الدعوة إلى الله تعالى وضرورته: أ.د.علي بن محمد الطالب الأمين الشنقيطي.

١١. حقوق الإنسان في الإسلام: د.دوحة عبد القادر.

١٢. حقوق المرأة في الميزان: دراسة بمنهج التفسير الموضوعي في القرآن الكريم: ميادة عكاوي.

١٣. الرعاية للمرأة في الخطاب القرآني: د.نعمات محمد الجعفري.

١٤. البعد الفلسفي والعقدي لحقوق الإنسان في القرآن الكريم ومواثيق حقوق الإنسان الدولية: ليلى ابراهيم العدواني.

١٥. حق المرأة في الزواج بين القرآن الكريم وميثاق الأمم المتحدة: د.فاطمة بنت محمد الكلثم.

١٦. الآثار الحسية للقرآن الكريم في حياة السلف وعلاقته بالتدبر: أ.د.ناصر بن محمد المنيع.

١٧. وسائل التزكية بالقرآن الكريم: أ.د.إبراهيم بن صالح الحميضي.

١٨. التزكية بالقرآن وسائلها ومناهجها: دراسة تطبيقية على سورة الأعلى: د.عادل بن عمر بن عمر يسلم بصفر.

١٩. طبيعة التدريس بالممارسة في ضوء التربية القرآنية: أ.د.عبد الرحمن بن عبد الله المالكي.

٢٠. نشأة الحلقات العلمية عند المفسرين: وأثرها في تدبر القرآن الكريم: د.عبد الرحيم الحقيب الغامدي.

٢١. صور من أثر تدبر السلف للقرآن الكريم: د.نواف بن معيض بن جمعان الحارثي.

٢٢. المناسبات وأثرها في التدبر من خلال تفسير التحرير والتنوير: د.محسن بن حامد المطيري.

٢٣. مقاصد القرآن من خلال القَسَم في القرآن الكريم: أ.د.فلوة بنت ناصر الراشد.

٢٤. السعادة: أسبابها وأهميتها في تكوين الشخصية الإبداعية من خلال تدبر سورة طه: أساليب تشويقية لدعوة غير المسلمين إلى الإسلام: د.فوزية بنت صالح الخليفي.

٢٥. البناء القصصي القرآني في سورة النمل: د.فايزة أحمد الحربي.

٢٦. أثر الحوار السليم في الدعوة إلى عالم إنساني متعاون: أ.د.هيا بنت إسماعيل آل الشيخ.

٢٧. الدلالات التربوية في قصة الذبيح من سورة الصافات: د.ريم بنت عبد المحسن السويلم.

٢٨. موقف المسلم من الفتن في ضوء القرآن: أ.د.علي بن عبد الله الصياح.

٢٩. مشاهد الكون في القرآن الكريم وأثرها في تزكية النفوس: سورة الشمس أنموذجًا: د. فهد بن محمد بن عبد الله الماجد.

٣٠. الدلالات العقدية للسنن الكونية في القرآن: د.إبراهيم بن عبد الله المعثم.

٣١. قلب الإسناد في القرآن الكريم وأثره في المعنى: د.عبد المجيد بن صالح الجار الله.

٣٢. الكناية عن المجاز بأسماء الله الحسنى في فواصل الآيات: نموذج للتربية القرآنية: د.رباب صالح جمال.

٣٣. الدراسات القرآنية ومواكبتها للتخصصات الإنسانية والتطبيقية المعاصرة: د.عائشة سعيد صالح العطوي.

٣٤. دور تقنية المعلومات في نشر القرآن الكريم: د.نورة العلي.

٣٥. واقع توظيف التقنيات الحديثة في تدريس القرآن الكريم ومعوقاتها من وجهة نظر المعلمين بسلطنة عمان: د.ميمونة بنت درويش الزدجالي.

٣٦. معايير الجودة والتميز في المؤسسات التعليمية الأكاديمية المتخصصة ببرامج الدراسات القرآنية بالسعودية: جامعة الملك سعود أنموذجًا: د. نوف بنت خلف الحضرمي.

٣٧. التقنية في خدمة القرآن الكريم: المقارئ الإلكترونية أنموذجًا: د. سعاد بنت جابر محمد الفيفي.

٣٨. فعالية استخدام خرائط المفاهيم في تدريس القرآن الكريم وعلومه لبقاء أثر التعلم: د.ريم بنت عبد العزيز بن محمد العلي.

٣٩. الحكمة من تكريم الإنسان في القرآن الكريم: أ.د.هدى بنت دليجان الدليجان.

٤٠. التسخير في القرآن الكريم: حصة بنت محمد العكروش.

٤١. بلاغة استدلال القرآن على السنن الكونية: د.زينب بنت عبد اللطيف بن كامل كردي.

٤٢. تنمية القدرات العقلية من خلال عملية تدبر القرآن الكريم: إيمان بنت زكي عبد الله أسرة.

٤٣. التدبر في القرآن الكريم وأثره على الاستقامة وتصحيح السلوك الاجتماعي: آيات الإيمان بالغيب أنموذجًا: د.شاه ناز بنت الموفق.

٤٤. تدبر السنن الإلهية في الأمم والأفراد في ضوء السنة النبوية: د.منى بنت أحمد القاسم.

۞ وسعيًا في تحقيق أهداف المؤتمر؛ وبعد عرض أبحاثه وأوراقه من خلال جلسات علمية وورش عمل متخصصة، خلص المشاركون إلى التوصيات التالية:

١. الدعوة إلى إنشاء مراكز متخصصة لمتابعة أحوال المسلمين في الغرب، مهمتها دراسة المشكلات، وإيجاد الحلول للمستجدات العلمية والثقافية والاجتماعية التي يعاني منها المسلمون في بلاد الغرب من خلال الهدايات القرآنية، وربطها بالواقع المعاصر.

٢. توعية الأسرة المسلمة في الغرب بمبادئ الإسلام الصحيح، والعمل على نشرها وتوضيحها للناس بصورة صحيحة من خلال الهدايات القرآنية.

٣. دعم وتوعية المرأة المسلمة بحقوقها وواجباتها في الشريعة الإسلامية.

٤. تَبَنِّي القيام بدراسات للقيم التربوية في القرآن وبثِّها في النشء.

٥. تعليم فنون الحوار حسب المنهج القرآني؛ كوسيلة تربوية ودعوية بإقامة برامج ودورات للمعنيين بهذا الشأن.

٦. تطوير أساليب فهم القرآن الكريم وتفسيره وتدبره، والإفادة من التقنيات الحديثة والمتجددة، وتوظيفها في تيسير فهم القرآن لغير الناطقين بالعربية وعرضه بأساليب تشويقية ميسرة.

٧. ضرورة العناية ببيان المنهج الوسطي للقرآن الكريم في حفظ حقوق الإنسان وبيان خصائصه ومزاياه، والفرق بينه وبين النظام العالمي لحقوق الإنسان في العقائد والعبادات والمعاملات.

٨. تنظيم جوائز ووضع حوافز مشجعة لحثِّ المسلمين الجُدُد وغيرهم على فهم القرآن وتدبره.

٩. إيجاد آلية تنظم تعاون مؤسسات القرآن والمراكز الإسلامية في أوروبا؛ بما فيه مصلحة نشر الإسلام بصورة صحيحة.

١٠. إنتاج تطبيقات متنوعة لتقريب فهم القرآن وتدبره، على الأجهزة الذكية بمختلف أنواعها بالعربية، ومترجمة الى اللغة الإنجليزية.

١١. طبع وترجمة ونشر الكتب والبحوث المتخصصة بتدبر القرآن الكريم، وتوزيعها في المساجد والمراكز الإسلامية.

١٢. التواصل مع الجهات المعنية بتعليم أبناء المسلمين في أوروبا في

المدارس والمساجد لإقرار مناهج متخصصة في فهم القرآن الكريم وتدبره.

١٣. عقد المؤتمر العالمي الرابع العام القادم (١٤٣٧هـ) تحت عنوان: العدل والاحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية.

هذا وقد لاقى الملتقى صدًى طيِّبًا في الأوساط العِلميَّة والقرآنيَّة، حيث شارك في الافتتاح عضو البرلمان الأوروبي لشمال غرب إنجلترا نائب رئيس لجنة الدفاع والأمن للبرلمان الأوروبي، ونائب مجلس أمناء مركز التراث الاسلامي، وجمع من المسؤولين في بريطانيا، وحضر المؤتمر جمع من أساتذة الجامعات والباحثين من عدة دول من: السعودية، ومصر، والجزائر، والإمارات، وبريطانيا.



تقرير

المؤتمر العالمي الرابع للدراسات القرآنية تحت عنوان:
العدل والإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية

والذي أقيم خلال الفترة

من ١٠-١٢ شوال من عام ١٤٣٧ هـ

الموافق ١٥-١٧ يوليو ٢٠١٦ م.

مجلة تدبر

مُقَـدّمَة

في إطار ما تشهده الساحة القرآنية على المستوى العالمي من اهتمام وحظوة بالقرآن الكريم والعمل به، شهدت مدينة مانشستر ببريطانيا مؤتمرًا قرآنيًا حول مفهوم العدل والإحسان في القرآن الكريم والسنة النبوية، بتنظيم من الأكاديمية الأوروبية للدراسات القرآنية، والجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه تبيان، وذلك في رحاب مركز التراث الإسلامي ببريطانيا.

وقد دعت الحاجة إلى إقامة المؤتمر لاستقراء ما جاء في القرآن والسنة من دلائل ومسائل وأحكامٍ وآداب؛ تَستقصي أطراف هذا الموضوع وتَستوفي دقائقه وتَستخرج حقائقه وتبثُّ كنوزه.

ويأتي المؤتمر امتدادًا لمؤتمرات سابقة؛ أكسبه أهمية وحاجة في علاج واقع المجتمع وربطه بالقرآن الكريم، وقد اتضح ذلك بجلاء من خلال أهدافه السامية، وهي:

١. إبراز عالمية الإسلام وسموِّه ومصدره الإلهي، من خلال عدالة تشريعاته الاجتماعية والسياسية والجنائية وغيرها، وما فيها من الإحسان والإشارة لإعجازها.

٢. تدبر نصوص القرآن الكريم، وعمل السلف الصالح بها لإبراز قيم العدل والإحسان والترغيب فيهما.

٣. استقصاء النصوص الشرعية، والسنن الكونية، والتطبيقات العملية، من الكتاب العزيز، والسنة المشرفة، وعمل السلف الصالح، الدّالة على عِظم قيم العدل والإحسان والترغيب فيهما.

٤. تجلية المفاهيم اللفظية المتعلقة بالعدل والإحسان، وبيان معانيها ومراميها، ومعاييرها في الإسلام، والأنظمة المعاصرة.

٥. بيان منهج القرآن الكريم في تقرير العدل والإحسان وتحقيقهما في كافة الميادين.

٦. بيان العدل والإحسان مع الخلق في الإسلام من خلال الشعائر التعبدية والتكاليف الشرعية.

٧. إيضاح التدابير الشرعية الواردة في الوحيين؛ لتطهير المجتمعات من الظلم والجور وحمايتها من الوقوع فيه.

❂ كما انتظم المؤتمر أربعة محاور وهي كما يلي:

١. المحور الأول: تأصيل مفهوم العدل والإحسان بالانفراد والاقتران وتدبر الآيات الواردة في ذلك.

٢. المحور الثاني: العدل والإحسان في العقائد.

٣. المحور الثالث: العدل والإحسان في الشعائر التعبدية، والتكاليف الشرعية.

٤. المحور الرابع: العدل والإحسان في ميدان الحقوق.

٥. المحور الخامس: نماذج وتطبيقات للعدل والإحسان بين المسلمين، ومع غير المسلمين، في السلم و الحرب (وثائق تاريخية ومعاصرة وقدوات).

٦.المحور السادس: آثار العدل والإحسان ومن ذلك: الآثار التي يحققها العدل والإحسان في الرقي العلمي، والنمو الحضاري، والعلاقات الدولية، وفي السلامة البيئية.

وقد قُدِّمت في هذا المؤتمر اثنتا عشرة ورقة علمية قام بإعدادها نخبة من الباحثين والباحثات، وِفْق منهجيَّة عِلْميَّة محدَّدة عالجت محاور المؤتمر الستة، وهي:

١. صور العدل في آيات المواريث: د. نورة عبد العزيز علي.

٢. مفهوم الإحسان في التصور السالمي كمدخل لإتقان ومؤشر لجودة الأداء في إدارة الموقف الصفي لدى معلمي التربية الإسلامية: د.ميمونه الزدجالي.

٣. حرية الإنسان بين العدل والإحسان مقصد قرآني وميثاق دولي: السيدة ميادة عكاوي.

٤. مفهوم الإحسان وصوره المتعلقة بالتعامل مع الآخرين في القرآن الكريم: د. سعاد بنت جابر الفيفي.

٥. العدل والإحسان بين المفهوم اللغوي والاصطلاح القرآني: د. خيره غانم.

٦. العدل و الإحسان مع غير المسلمين: نماذج تطبيقية من السنة: أ.د سعيد بن نزال العنزي.

٧. مشروع العدل والإحسان بين اجتهاد السلف وتجديد الخلف: د.يونس توفيق.

٨. اتصاف الله بالعدل وتسميه بالمحسن: د. منى بنت عبد الرحمن الشنيفي.

٩. العدل والإحسان في القرآن الكريم: د.عادل بن عمر بصفر.

١٠. تدبر آيات القران في العدل الإحسان وتطبيقاته على المسلمين في الغرب: د.فهد الوهبي.

١١. العدل الإحسان في الشرائع التعبدية و التكاليف الشرعية: د. أحمد بن هلال الشيخ.

١٢. العدل في العقائد عند ابن تيمية تقريرات وتطبيقات :د.إبراهيم بن عبد الله المعثم.

وسعيًا في تحقيق أهداف المؤتمر؛ وبعد عرض أبحاثه وأوراقه في ثمان جلسات وحلقة نقاش، خلص المشاركون إلى التوصيات التالية:

١. إبراز عالمية الإسلام وسموّه ومصدره الإلهي من خلال عدالة تشريعاته في مختلف جوانب الحياة .

٢. إشاعة قيم العدل والاحسان والحريّة في المجتمعات البشرية مستمدة من نصوص الوحيين .

٣. الدعوة إلى إثبات آثار تحقيق العدل والإحسان في نيل الحقوق وتوطيد العلاقات، واستتباب الأمن والتمكين، وبناء الحضارات.

٤. العناية بدراسة نصوص التراث الإسلامي الغزيرة المتضمنة لمعاني العدل والإحسان، وتطبيقاتها في المجتمعات البشرية.

٥. تشجيع الباحثين على استنطاق النصوص والقصص الدالة على العدل والإحسان.

٦. الدعوة الى تضمين المواثيق الدولية قيم العدل والإحسان المستمدة من الشريعة الإسلامية.

٧. مواجهة الإرهاب من خلال الممارسة الحقيقة لقيم الإحسان والعدل في المجتمعات.

٨. عقد لقاءات علمية دورية في الدراسات القرآنية، ونقل هدايات القرآن للمسلمين وغير المسلمين في الغرب، بالتعاون مع الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه»تبيان»، والمؤسسات والجامعات في العالم العربي والإسلامي.

٩. عقد المؤتمر العالمي الخامس للدراسات القرآنية في أوروبا عام ١٤٣٩ الموافق ٢٠١٨م.

هذا وقد لاقى الملتقى صدًى طيِّبًا في الأوساط العِلميَّة والقرآنيَّة، حيث شارك في الافتتاح عضو البرلمان الأوروبي لشمال غرب إنجلترا نائب رئيس لجنة الدفاع والأمن للبرلمان الأوروبي، ونائب مجلس أمناء مركزالتراث الاسلامي وجمع من المسئولين في بريطانيا، وحضر المؤتمر جمع من أساتذة الجامعات والباحثين من عدة دول من: السعودية، ومصر، والجزائر، والإمارات، والمغرب، وبريطانيا.

مجلة تدبر



رابعًا: المُلَخَّصَاتُ باللُّغَةِ الإنجِلِيزِيَّة

مجلة تدبر

TADABBOR MAGAZINE

Periodical, Scientitic and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Volume II, Issue number 3: Muharram 1439 AH, October 2017

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾

﴿ص﴾ ٢٩

TADABBOR MAGAZINE Index:



1438 / 5883

20 SR

1658-7642

TADABBOR MAGAZINE

Periodical, Scientific and Arbitral Magazine specializes in arbitration and dissemination studies and searches related to Holy Quran, biannual issued

Volume II, Issue number 3: Muharram 1439 AH, October 2017

تمت الترجمة في مركز أصول العالمي

مركز أصول العالمي

Osoul Global Center

www.osoulcenter.com



Tadabbur Magazine

A reviewed academic periodical dedicated to the review and publication of research and academic studies in the field of promoting the understanding of the Qur'an. It is published twice a year.

The magazine is licensed by the Ministry of Culture and Information, Saudi Arabia.

Mission: To be researchers' first choice for the publication of their research and studies in the field of understanding the Qur'an.

Vision: The magazine will provide an academically reviewed facility for researchers to publish their academic studies in the in-depth understanding of the Qur'an and related areas, observing professional publishing international standards.

Aims:

- Encourage academic studies leading to in-depth understanding of the Qur'an.
- Publish academic research and studies in the field of understanding the Qur'an.
- Ensure inter-communication between academics dedicated to Qur'anic studies and promote exchange of experience.
- Open up new areas of academic studies in the field of in-depth understanding of the Qur'an.

One: Research and studies in the field of in-depth understanding of the Qur’an.

1. The formulation of academic principles applicable to the understanding of the Qur’an.
2. Teaching methods of in-depth understanding the Qur’an.
3. Deduction from the Qur’an.
4. Objectives of the Qur’an.
5. The inimitability of the Qur’an.
6. The superior excellence of the Qur’an style.
7. Qur'anic themes.

Two: Reports of academic meeting and conferences related to the in-depth understanding of the Qur’an.

Three: Summaries of theses of distinction focused on the in-depth study of the Qur’an.

Four: Issues raised by the Editorial Board so as to request essays by specialists in the understanding of the Qur’an.

Editorial Board:

Consultative Committee

Conditions for Publication

One: material to be published:

The magazine aims to provide a forum for researchers all over the world to publish their academic studies in the area of in-depth understanding of the Qur'an, provided that such research reflects originality and conforms to the ethics and methodology of academic research.

The magazine will publish material that has not been already published in Arabic, in any of the following areas:

- Original research
- Academic debate
- Summaries of academic theses of distinction
- Reports of academic seminars and conferences.

Two: Format guidelines

1. Studies must not be more than 50 pages or less than 25 pages, 17x24 cm, including abstracts in Arabic and English, as well as a bibliography.
2. Two centimetres margins should be left on all four sides of the page, with single spacing between the lines.
3. For Arabic, the font Linotype Lotus should be used, size 16 for the research itself, 12 for footnotes and the abstract, and 11 for figures and tables.
4. For English, Times New Roman should be used, size 12, and size 10 for the footnotes, abstract, figures and tables.

5. Qur'anic verses cited should be written as in the electronic copy published by King Fahd Complex for the Publication of the Qur'an, size 16, not bold.

6. Footnotes should be page by page, with separate numbers for each page. Footnotes should be automatically, not manually, entered.

7. Every submitted contribution should be accompanied by the following details in both Arabic and English: The title; the author with his or her biodata; the author's contact details; themes of his or her previous research.

8. The abstract should not exceed 250 words, and should include: the theme of the contribution, its aims, methodology, main findings and recommendations. Special attention should be given to the writing of abstracts.

9. Every abstract in Arabic and English should give at the end no more than six key words that clearly identify the topic and the main issues it addresses.

10. Contributions must be free of grammatical mistakes.

Structure of contributions

Submitted contributions should be structured according to the requirements of academic research, in the following order:

1. The introduction should define the subject matter, its limits, objectives, methodology, strategy and plan.
2. Literature review, if any, and what the submitted research adds.
3. The submitted research should address certain inter-related aspects, in accordance with the research plan.
4. Each aspect should address a particular topic that forms a part of the overall theme of the research.
5. The submitted research should be written in proper academic style, free of grammatical mistakes, and with accurate citations.
6. A proper conclusion should be added, which includes the main findings and recommendations.
7. Footnotes citing works of reference should follow the proper standard used in Islamic and Arabic language research: "The work; the author; volume; page". E.g. *Lisan al-Arab*; Ibn Manzur; 2/233. Quoted Qur'anic verses should be followed in the main text by the name of the Qur'anic surah and the number of the verse. E.g. (Women: 55)
8. References should be added at the end of the research according to the following system:

i. If the reference work is a book: the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the editor, if any; the edition number, city of publication, the publisher, year of publication. E.g. *Al-Jami' al-Sahih*; al-Tirmidhi, Abu Isa

Muhammad ibn Isa; edited by Ahmad Muhammad Shakir, et al; 2nd edition, Beirut; Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, 2004.

ii. If the reference work is an unpublished dissertation: the title of the dissertation; the author's surname; the author's first name(s); the degree for which it is submitted (Masters or Doctorate); the country; the faculty; the university; year of submission. E.g. *Ya'qub ibn Shaybah al-Sadusi: Atharuh wa Minhajuh fi al-Jarh wal-Ta'dil*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; M.A. Saudi Arabia; Faculty of Education; King Saud University; 1418 AH.

iii. If the reference work is an essay published in a periodical: the title; the author's surname; the author's first name(s); the name of the periodical; place of publication; volume and number; year of publication; pages in the periodical x-xx. E.g. *Imam 'Affan ibn Muslim al-Saffar wa Minhajuh fi al-Talaqqi wal-Ada' wal-Naqd*; Matiri al-, Ali ibn Abdullah; Majallat Jami'at al-Qasim [Al-Qasim University Magazine]; Islamic Studies Section; al-Qasim. Vol. 3, No. 1; 1431 AH; pp. 35-85.

iv. Certain abbreviations should be used where entries are unavailable. These are:

n.p. where the publisher is not mentioned

n.e. where the edition is not mentioned

n.d. where the date of publication is not mentioned.

- To submit a contribution through the magazine's website or by post implies that the author confirms that the research was not published anywhere else and is not, and will not be, submitted for publication elsewhere until it has been peer-reviewed by the magazine.

- The Editorial Board has the right to decide, on initial reading, whether it should be sent for review or rejected.
- The author is entitled to receive summaries of the reports of the reviewers so as to make the necessary amendments and to respond to any points that he or she finds unacceptable. The Editorial Board has the final say with regard to any ensuing dispute between the author and the reviewers.
- Authors will receive a letter to inform them whether their contributions have been accepted for publication in the magazine or a letter of apology if the contribution is rejected.
- Authors may publish their research that are published in the magazine after six months of the date of the magazine, but in any future publication, they must mention its publication in the magazine.
- Submission of a contribution through the magazine website or its email constitutes acceptance by the author of the magazine's conditions for publication. The Editorial Board determines the priorities of research publication.
- Views expressed in the published contributions reflect the views of the authors, and they are not necessarily shared by the magazine.
- The magazine adopts the University of Chicago referencing system in citing foreign sources.
- The author of a published contribution is given five copies of the magazine number in which his or her research is published.

No. (1)

Abstract
Towards a Methodology of Understanding the Qur'an

By: Dr Usamah Abd al-Rahman al-Marakibi

Lecturer at the al-Azhar University

Abstract

This treatise aims to give a definitive answer to the major question: 'How to achieve an in-depth understanding of the Qur'an?' It uses the inductive method and examines the relevant heritage in an attempt to identify a proper method and a clear way, in an attempt to add to what our predecessors did so as to continue the creative process that aims to achieve a better understanding of the Qur'an.

This treatise aims to define certain methods of meditation that enable the reciter of the Qur'an and its students to gain a better understanding of it. It will help scholars and the public at large in their approach to the Qur'an to understand its message and infinite wisdom. The treatise starts by explaining the concept of in-depth understanding and how it is different from other terms that are close to it in meaning, such as commentary, contemplation, consideration, deduction, etc. It briefly explains the importance of understanding the Qur'an, its status, conditions, types,

benefits, how to achieve it, and what prevents it. It goes on to explain in a little more detail some methodologies of achieving a good understanding of the Qur'an, and concludes by mentioning the most common mistakes in the process of meditation over the Qur'an.

Key words: The Qur'an – in-depth understanding - deduction.

No. (2)

Abstract

Different Styles in a Qur'anic Surah to Express its Message An applied study taking the case of Surah 19 "Maryam"

By: Dr Tawfeeq Ali Ali Murad Zabadi

Assistant Professor and Researcher in Qur'anic Studies at The Tafseer Centre for Qur'anic Studies, Riyadh

Subject:

Aims of the study

The study aims to identify the different styles used in a Qur'anic surah to illustrate its message, through providing answers to the following questions:

1. What is meant by 'the message of the surah'?
2. What is meant by 'styles of the Qur'anic surah'?
3. Do stories, God's fine names, Qur'anic maxims, cosmic signs, divine laws and scenes of the Day of Resurrection portrayed in the surah refer to its message?

Methodology

The nature of this research requires a two-pronged approach. Therefore, the researcher used surveying and analysis of the texts. He surveyed the surah to identify

its verses related to the study. He then used the analytic method to analyse the identified texts.

Main findings

1. The message of the surah is the theme on which it focuses.
2. Several ways may be used to identify the message of the surah. Most important of these are: the surah's name, its merits, contemplation of its beginnings and ends, careful consideration of words that repeatedly occur in the surah, and a comprehensive look at the surah as a whole.
3. The surah employs different approaches in putting its message. These include: stories, God's fine names, Qur'anic maxims, cosmic signs, divine laws that apply to people, scenes of the Day of Resurrection, and other approaches that distinguish every surah.

Recommendations

I recommend that researchers should undertake further studies of the styles used in Qur'anic surahs and how they serve their messages.

Key words

Approaches – surah – identify – message.

No. (3)

Abstract
In-Depth Understanding in Al-Noor Essays by al-Nawrasi

By Dr Hashim ibn Ali al-Ahdal

Head, Department of Islamic Law, al-Haram al-Makki College, Makkah

To endeavour to achieve an in-depth understanding of the Qur'an is an aspect of the sincerity we are required to have in our approach towards God's book. It fulfils a duty incumbent on us towards the Qur'an. To read one verse with meditation is better than reading several verses without it. Understanding the Qur'an is not achieved through its mere recitation. It involves understanding its words and phrases, and the implementation of what it requires. It further requires meditation and contemplation of the Qur'anic verses. Its importance is reflected in the fact that when we do it, we are following the practice of Prophet Muhammad (peace be upon him) whose conduct reflects numerous ways of fine understanding of God's book.

In his essays, al-Nawrasi highlights the concept of in-depth understanding and shows that it is necessary. He stresses the fact that the Qur'anic method is the shortest and most comprehensive way of knowing God and aiming to gain His pleasure. The essays suggest various ways and methods of achieving such in-depth understanding. The author starts by stating that the Qur'an combines different disciplines.

The essays call on all Muslims to study the Qur'an in depth and urge their readers to reflect and meditate on the Qur'an, and to understand its message and guidelines.

The al-Noor essays discuss God's oneness and the need to address all worship to Him alone. They refute the arguments of atheists and unbelievers, and provide clear information about the Islamic message and Prophet Muhammad (peace be upon him). They show that the Qur'an clear all misconceptions and refutes false thoughts and ideas.

The al-Noor essays outline several methods of achieving in-depth understanding of the Qur'an, such as repeated recitation of Qur'anic verses, identifying objectives of the Qur'an, attentive listening to its recitation and following the example of the noble early Muslim generations.

Although the al-Noor essays include many good aspects of achieving good understanding of the Qur'an, they suffer from a few flaws that need to be revised and corrected. Readers should be aware of these, as they are contrary to what is agreed by scholars of Qur'anic commentary and deductive methodology. Readers should aim to arrive at the truth and guard against errors in approaching the Qur'an.

Key words

The Qur'an – understanding – Nawrasi – areas of understanding the Qur'an – methods of understanding – al-Noor essays.

No. (4)

Abstract

Educational Approaches to Guard against the Phenomenon of Ostentation in the light of the Qur’an

By Dr Abd al-Rahman ibn Ali al-Juhani

Associate Professor, Department of Education,

Faculty of Islamic Advocacy and Religious Fundamentals

At the Islamic University, Madinah

This study aims to highlight the educational approaches used in the Qur’an to guard against the phenomenon of ostentation.

The researcher used the deductive method and the descriptive analytical method as both are most suited to achieve the aims of the study. The study tackles the following aspects:

Illustration of the concept of ostentation, its types and different forms, as well as its likely consequences. Highlighting the Qur’anic methodology of warning against ostentation and identifying the educational approaches used in the Qur’an to guard against this phenomenon. The study lists its main findings and suggests recommendations.

Main findings

The Qur'an points out a number of highly important educational methods which, if implemented, will maintain sound social behaviour that shuns showiness, ostentation and boasting.

Main recommendations

Urges the presentation of an academic educational project, based on the Qur'an and the Prophet's Sunnah, promoting sound social behaviour that observes Islamic values and principles. The project should aim to discourage unhealthy social behaviour such as showiness and boasting. It should incorporate a clear and gradual application mechanism. The project should be carried out and implemented through the social media, satellite television and other information media.

Key words

Ostentation – boasting – educational approaches – Qur'anic methodology

Table of Contents